

العثمات  
حي الورد - شارع محمد الخامس - هاتف: ٤٦٣١٠٠  
ص. ب. ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١  
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب  
مجلة شهرية تعنى بآثار العرب الفكرية  
صاحبها ورئيس تحريرها محمد التمايز

للإعلان في العدد  
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم  
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة  
عن الجزء: ١٧ ريالاً

ج ٢٠١، س ٢٤ رجب / شعبان ١٤٠٩ هـ - شباط / آذار (فبراير / مارس) ١٩٨٩ م

## عبدالله بن العجلان النهدي حياته وماتبقى من شعره

ليس سهلاً على الإنسان أن يكتب شعراً فيه خلود العاطفة ، وليس سهلاً عليه أن يختار المواقف الحادّة في حالات الشوق ليصوغ فرائد باقية ، يتهافت على قراءتها العُشّاق ، ويتداول أبياتها الرواة والمغنون ، وينشدونها كل ما وجدوا متسعاً من الوقت أو فسحةً من الراحة ، أو استجابة نفسية ، وليس سهلاً على الإنسان أن ينقل هذه الأحاسيس إلى دائرة الآخرين ، ليضعهم فيها ليتحسسوا الحالة المعاشة أو يجسدوا اللحظات الحاملة ، وينعموا بما تفرضه عليهم أسباب الانتشاء ، وقد تكون هذه الحالات بعيدة عن المتعة الحيّة ، وخارجة عن إطار اللحظات السعيدة ، التي يدركها الإنسان ، وهو غير قادر على مواجهتها بما يتناسب من اعتبارات ويتفق من أهمية ، لأنّ الإحساس العاطفي الذي تسرّب عبر قنوات الشعر الخالد ، وقرأ في فرائد القطع الأدبية الرائعة ، ونقل من خلال الأحاديث التي حملها العشاق على امتداد التاريخ ، تؤكد أنّ الخلود لا يكمن في التعبير المباشر ، ولا يصاغ من خلال اللحظات العابرة ، ولا يعيش في إطار المتع الزائلة ، وإنما هناك لغة غير هذه اللغة ، وتعبير يختلف عن هذا التعبير ، وصوت له رنينه ، وكلمات لها وقعها ، وإشارات لها صمتها وبوحها . . كل هذه الصور تعطي الإنسان قدرة الإيحاء ، وترسم له جلال الموقف ، وتمنحه قوة غير قادر على امتلاكها في الأوقات الاعتيادية ، إنّها حاسةٌ أخرى من حواس البشر ، وقوة إلهام لا يقوى على دفعها . وقد تكون هذه القوة هي الوجد الذي اصطلح عليه المتصوفة ، والإلهام الذي عبر عنه الشعراء ، والسكوت الذي تعقد عنده الألسنة ، وتقف في حضرته كل الكلمات حائرة واجفة ، مرتعشة مضطربة ، لأن

مبعث الكلمات لا يوافق حالاتها وهي تقال في المواقف الاعتيادية ، وجوهرها الذي تنطلق منه يتداخل في تراكيب لم يألّفها حتى صاحبها . من هنا كان حديث الشعراء الذين وهبوا قدرة التعبير وهم في حالات غير اعتيادية يُمثّل الحديث الإنساني المبدع ، وينقل الصوت الشعري النقي . إن وجود الحوار الذي يستطاب في ظل المواقف غير الاعتيادية يعطي النسغ الدافق ويحكي روعة الوداعة الحاملة التي يراها الشاعر ، ومن يسمع بوح حديثه ، وينصت لرنين ألفاظه ، ويستجيب لدعوة معانيه وأسرار عباراته وتراكيبه ، وفي غمرة النشوة الشاعرة وهي في ثنايا موجات التعاطف غير المنظور ، وكلاهما يرى الأمور بوضوح ، ويتفاعل مع الأحداث بوجودان خاص ، فاللقاء هو الوجه التعبيري عن اللحظات الصامتة ، والوقت المطلق في نطاق المحادثة أو المُعاش في إطار الزمن المحصور يتهاوى على إحياء دفقات الشوق ، ويكبر في دائرة الإحساس بامتلاك الزمن على أية صيغة كانت ، وهذا الشعور يعطي الزمن بُعداً مختلفاً ، ويضفي على الكلمات رداءً جديداً ، ويسكب عليها من وجدانه المحسوس ما يتركها قادرة على أن تتداخل في كل تركيب ، لتأخذ الشكل الموحّي ، والصوت النغمي المطلوب . إن هذا الإحساس يمكن أن يقال في كل لون من ألوان القصائد الخالدة التي رددتها الأجيال ، ووقفت عندها قلوبُ العشاق ، لتقرأ في دفقاتها أصوات جسّها ، وترى في مواقفها الحية ألوانَ مشاعرها وهي تمر في ذات اللحظة ، وخفقات وجدانه المرتعش في عين الموقف ، وتحس موجات إحساسه المرهف تتساقط ألفاظاً غير مفهومة ، وتتراكم عباراتٍ تنتهي عندها المعاني المطلوبة ، وتلتحم أصوات الألفاظ موجة من التناغم غير معبرة عن أيّ اثتلاف منطقي . وتتزاحم في ذاتها صورة اللقاء الخالد وهو يتجدد بعيداً عن الزمان والمكان ، وخارجاً عن إطار الإحساس المادي ، لأن صورة الوفاء والبقاء والخلود والتواجد وبكل المفاهيم التي اكتسبتها وهي تمر عبر خفقات القلوب ، والصور التي عرفتها وهي تتحدد في نطاق التعامل الذاتي هي التي تعطي اللحظات قوتها في اختراق المسافات ، وتمنحها واجهة التواصل الإنساني لتظل حَيَّةً في كل ضمير يدرك دوره في حُب الحياة وأهميته في إنعاش النفس الخالدة عند الوداع أو الاستذكار .

إنّ هذه الحقيقة تؤكد الاستمرار الإنساني في التلقي والمتابعة في الاستذكار

والتوحد في حالة الاستثارة . فالإنسان هو ، والعاطفة هي ، والمنهج المرسوم  
للسلوك العام هو ، ومن غير المعقول أن يكون القلب المتلهف عند الشعراء واقعاً  
في دائرة المساومة ، أو محسوباً في نطاق المتغيرات ، أو عاملاً خاضعاً لما تخضع له  
الوسائل غير الإنسانية . وهي مسألة لا بُدَّ أن تُحسب في إطار المعادلة الدائمة في  
مبادلة العواطف ، وقائمة في اعتبارات الإحساس الإنساني بكل استجابة مؤثرة ،  
وإذا كان شاعرنا قد حمل بعض قصائده نفحات العَبَقِ الشعري وهي تتصل  
وحياً ، وتتجدد مشاعر ، وتتحد قلباً وعاطفة ، فإن القلوب ماتزال ظائمة تستعيد  
الذكريات العذبة ، وتلمس المعاني الندية لتزيح عن كاهلها آتاع السنوات  
الثقال ، وتحفف عنها هموم الحياة التي بقيت مصدر إرهاق ، ومبعث تعب ،  
وينبوع اخفاقات . وليس غريباً أن تظل المشاعر البشرية الأصيلة متواصلة في  
الدفق الحياتي ، ومتماثلة في كثير من حقائقها الثابتة ، وزاخرة بالعطاء العاطفي  
النابع وهو يوجد حيناً وذكريات وهموماً . وإذا استطاع شاعرنا أن يتفرد عن أقرانه  
الشعراء بابتعاده عن المسحة الحزينة أحياناً ، والتي علقَت بعض قصائد الشعراء  
أو كانت موضع استثارة لبعضهم ، وهو يدخل دائرة الفراق أو الوداع أو الوقوف  
على الديار ، فإنه قدم لنا نموذجاً يجمع بين طرفي المعادلة ، ويوحد بين أجزاء  
المفاضلة ، ويختار منها ما يعطيه ابتسامة الثقة ، ويضفي على نفسه راحة  
الساحة ، ووجهة التعاطف بما يقنع به ذاته ، ويترك له الخيار في انتقاء الجانب  
المقبول ، والشاعر يمهّد من خلال هذه المباشرة ، والألفاظ الموحية بالبعد  
والإحساس ، ولا بد أن تكون ثقته معبرةً عن الرد المناسب الذي تعود عليه وهو  
ينتهي إلى النتائج ، وحاله وهو يقبل الحل المعقول هو الدليل على الساحة التي  
لازمته عند كل تأزم ، ووافقت مزاجه بعد كل تواصل روحي . ويحاول الشاعر  
وهو يعقد المقارنة أحياناً أن يكشف عن ادراكه الحقيقي للحب ، ويرفض  
الإطلاق في تحديده ، ويأبى أن يقترنَ الحديث عن كل الشعراء الذين تغنوا به  
بنفس الأسلوب ، وبذات الطريقة ، ويعين الكيفية ، لأنه يرى التفاوت الواضح  
في التعبير والإدراك والإحساس ، والمخالفة الحادة في كل حالة ، والتضاد  
المحسوس في كل انعكاس ، وقد دفعه هذا الشعور إلى الاستغراق في تعبيره ،  
والتواصل في الحديث عنه ، والتعاطف مع كل خفقة من خفقاته ، وهو من جملة

المتيمين والعشاق عبر العصور الطويلة ، وحتى في المفهوم الخاص به يجد تعاوناً لأنه يدرك أن التعبير الحادّ والحاسم له أوقاته وله خصائصه ، وأن الإنسان يتحول فيه إلى عالم آخر ، يبتعد فيه عن كل الأجواء ، ويظيف به خياله حتى يتناسى العالم المحيط به ، ويستحيل إلى تراتيل وأناشيد وأدعية ، وتبدل حاله إلى انغام تتناسب فيها الألفاظ ، وتوحي بها المشاعر ، وتتفق الوحدات اللفظية تركيباً وإيجاء واحساساً ، وهو الدرجة السامية من درجات الوصول ، ولم يتهياً له هذا العالم إلا من خلال التواجد والاستغراق ، والتذكر والحديث الموحى ، والنغم المنساب في مسارب كل تعبير . . إن حديث الشاعر عن هذه الظاهرة تدفعنا إلى أن صاحبنا يتحدث بلغة أصحاب التصوف وإن لم يكن معروفاً في زمانه .

إن صوت الفراق الذي ظل يلوي إرادة الشاعر هو صوت له حكمه في كل حركة من حركاته ، ولكنه يؤمن بأن الزمن القابل وصوت اللحظات التي يتلهمها — وهي تنطلق عند كل لقاء — تعيد إليه الثقة بأن العشق الكبير سيتجلى في دواخلهما وفق أشكال معقولة ، ليضيء الجوانب التي ستصبح بأمس الحاجة إلى لقاءٍ أبديٍّ تستعاد به صورة الحديث الهاديّ ، والصمت الناطق ، والهلمسة المعبرة ، وخفقة القلب التي هي أشدّ اتصالاً من كل الخفقات الأخرى مهما كانت متقاربة .

إنها إرادة القدر الذي وضع الشاعر فيه ، وإرادة القلوب التي التقت في مرحلته ، وإرادة الصدق التي استطاعت أن تجذو العشق في قلبيهما ولم تجده في القلوب الأخرى ، وهذا ما يدفعه إلى أن يظل حريصاً على الآمال الكبيرة التي تتجدد عند كل جلسة ، وتقال عند كل لقاء ، وتتجسد في كل حديث . .

فالشعر والبلاغة — كما يقول ابن قتيبة — لا يقصرهما الله على زمن دون زمن ، ولا خصّ بها قوماً دون قوم بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره .

ولم تكن نظرنا لشعر عبدالله بن العجلان بعيدة عن نظرة ابن قتيبة وإن كانت متأخرة عنه وهو يصنف للشعراء كتابه بعد أن ابتعد عن النظرة التقليدية التي ظلت تتحكم في كثير من المقاييس ، وتحدد درجات الشعر وفق المنطق الذي

يجعلهم أقرب إلى المؤلف على الرغم من مخالفته ، وتقليدهم للمعروف وهم يدركون فساده ، وإذا كان الحديث عن النص والاقتراب في تناول المعاني يدخل في إطار التقويم الحقيقي لما يمكن أن يقدم فإن نظرتي إليه وقراءتي لشعره كانت خارجة على إطار الزمن الذي نظر إلى المتقدم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره فكانت - وكما قال ابن قتيبة - نظرتي نظرة عدالة بين الفريقتين ، فأعطيته حظّه بما يستحق ، ووفرت عليه حقه الذي يستأهله . إنها الحقيقة التي عاشت في نفسي وأنا اتحدث عن الشاعر برغم الزمن الطويل الذي قطعت أخباره .

ويبقى حديث الإبداع معادلة بين طرفين ووجهاً لمعادلتين يأخذ التكرار جانباً منها ويتمسك الإبداع بوجهها الآخر لتظل المعادلة قائمة ، وليبقى النص الموحد الذي تدور في إطاره حكاية الأشباه والنظائر مادة للحديث ، فالأوائل من الشعراء رسموا رسوماً تبعها من بعدهم ، وعوّل عليها من اقتفى أثرهم ، وإذا كان للتاريخ والزمن حصة في هذا المجال فإن عبدالله بن العجلان يُعدُّ نموذجاً متقدماً استطاع أن يرسم الحدود البعيدة ، ويعطي الذات الإنسانية حقها في الحياة .

وإذا كان للتاريخ والزمن جسٌّ وجدان وخوافق فإن للصوت في شعر النهدي ألوان أخرى يثير في أعماقه نوازع ، ويؤدي مهمات ، ويوحى بما توحيه الكلمة ، ويعبر عنه التركيب ويستحوذ عليه أحياناً حتى لا يترك له مجالاً في المخاطبة ، ولا يمنحه فرصة التعبير عند الحوار الصامت ، فتصبو له حواسه ، وتهفو له جوانحه ، وتنتهي عند مقاطعه كل الأحاديث التي كان ينوي إيصالها أو الحديث عنها أو نقلها نقلاً مباشراً فالصوت له في ذاته ترنيمات والمقاطع لها في وجدانه توافق ، والنغمات التي تصاحب الكلمات تثير في نفسه مالا تثيره أشد القصائد عاطفة وأكثرها تأثيراً ، لأن قصيدته التي تضم كل أحاسيسه هي النموذج الذي يستمع إليه ، ورائعته التي نستمتع بأبياته هي الكل الذي تتكامل فيه الأجزاء وتجتمع الأحاد وتقف عند رحابة كل المعاني والمفردات . . إنها الحالة التي لا يطيق احتماها وهو يصمت في دائرة الحديث المشترك ، والظاهرة التي يندر وجودها وهو يروها في أحاديث البشر ، فقد عاش الحب بجوارحه ، وأدرك سرَّ الخلود في جديته ، فكان التواصل حديثاً لا ينتهي ، وكان اللقاء الذي تستعاد به

الذكريات لا ينقطع تلوي على لحظاته عواطف الزمن ، وتذوب في فيض تجلياته كوامن القسوة التي تخلقها الأيام . . ويكتب على هذا العاشق الغريب أن ينطوي ، وتبقى في نفسه وهجات حية تنير ظلام الغربة ، وتشرق قسامتها بتألق المحبة والتواجد ، فيخرج من عزلته مرة بعد كل انقطاع لا يرى من العالم إلا هذا ، ولا يتحدث مع أحد من البشر عداها ، ولا يودع بعد حديثه الذي يستغرق كل الزمن المحسوب في وهدة الانقطاع إلا صورتها فيصبح حديثها الزاد الذي يتزود به ، وتكبر في نفسه الحياة التي أوشك الانقطاع أن يذهب ببعض إشراقها ، ويعود بعد حديثه أكثر شوقاً إليها وأشد التصاقاً بحديثها ، وأعظم إيماناً بحبها الذي لا ينتهي . . والزمن في هذه الدائرة لا يحدد بالرغم من امتدادها ، واللقاء لا يورق بما علق به من خوافق التعامل الذي فرض عليهما الواقع الذي لم يجلّ دون أخذهما من متاع الدنيا ما يعني ، ولم يقف في طريق الحوار الذي تبسط فيه الكوامن وتسرد فيه أعزّ الأمانى وأصدق الأحاديث .

إن استمرار الإحساس بحيوية القصيدة ، وجدية معانيها ، وأصالة عواطفها التي تجد فيها الأجيال صوتها وهي تفاخر ، وارتياحها وهي تتحمس ، وعواطفها وهي تعشق ، وسخريتها وهي تهجو ، وإعجابها وهي تمدح ، تؤكد التعبير الوجداني الحي الذي تلتقي فيه الأبيات ، والوجه المقبول الذي تتفق على قسامته وهي تستعيد بعض أبياتها ، وتختار فيها ما يوافق مشاعرها يمثل الامتداد الزمني الواضح والناض الذي يكمن في أسرار قدرتها ، وهو ما ظلت تتواصل به القصيدة العربية في أحاديث النقاد العرب وهم يواكبون القصيدة شرحاً موجزاً أو تفصيلاً ، ويستطردون في ذكر المعاني المتلاحقة ، ويتقاربون في جمع ماتشابه منها ، وتوحدت فيه لأن مجرى الإيحاء واحد ، وتوجه الإحساس مُتقارب ، فتصبح المعالجة - في إطار حدود المتداول منها - قريبة المآخذ ، بينة المعالم ، متوافقة من حيث الإطار الذي تعامل فيه الشاعر ، وهذه المحاولة لا تحول دون قدرة الشاعر الإبداعية ، لأن الإبداع يبرز في الإجماع على اختيار الصورة البارعة والمثيرة ، والاجماع على صدقها المتميز في التقويم ، والاتفاق على اعتبارها أكثر الأبيات قدرة على التعبير وأشدّها مطاوعة لما يمكن أن تملكه من إغناء ، وإرضاء للحاجة

الزمنية التي تتفاوت أقدارها في تمثيل الحالة ، وشدة اختراقها للحجب الكثيفة التي تمسك بزمام المستقبل ، وهو ما يحققه النص الذي يتجاوز هذه الحالات ، ويعبر المسافة الخيالية التي تبدو لنا قرونا ، ولكنها في احتساب المشاعر متصلة لا تحد ، ممتدة لا يوقفها إحساس الغربة أو شعور بالاغتراب ، وهذا ما عليه الحركة المناسبة لما يعانيه الإنسان مع أحوال غير محصورة بزمن ، أو محددة بمعاناة فردية . فالشمولية التي تمتلكها الأبيات أو المقطعات ذات إحساس داخلي واحد ، ينطلق من المعاشية الحقيقية ، التي تلامس كل نفس ، وتنبعث مع كل نفثة تثيرها ذكرى ، وتحللها لهفة عاشقة . . ويتمثلُ البعد الحقيقي في قصائد الشاعر في الانقطاع من جانب واحد ، والاعتزال عندما تشتد حالات التأزم والإحساس بالاغتراب عندما يجد نفسه في وضع حبيس ، تتجاذبه سوررات الإخفاق ، وتغرقه لحظات الشعور بحالة البعد غير المتوقع ، وتتقاسمه هموم الأرق الشجي وهو يعاني من انقطاع حاد في لحظات غير محسوبة ، وتراجع عن مواقف حُسمت نتائجها منذ فترات ، وانتهت أحاديثها بعد قناعات هي الحالة التي تعطي صاحبنا هذا التراجع ، وترك له خيار التوقيت لما يحاول أن يتخذه من مواقف ، أو يرتضيه من أحكام ، ولكنه يبقى مُصرّاً على الموقف الذي حدده لنفسه ، ويبقى متعلقاً بالأمل الكبير الذي ترسمه له من خلال التعبير الهادئ كلماتها العذبة ، وصوتها الدافئ ، ورقتها التي لم تمنحها لكل الآخرين . . إنها النغم الذي اعتاد سماعه ، والأنشودة التي يظل يحلم بها في كل مرة ، هي الردّ الوحيد الذي يبدد أوهام التراجع أحياناً ، وينهي ألوان الاحتمالات التي تتكاثف في دروب الرؤية غير الواقعية . . إنه الوهم الذي تثيره لحظات الاشتياق الحاد ، والشوق الحائر ، واللهفة الصادقة ، فتستحيل الأجزاء الصغيرة عالماً كبيراً ، وتبديل الوداعة الصامتة إحساساً بالغربة لا يلوي صولتها إلا التأمل الكريم الذي يعطي الهاجس فرصة المراجعة ، والإيحاء النبيل - الذي عودته عليه - الذي يضمن للشاعر بقايا الأمل . . وتتباعد خطوات الرحلة الطويلة ، وتتناثر أصوات الشاعر الواله ، وتستفيق ذكريات الموروث التاريخي أحزاناً وهواجس ومخاوف ، وعندها يتحول الحديث إلى وهج من النظرات الموحية ، وألّت من النور المشع ، وهدوءٍ تستجيب له كل الحواس ، واستعطاف في الملامح تفصح عنه الإيماءة ، وتفضي به الحركة

الوديعة ، ويحاول بعد أن يتمالك نفسه بعض الشيء ، أن يعيد بعض ما أراد إعادته .

فالحديث عن النموذج ( الحبيبة ) يأخذ مساحته الواسعة ، ويكاد ينفرد به لما توصل إليه الشاعر من اعتقاد ، وأمن به من نظرة ، وعرفه من خلال الإحساس الكامل بهذا النموذج ، حتى أصبح الحديث عنه لا يبتعد بأي شكل ، والوقوف عنده هو الحالة الراهنة ، والتفكير به هو الصورة القريبة ، والتطلع إليه هو الأمل الوحيد . . إنه تحوّل واضح ، وتكثيف غير اعتيادي ، وتفرد كانت نفعاته تملأ الأبيات ، وصور الوداع توشك أن تنتهي في قاموس المفردات ، وهو اجس التردد تصبح أشباحاً متضائلة في الحسابات التي كنت أقفُ عليها وأنا أتابع قصائده ومقطعاته .

فالحديث عن فراق العشاق من الأحاديث الطريفة في الأدب العربي ، لما يصاحب هذا الفراق من حالات أقرب إلى المأساة منها إلى الحياة المألوفة ، وغالباً ماتتتهي بحالة الموت التي تشفع بجوٍّ من الألم وواقع من الدهول ، وغشية من الموت وغيرها من الحالات التي تعطي الظاهرة وجهاً عاطفياً حياً ، وتملأ الصورة بكل ما يجعلها معبرة عن هذا الشوق القاتل ، والوجد المमित ، والتضحية النادرة ، وكثيراً ما نجد الصورة تتكرر عند الشعراء الذين يجربون على الفراق ، ويقعون تحت طائلة الظروف الصعبة التي تحملهم على الطلاق من أعزّ النساء اللواتي ارتبطت حياتهن بحياة الشعراء ، فشهروا بأسمائهن ، وعرفوا بحبهم الفريد ، وتضحياتهم النادرة ، وهيامهم الذي لا نجد له نظيراً في حياة الآخرين ، وهنا تكبر حالة المأساة ، وتتسع دائرة الألم ، وتأخذ الزاوية بُعداً الواسع بعد أن تمتليء بأخبار غريبة ، وأحداث لا يتصورها الإنسان ، لما يرافقها من وفاء صادق ، وإخلاص عزيز ، وتضحية فريدة ، لأفكار لا نراها إلا عند أوئك الذين عاشوا الوفاء إيماناً ، وبذلوا العمر تضحية ، وتحملوا ألم الفراق والغربة ثوباً واحتساباً ، لأن عفتهم التي عُرفوا بها ونزاهتهم التي التزموا بأصولها حملتهم على أن يظلوا رموزاً لهذا الوفاء ، ونماذج من طرازٍ خاص لعالم الإنسان الذي اتسعت مجالاته للحياة المادية ، وفقد الإنسان فيها أسباب النزوع إلى الخلود . . .



إن هذه الحالات التي تمثلت عند كثير من الشعراء تُحَدِّدُ الطَّرِيقَ لهذه المجموعة التي ذاقَت الحُبَّ بِأَرْقِ عَوَاطِفِهِ ، وتلمست العشق بأدقِّ أوصافه ، فعرفوه حق معرفة ، وقدروه عظيم قدرة ، فهانت عليهم الحياة إكراماً مثلهم ، وسَهَلَتِ التضحياتُ اعتزازاً بنشوة استمرأوا مذاقها ، وحديث استطعموا لذته ، فعاشوا أسيري هذا الواقع الذي لازمهم في كل تصرف ، وسائرهم في كل مرحلة ، وعاش معهم في كل لحظة .

وعبدالله بن العجلان رائد للشعراء الذين مروا بالتجربة ذاتها ، وتحملوا الشوق بغصصه ، وكابدوا العشق بمرارته ، فرسم لأولئك العشاق طريق الخلود ، وحدد لكل المؤمنين بقيم الحياة مسالك الوفاء ، ودروب السعادة التي لا تنتهي عند حد ، ولا تتوقف عند نقطة فاصلة .

وقد عبر شعر عبدالله عن هذه الظاهرة بما جعله من المتقدمين على أولئك الذين أخضعوا لها . وليس أمرٌ على الإنسان من أن يضطر لمغادرة حالة لا يريد فراقها ، ويهجر مسألة تعلق بها ، فهذه التي تعلق بها كانت أحبَّ الناس إليه ، وأحظاهم عنده ، مكثت معه سنين سبعاً أو ثمانياً لم تلد . . وهنا تبدأ عقدة الموضوع التي هيأت فرص الحديث لمن يجد في الولد عنصر قوة لأنها التقاليد المفروضة ، وهو السيد في قومه ، وابن سيد من ساداتهم ، وكان أبوه أكثر بني نَهْدٍ مالاً ، وهو الوحيد لأبيه . . لقد تراكمت المسيبات التي تسوغ للوالد الحديث بعد أن اتضح لهم أن هنذا عاقراً ، ولم يكن الحُبُّ في قلب الشاعر العاشق مرتبطاً بالإنجاب ، أو محصوراً بالنسل أو الولد ، وإنما السعادة التي عاشت في وجدانه ، وهو يحقق الحياة مع المرأة التي كُتِبَ عليه أن يتعلق بها . ومع أن الرواية التي أُحِيطَتْ بها حياة هذا الشاعر قد امتدت لتأخذ مجالها في الخيال ، أو حصَّتها في أسباب التسويغ ، إلا أنها ترسم خطأً للأسلوب الذي دُفِعَ إليه الشاعر ليكون ملائماً لرغبته ، ومنسجماً مع جزئيات القصة الغريبة التي تكتنف تلك الحياة .

لقد كانت حالة الرفض التي يبديها الشاعر ، وحالة الإصرار التي يرومها صورةً لرسم البعد الإنساني المتمثل في هاتين الحالتين ، وهذا يدفع الوالد إلى أن يتخذ الموقف المضاداً لرغبة الابن والمناهض لفلسفته في الحياة ، وقد بررت المعادلة

التقاط الزمن الذي يقرر فيه الابن دون إرادته ، ويوافق على مواقف لا يملك فيها حرية التصرف ، فكانت قصة الطلاق التي شهدها مجلس والده ، بحضور مشيخة الحي وفتيانهم ، وما تعرض له من تناول بالألسنة ، والتعير بالضعف والخضوع والانصياع ، وما واجهه من استفزاز لم يتحمل ضغطه ، ولم يقاوم قومه ، ولم يزالوا به حتى قال كلمته التي نَدِمَ عليها وبكى من أجلها ، وعاش حياته كلها يذكر حالة الضعف التي اعترته ، وكلمة الطلاق التي استُفِزَّ بها ، وقد استغرقت من شعره مساحة كبيرة ، وسفح من أجلها الدموع الغزار ، وعاش يذكر أيامها وأحاديثها .

ولم يتعد وهو في غمرة هذه الحالة من الإشادة بفروسيته ، والحديث عن بلاء قومه ، وهو كعادة الفرسان يستشهد بالخيال على مطاردة الخصوم .

وبقيت حالة المروءة التي تمثل بها نابضة لا يقدر على التخلي عنها ، ولا يجد المجال بعيداً عن مغادرتها . وفي أعماقه كانت المأساة تُلهِبُ مشاعره ، وكان حبُّ هند يتأجج كلما ذكر اسمها أو خطر طيفها ، أو استذكر ساعة من ساعاتها . . حتى كُتِبَ عليه أن يعيش الزمن الباقي غُصَصاً يتجرع مرارتها ، وآلاماً يشرق بها ، وقد دفعه حبه إلى أن يخاطر بنفسه وضاق به السبل . فلما اشتد عليه الألم من السقم خرج سراً من أبيه مخاطراً بنفسه ، حتى أوفى أرض بني عامر ، لا يرهب ما بينهم من الشر والتّرات ، حتى نزل ببني ثُمَيْرٍ ، وقصد خِباءَ هِنْدٍ ، فلما قارب دارها رآها جالسة على الحوض ، وزوَّجها يسقي ويدود الإبل عن مائه ، فلما نظر إليها ونظرت إليه رمي بنفسه من بعيره ، وأقبل يشتدُّ إليها ، وأقبلت تشد إليه ، فعانق كل واحد منهما صاحبه ، وجعلا يبكيان وينشجان ويشهقان ، حتى سقطا على وجوههما ، وأقبل زوج هند لينظر محالهما ، فوجدهما ميتين .

وقيل : إن عبدالله بن العجلان أراد المضي إلى بلادهم ، فمنعه أبوه وخَوْفُهُ الثارات ، وقال : نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة ، ولم يزل يدافعه بذلك حتى جاء الوقت ، فحج وحج أبوه معه ، فنظر إلى زوج هند وهو يطوف بالبيت ، وأثر كَفَّها في ثوبه بخلوق ، فرجع إلى أبيه في منزله ، وأخبره بما رأى ، ثم سقط على وجهه فمات .

**نهد قبل البعثة النبوية :** يمتد تاريخ نهد في أخبار القبائل امتداداً واسعاً لما عرفت به من أجداد ، وهم أبناء زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، كما يذكر البكري ، وتشير المصادر التاريخية إلى أن نهداً وعُدرةً وجُهينةً وحَوْتكةً نزلوا من الحَجْرِ إلى وادي القُرى<sup>(١)</sup> وقيل : إن قضاة كلها ظعنن من غور تهامة<sup>(٢)</sup> وكان أول من طلع من قضاة إلى أرض نجد فأصحر في صحرائها جُهينة ونهدٌ وسعد هُدَيم . . . ولم تستقر نهدٌ في موضع شأنها شأن كثير من القبائل التي كانت تجر في الجزيرة العربية أرضاً لها ، وفي كل شعبٍ من شعابها أو وادٍ من وديانها مسكناً تستقر فيه ، ولكنها وجدت في وادي القُرى وما والاها من البلاد موطناً ، فلم يزالوا حتى كثروا وانتشروا ووقعت بينهم حرب افترقوا على أثرها في أرض العرب ثانية ، حتى انحدرت جَرَمٌ ونهدٌ إلى بلاد اليمن ، فنزلوا أرضاً تلي السراة يقال لها أديم ، وأمرهم يومئذ جميع وكلمتهم واحدة<sup>(٣)</sup> ولحقت جَرَمٌ بنهدٍ ، وحالفوا في بني الحارث ، وقيلت في ذلك أشعار كثيرة تشير إلى ذلك الحلف<sup>(٤)</sup> ولم تزال جرم ونهد بتلك البلاد ، وهي على ذلك الحلف حتى ظهر الإسلام ، ومن هنالك هاجر من هاجر منهم وبها بقيتهم<sup>(٥)</sup> .

وتؤكد المصادر التاريخية وكتب الأنساب عراقه نهد في الرياسة ، وتشير وصيته لبنيه واهتمام قومه بها إلى المكانة التي كانت تتمتع بها بين بطون القبائل الأخرى ، واحتفاظ الرواة بما قيل بشأن هذه الوصية لما تركته من أثر في نفوس الآخرين حتى قال هُبيرة بن عمرو بن جرثومة النهدي فيها<sup>(٦)</sup> :

وأوصى أبونا فاتبعنا وصاته  
فأوصى بالألأ تستباح دياركم  
إذا أوفدت نار العدو فلا يزال  
يفرج عن أبنائنا ونسائنا  
وماذاد عنا الناس إلا سيوفنا  
وكندة تهدي بالوعيد ومدحج  
وكل أمرئ موص أبوه وذاهب  
وحاموا كما كنا عليها نصارب  
شهاب لكم ترمي به الحرب ثاقب  
جلاد وطعن يردع الخيل صائب  
وخطبة مما يترص زاغب<sup>(٧)</sup>  
وشهران من أهل الحجاز وواهب

وقال عمرو بن جِلْزة بن مالك النهدي :

رَحَلْتُ إِلَى كَلْبٍ بِحَرِّ بِلَادِهَا  
فَلَمْ يَسْمَعُوا فِي حَاجَتِي قَوْلَ قَائِلٍ

وَكَانُوا كَظَنِّي إِذْ رَحَلْتُ إِلَيْهِمْ      وَمَا عَلِمَ بِالمُكْرَمَاتِ كَجَاهِلِ  
رَهْنَتْ يَمِينِي فِي قُضَاعَةٍ كُلِّهَا      فَأَبْتُ حَمِيداً مِنْهُمْ غَيْرَ حَافِلِ  
بِذَلِكَ أَوْصَانِي زُوَيْبُ بْنُ مَالِكٍ      وَنَهْدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الخُطُوبِ الأَوَائِلِ  
وَأَوْصَى بِالأُتُسْتَبَاحِ دِيَارِكُمْ      وَحَامُوا عَلَيْهَا تَنْطُقُوا فِي المَحَافِلِ  
وَعَالُوا بِأَخِذِ المُكْرَمَاتِ فَإِنَّهَا      تَفُورُ غَدَاةَ السَّبْقِ عِنْدَ التَّفَاضُلِ

وكان حنظلة بن نهد من أشرف العرب ، وكانت له منزلة بعكاظ في موسم العرب وتمامة والحجاز ، وعاش الذؤيد واسمه جذيمة بن صبح بن زيد بن نهد زماناً طويلاً ، لا تذكر العرب من طول عمر أحدٍ ما تذكر من طول عمره ، وزعموا أنه عاش أربع مئة سنة ، وقال حين حضرته الوفاة<sup>(٨)</sup> :

الْيَوْمَ يُبْنَى لِذُوَيْدٍ بَيْتُهُ  
يَارِبُ غَيْلٍ حَسَنِ ثَنِيَّتِهِ  
وَمِعْصَمٍ مُوشِمٍ لَوِيَّتِهِ  
وَمَغْنَمٍ فِي غَارِ حَوِيَّتِهِ  
لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بِلَى أْبَلِيَّتِهِ  
أَوْ كَانَ قَرْنِي وَاجِداً كَفَيْتِهِ

لقد وجدت هذه القبيلة في وصية نهد حافراً للدفاع عن مجدها ، وتوثيباً للوقوف بوجه خصومها ، وهو يحدد لهم فلسفته في الحياة ، ونهجه في تأمين مستقبل أبنائها ، لأن استباحة الديار إسقاط لهيبة القبيلة ، وإذلال لكبريائها ، واستهانة بقيمتها ، مشيراً إلى أنهم ظلوا يحمون حماها ، ويصونون شرفها ، ويذودون عن حياضها ، وأن المواجهة الحاسمة والموقف الحازم هو الذي يفرج عن الأبناء والنساء ، وأن السلاح وحده هو الصوت الذي يرتفع لرد الغزاة الطامعين ، ودفع شرهم . . . وهي كالألات تؤكد سمو منزلة القبيلة ، وعلو كعبها بين القبائل ، وعزتها في صدّ الذين تسول لهم أنفسهم بالتجاوز عليها ، وقد أمدت هذه الخصال شعراء نهد بخصائص ظلوا يرفدون قصائد فخرهم بها ، ويغنون مضامين مديحهم بما يجردونه فيها من أسباب التناحر ، وعوامل التوثيب ،

وقد بقيت أصداؤ الوصية في شعرهم نشيداً من أناشيد الاعتزاز ، ولحناً من لحون  
التفاخر . .

وظهر فيهم شعراء منهم عبدالله بن دهمم النهدي ، وهبيرة بن عمرو وخالد بن  
الصقعب .

أما بيوت الرياسة فكانت في حنظلة بن نهد ، وهو أول بيت في قضاة ، وكان  
صاحب فتاحتهم ( الحكم في الخصومات ) وهو حَكْمُهُمُ الذي يحكم بينهم ،  
وكان صاحب فُتَاخَةَ تهامة وصاحب العرب بعكاظ ، حين تجتمع في أسواقها وكان  
عزَّ قضاة وشرفها بني نهد<sup>(٩)</sup> .

وللهمداني رأي آخر في ارتحالها وتفرقها حيث يذكر ان نهداً ارتفعت إلى نجد  
العليا وقد كانت دهرأ بتهامة<sup>(١٠)</sup> .

ويبدو أنها استقرت بين رضوى وعزور وهما - كما يقول البكري - جبلان  
ينبتان الشوحط والنبع والقرظ ، وفيهما مياه وأوشال ، تخرج من شواحق لا يعلم  
متفجرها ولهم فيها يسار ظاهر ويصب الجبلان في وادي غَيْقَةَ ، وغَيْقَةُ تُصَبُّ في  
البحر ولها مُسْكٌ تُمَسِّكُ الماء<sup>(١١)</sup> . واتخذوا من الصفراء قرية تسكنها جُهينة  
والأنصار ونهد وهي كثيرة المزارع والنخل ، ماؤها عيون يجري فضلها إلى  
ينبع<sup>(١٢)</sup> ، وتتخذ فيها البقول والبطيخ .

ومن الظواهر الجلية في شعر عبدالله بن العجلان ظاهرة المقطعات التي لم تكن  
نتيجة قَصَرِ نفسه أو خِصْصَةً من خصائص شعره وإنما هو الزمن الذي اقتطع منها  
ما اقتطع وأبقى منها ما أبقاه ، لتظل هذه البقايا أشلاء قصيرة توحى بما أصابها  
وتدلل على ما اجْتَرِيَّ منها . . حتى بدأنا نشعر بالحيف الذي لحقه والضياع الذي  
انتاب حياته وشعره ، فوصلت إلينا أجزاء شعره وهي تحمل ألم التجزئة ، وتؤكد  
حالة الانقطاع ، وقد عمت هذه الظاهرة شعره وغلبت عليه ، ولم تقتصر على  
بعض قصائده التي وصلت إلينا ، وإنما شملت شعره برمته ، حيث امتدت إليه  
فلم يبق من شعره إلا مقطعات قليلة لا تكفي للأحكام التي قيلت فيه ، والشهرة  
التي عُرفَ بها والمنزلة التي وصل إليها بين الشعراء العشاق .

ويمكن حصر ماتبقى من شعره بظاهرتين بارزتين الأولى تمثلت في تغنيه بهند ، وهي الصفة الغالبة ، والثانية تمثلت في فخره بقومه وهم ينازلون خصومه من بني عامر الذين تزوج أحدهم هنداً التي أُجبرَ على طلاقها كما ذكرنا . . ويكاد الغرضان يتوافقان من حيث الإحساس المباشر والتأثير العاطفي والوجدان الذاتي .

وفي قراءة سريعة لما تمكنت من جمعه من الشعر المتبقي وجدت مجموعة من المفردات التي يأتي على ذكرها وهي توحى بغلبتها وتؤكد تأثيرها النفسي في حياته ، وملازمتها له ، وهو يعيش الغربة ، ويقاسي الشوق ، ويعالج الحنين ( فهند ) لها ثمان مفردات ويكرر ( الذكر ) ثلاث مرات و ( الندم ) ثلاث مرات و ( العين ) و ( الأثراب ) . والأفعال ( نأت ) و ( عاد ) مرتين ، وتأتي مفردات ( النوى ) و ( شطت ) و ( فارق ) و ( الشوق ) في سياق شعره وهو لا يخرج في أوصافه لهند عن أوصاف الشعراء الآخرين الذين وجدوا في صوحيبتهم من اللطف والرفقة ، وديبب القطا ، والميس بين الأثراب ، والتطلع إلى المرأة ، وخفة المسك والتطيب بالمداك والحياء والخوف من الرقباء ، والبراءة والحديث الملد ، والجدائل المستقرة على متنها ، والسرور عند العناق . . وهي المعاني التي تعارف عليها الشعراء ، وهو يجد في ذكرها وذكر أوصافها تعبيراً عن حالته ، وفي ترديدها راحة في نفسه ، وفي قراءتها أسباباً من أسباب تخفيف مايكابده من لوعة ، ولو حاولنا تجميع هذه المفردات ، وإعادة صياغتها وفق ما تؤديه لوجدنا الصورة المؤلمة التي كانت ترافقه وهو يحس بالندم القاتل ، ويعيش الغربة المميته ، ويتجرع الفراق المفزع ، وفي طرفي الحاليتين اللتين تحققنا في داخله واللتين تؤججان النوازع الهائمة فإنه كان يحاول التنفيس عن الحالة بما يعينه عليها شعره ، وتسربه إلى الآخرين نفثات حري ولواعج لاهبة ، وهو يشعر بطول الشوق ومعاودة الذكرى التي تهيج له الصورة الخالدة ، التي ظلت ملازمة له ، وعاشت في حياته رمزاً من رموز الحياة التي لا تمحى ، والرسوم التي لا تذهب ، وهو يعلم كل العلم أنه غير قادر على مقاومة هذه الحالة التي أصبح عليها بعد أن ظلت عناصر الفروسية أساساً من أسس حياته ، وأسباب القوة عاملاً مؤثراً من عوامل بطولته التي عرف بها . . إنها

حالة التراجع التي يضطر الإنسان إليها وهو لا يمتلك أسباب المقاومة ولا يستطيع أن يتجاوز حالة العشق التي غلبت عليه .

لقد كان الشاعر عبدالله نموذجاً ، حيث حدد الطريق لكل العشاق الذين سلكوا مسلكه ، فأتخذوا منه صورة في بناء القصيدة ، وشكل التعبير ، وانسيابية العواطف ، وحالة التأثر ، وكأنه أعطى هذا النمط الشعري من الحياة طريقاً لمن أراد أن يسير فيه ، أو ينهج نهجه ، وأصبحت قصته بداية لكل المظلومين من الشعراء ، الذين كتب عليهم أن يضطروا لمفارقة أحبَّتهم ، ويتعدوا عن الموحيات اللواتي أثرت فيهم عواطف الحب وفجرت دوافق العاطفة ، وهيات الفرص لأولئك الرجال الأماجد الذين لم تَلَوْ حُبَّهُمْ قطيعة ، ولم تضعف اندفاعَهُمْ فرقة ، ولم تبدد أحلامهم طوارق الحياة التي فرضت عليهم فكانت قلوبهم مليئة بما عاشوا له ، ونفوسهم عامرة بما حفظوا من ود . . . أما الحبيبات اللواتي تَحَمَّلْنَ العبء وأخضِعْنَ لما أُجْبِرْنَ عليه فكانت مأساتهن أشد ، وأشواقهن أمضى وأمدً ، ولكن الحوائل تحول دون التعبير ، وإن استطاع بعضهن أن يتجاوز حدود المواجهة – وكانت هن أجواؤهن المريرة ، وحياتهن الغريبة ، وأصواتهم المخنوقة التي لم تكذ تجذ فرصتها حتى تذوب حرقة ، وتكون شهقة الموت الأخيرة هي المتنفس الحاسم لما كابدنه من مرارة .

إنها صورة الحياة التي لازمت قيسَ لُبْنَى ، والمجنون وغيرهما ممن وقعوا في دائرة العشق القاتل ، لينتهوا النهاية التي عاشت في ذاكرة العشاق قصة لها ذكرياتها الخالدة ، وإنسانيتها العفيفة ، ومروءتها العزيزة ، ولكنها بقيت تحمل نَفْحَ العفة ، وأطياب الوفاء ، وعِزَّ المروءة التي سجلت على صفحات التاريخ لوحاتٍ مليئة بكل ما يجعل النفس الإنسانية معبرة عن الخير ، حاملة عناصر التضحية ، التي لا تنتهي إلى حدود ، ولا تقف عند مسلمات . لقد استطعت أن أتلمس أنفاسه فيما تبقى من شعره وهو يوصي كل الذين يملكون على هند أن يزوروا ، وينقلوا إليها نسمات الوفاء التي يحملها إليها ، وهو يعلم أنَّ الطريق التي يجتازونها لا تهدي إلى ديارها ، ولكنه يشعر بأن حق الرعاية والوفاء يمليان عليه أن يؤديه ، لأن فرص الحياة ذاهبة ، والزمن له أحكامه ، والقلوب لها حقها في مسالك

التكريم ودروب الخير والسعادة .

وتبقى قصيدته التي قالها بعد طلاقه من هند صرخة عاطفية حادةً عبّرَ فيها عن ندمه ، وأفاض من خلالها بما كانت تطويه خوافقه من أشواق . وكانت ومضات الفروسية تتجلى في ثنايا القصيدة التي يشير فيها إلى بني نهد ( من قومه ) . . ولكنها نفثات محزون ، وصرخات متألم . . ويشير في بيتين انفرد بهما ياقوت في « معجم البلدان » إلى أن هنداً أصبحت عامرية ، وأصبح نهدياً بنجدين ، ويبدو أن بني غير من بني عامر كانوا يَحْلُونَ الرِّياض .

أما الظاهرة الثانية التي وضحت في شعره فهي فخره بأيام قومه ، وهزيمة عامر الذين كانت لهم منازلهم المتواصلة ، وقد احتفظ شعره بقطعة طويلة ( أربعة عشر بيتاً ) وهي أطول مقطوعة في شعره ، وتذكر الأخبار أنه قالها يوم انهزام عامر بعد أن أرسلته هند لينذر قومها قبل أن يأتيهم بنو عامر ، وقد افتتحها بالنسيب ، ولم تكن هند بعيدة عن هذه المقدمة . . وقد زحرت القصيدة بمفردات الفروسية التي عرف بها الشاعر فكانت لغة ( صمّ القنا ) و ( الدماء ) و ( الخيل تنحط في القنا ) و ( العوالي ) و ( الرماح ) و ( صرعى ) وغيرها من المفردات هي التي تحرك معاني القصيدة ، والتهديد الذي ضمنه بعد أن رفضت عامر السلام ، وهو إحساس بالروح الخيرة ، التي كانت تسم حياة الشاعر ، ويقف مرة أخرى في أبيات ثلاثة عند وقعة أخرى ببني عامر ، ويفخر فيها ببطلته وبلائه ، ولكننا لم نعر إلا على مقدمة الأبيات .

ولم أجد إشارة إلى شعره أو ديوانه فيما توفر لدي من المصادر وربما يكون ضياع شعره وقلته في عصر التدوين قد حالت دون جمعه أو شرحه ، وهي ظاهرة لم تقتصر على شاعرنا وحده . . وإن كانت هناك إشارة إلى شعر نهد في بعض المصادر .

لقد كانت حياة الشاعر عبدالله نموذجاً للشعراء الآخرين ، حيث أصبح رمزاً يضرب به المثل ، ويقتدى بعشقه الذي ذاع صيته فهو من عشاق العرب المشهورين الذين ماتوا عشقاً<sup>(١٣)</sup> وقد ذكره بعض الشعراء فقال :



ان متّ من الحبّ فقد مات ابن عجلان

وقال ابن سيرين : ماسمعت أن أحداً مات عشقاً غير هذا . يعني  
عبدالله<sup>(١٤)</sup> . وقيل : إنه شاعر مفلق وناطق مذلق رقيق أديب<sup>(١٥)</sup> ونقل عن  
« بلغة الإشفاق في ذكر أيام العشاق » لأبن رشيق أن عبدالله هذا أقل العشاق  
أياماً ، عاش يكابد المحبة وغصة العشق ثلاثين سنة ، وهو جاهلي ضرب به المثل  
كما ضرب بعروة فقيل :

فَمَا وَجَدْتُ وَجِدِي بِهَا أُمُّمٌ وَاجِدٍ      وَلَا وَجَدَ النَّهْدِيُّ وَجِدِي عَلَى هِنْدٍ  
وَلَا وَجَدَ الْعُدْرِيُّ عُرْوَةَ فِي الْهُوَى      كَوَجِدِي وَلَا مَنْ كَانَ قَبْلِي وَلَا بَعْدِي

وقال الفرزدق<sup>(١٦)</sup> :

غَزَاةُ الشَّمْسِ لَا يَضْحُو الْفُؤَادُ بِهَا      حَتَّى تَرَوِّحَتْ لِأَيَّامٍ بَعْدَ إِنْصَالِ  
كَأَنَّهَا طَرَفَتْ عَيْنِي كَاجِلَةٍ      فِي الدَّارِ ، مِنْ سَرَبٍ بِالْمَاءِ مِسْيَالِ  
أَوْ كَابِنِ عَجْلَانَ إِذْ كَانَتْ لَهُ تَلْفَاً      هِنْدُ الْهُنُودِ بِمِقْدَارِ وَأَجَالِ

وقال البحري<sup>(١٧)</sup> :

هَوَى لَاجِمِلُ فِي بُيُوتِنَا نَالَهُ      بِمِثْلِي وَلَا عَبْدُ بَنِ عَجْلَانَ فِي هِنْدِ

وسماه ابن قتيبة بالعجلاني ، وقال : عبدالله بن عجلان ، وعن عبدالرحمن عن  
الأصمعي قال : هو نهدي جاهلي<sup>(١٨)</sup> .

وفاته :

ينفرد صاحب « تزيين الأسواق » حيث يذكر أنه توفي في الزهراء قبل عام الفيل  
بأربعة أعوام<sup>(١٩)</sup> .

إن هذه الأخبار المتباعدة ، والصور الشعرية المتألقة في بعض مجاميع الشعر أو  
كتب الأدب ، لا ترسم الصورة الكاملة التي تراكمت في أحداثها عاطفة الشاعر  
المشوبة أو تراجمت عند مواردها نهلات عاطفته الدافقة ، ولكنها تُحدِّد الإطار  
العام لحياة شاعر احتفظت به أخبار التاريخ وأسفار الأدب بأعتبره صفحة مشرقة

من صفحات الوفاء ، ولوحة خالدة من لوحات العشق البريء والتضحية النادرة والإخلاص الحي .

[ الحواشي ] :

- (١) البكري « معجم ما استعجم » ٢٣/١ - ٣٨ .
- (٢) البكري « معجم ما استعجم » ٢٥/١ .
- (٣) البكري « معجم ما استعجم » ٣٨/١ - ٤٠ .
- (٤) البكري « معجم ما استعجم » ٤٢/١ - ٤٣ .
- (٥) البكري « معجم ما استعجم » ٤٣/١ .
- (٦) البكري « معجم ما استعجم » ٣٣/١ .
- (٧) زاغب : رجل من جَمْرٍ كان يثقف الرماح .
- (٨) البكري « معجم ما استعجم » ٣٣/١ - ٣٤ .
- (٩) البكري « معجم ما استعجم » ٥١/١ .
- (١٠) ن . م ٥٢/١٠ .
- (١١) البكري « معجم ما استعجم » ٦٥٦/١ .
- (١٢) [ ليس ماء الصفراء يجري إلى ينبع بل إلى البحر ، ماراً ببندر ، ثم بالبحر بقرب ميناء الرايس ، جنوب ميناء البريكة - والمسافة بين مفيض وادي الصفراء في البحر وبين ينبع لا تقل عن ستين كيلاً - « العرب » ] .
- (١٣) ابن قتيبة « الشعر والشعراء » ٧١٦/١ .
- (١٤) أبو الفرج « الأغاني » ٥٤/٩ - ٢٢ .
- (١٥) الانطاكي « تزيين الأسواق » ١٤٠/١ .
- (١٦) الفرزدق « الديوان » ٦٦/٢ .
- (١٧) البحري « الديوان » ٦٦/٢ .
- (١٨) ابن قتيبة « الشعر والشعراء » ٧١٦/٢ .
- (١٩) الانطاكي « تزيين الأسواق » ١٤٢/١ - كذا (النزهة) ولعلها (الفترة) - « العرب » .

## الشعر :

( ١ )

وقال عبدالله بن العجلان النهدي :

إني ومَا مَارَ بِأَلْفَرِيقِ وَمَا قَرَّرَ بِأَجْلَهَيْنِ مِنْ سُرْبِ<sup>(١)</sup>  
 من شَعَرِ كَالْغَلِيلِ يُلْبَدُ بِأَدْ غَمَلٍ وَمَا مَارَ مِنْ دَمِ سَرْبِ<sup>(٢)</sup>  
 وَالْعِثْرِ عِثْرَ النَّسِيكِ يُخْفَرُ بِأَلْ بُدْنِ لِحْلِ الْإِحْرَامِ وَالنُّصْبِ<sup>(٣)</sup>

( ٢ )

قال عبدالله بن العجلان النهدي :

قَدْ طَالَ شَوْقِي وَعَادَتِي طَرَبِي مِنْ ذِكْرِ خَوْدِ كَرِيمَةِ الْحَسَبِ  
غَرَاءُ مِثْلُ الْهَلَالِ صُورَتُهَا أَوْ مِثْلُ تَمَالِ صُورَةِ الرَّهْبِ

( ٣ )

وعن أبي عبيدة ، عن يونس قال : قال بلعني عن أبي وجزة أنه قال : لقيت  
النسابة البكري بمي ، فسألته ، فإذا هو أعلم الناس ، فقلت له : أي الشعراء  
أغزل ؟ قال : أصدقهم وجداً ، الذي إن سمعت شعره أويت لقائله ، أما نفت  
في سمعك قول حجازيكم ، عبدالله بن عجلان النهدي ، واستخفه مرة الوجد  
فهرب ، فوقع ببلاد بني فزارة ، فقال :

بَكِي فَرَنْتُ لَهُ أَجْبَالَ صُبْحِ وَأَسْعَدتِ الْجِبَالَ بِهَا مُرُونُ  
حِجَازِي الْهَوَى عَلِقَ بِنَجْدِ جَوِي لَا يَعِيشُ وَلَا يَمُوتُ  
فَتَرَدُّعُهُ الدُّبُورُ لَهَا أَجِيجُ وَيُسَلِّمُهُ إِلَى الْوَجْدِ الْمَبِيتُ  
كَأَنَّ فَوَادَهُ كَفَا غَرِيقِ تَنَازَعَهُ بِشَطِّ الْبَحْرِ حُوتُ  
لِهِنْدٍ مِنْكَ عَيْنُ ذَاتِ سَجَلِ وَقَلْبُ سَوْفَ يُفْقَدُ أَوْ يُفَوْتُ  
إِذَا اكْتَنَفَا بِضَرْهُمَا سَقِيماً يُعَادِي الدَّاءَ لَيْسَ لَهُ مُقِيْتُ

( ٤ )

وقال :

لَقَدْ كُنْتُ ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَهَمَّةٍ إِذَا شِئْتُ لَمَسًا لِلثَّرِيَّا لَمَسْتُهَا  
أُتْتِنِي سِهَامٌ مِنْ لِحَاطِ فَارَشَقْتُ بِقَلْبِي وَلَوْ أُسْطِيعُ رَدًّا رَدَدْتُهَا

( ٥ )

أسر عبدالله بن العجلان رجلاً من بني الوحيد فمّن عليه واطلقه ووعدته  
الوحيدي الثواب فلم يف فقال عبدالله :

وَقَالُوا : لَنْ تَنَالَ الدَّهْرَ فِقْرًا إِذَا شَكَرْتِكَ نِعْمَتِكَ الْوَجِيدُ  
فَيَا نَدْمًا نَدِمْتُ عَلَى رِزَامٍ وَخُلْفَةَ كَمَا خُلِعَ الْعَتُودُ

(٦)

قال عبدالله بن العجلان :

خَلِيلِي زُورًا قَبْلَ شَحْطِ النَّوَى هِنْدًا  
وَلَا تَعَجَلَا لَمْ يَدْرِ صَاحِبُ حَاجَةِ  
وَمَرًّا عَلَيْهَا بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا  
وَقَوْلًا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَازَنَا  
عَدَا يَكْثُرُ الْبَاكُونَ مِنَّا وَمِنْكُمْ  
وَلَا تَأْمَنَّا مِنْ دَارِ ذِي لَطْفٍ بَعْدَا  
أَعْيَا يُلَاقِي فِي التَّعَجُّلِ أَمْ رُشْدَا  
وَلِإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدٌ لِيُوجِهِيكُمَا قَصْدَا  
وَلَكِنَّا جُزْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدَا  
وَتَزْدَادُ دَارِي مِنْ دِيَارِكُمْ بَعْدَا

(٧)

قال عبدالله بن عجلان النهدي :

خَلَى يَتَامَى كَانَ يُحْسِنُ أَسْوَهُمْ  
مِنْ سَبِّ ذِي فَجْرٍ يُقَسِّمُ مَالَهُ  
وَمَعِيَّةُ الْعُلَمَاءِ يُخْتَبَى نَافُهَا  
أَبْرَأْتَهَا إِذْ كُنْتُ أَنْتَ طَبِيبَهَا  
وَيَكْفُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ جَاهِدِ  
فِينَا وَيَشْكُدُ فَوْقَ شُكْدِ الشَاكِدِ  
أَسْوَا وَأُمَّ دِمَاغَهَا كَالْفَاسِدِ  
حَتَّى تُؤَدِّيَهَا كَعَهْدِ الْعَاهِدِ

(٨)

وقال عبدالله بن العجلان بعد انهزام عامر في يوم من أيام نهدي بعد أن أرسلته هند لينذر قومها قبل أن يأتيهم بنو عامر :

عَاوَدَ عَيْنِي نَضْبُهَا وَغُرُورُهَا  
أَمْ الدَارِ أَمَسَتْ قَدْ تَعَفَّتْ كَأَنَّهَا  
ذَكَرْتُ بِهَا هِنْدًا وَأَتْرَابَهَا الْأَلَى  
فَمَا مَعُولٌ تَبْكِي لِفَقْدِ الْبَيْفِهَا  
بِأَسْرَعِ مِنِّي عَبْرَةً إِذْ رَأَيْتُهَا  
أَلَمْ يَأْتِ هِنْدًا كَيْفَمَا صُنِعَ قَوْمِهَا  
فَقَالُوا لَنَا: إِنَّا نَجِبُ لِقَاءَكُمْ  
فَقَلْنَا إِذْنٌ لَا تَنْكُلُ الدَّهْرُ عَنْكُمْ  
أَهْمُ عَرَاهَا أَمْ قَذَاهَا يَعُورُهَا  
زُبُورٌ يَمَانٍ نَقَشْتُهُ سَطُورُهَا  
بِهَا يُكَذِّبُ الْوَأَشِي وَيُعْصَى أَمِيرُهَا  
إِذَا ذَكَرْتَهُ لَا يَكْفُ زَفِيرُهَا  
يُجِبُّ بِهَا قَبْلَ الصَّبَاحِ بَعِيرُهَا  
بَنِي عَامِرٍ إِذْ جَاءَ يَسْعَى نَذِيرُهَا  
وَأَنَا نُحْيِي أَرْضَكُمْ وَنَزُورُهَا  
بِصَّمِّ الْقَنَا اللَّائِي الدَّمَاءُ تُمِيرُهَا

فَلَا غَرَوُ أَنْ الْحَيْلَ تَنْحَطُّ فِي الْقَنَا  
تَأْوَهُ بِمَا مَسَّهَا مِنْ كَرِيمَةٍ  
وَأَصْحَابُهَا صَرَعَى بِرُقَّةٍ أُحْرَبَ  
فَأُبْلِغَ أَبَا الْحَجَّاجِ عَنِّي رِسَالَةٌ  
فَأَنْتَ مَنَعْتَ السَّلْمَ يَوْمَ لَقَيْتَنَا  
فَلَذُقُوا عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْ فَرْطِ إِحْنَةٍ

(٩)

قال يذكر وقعة قومه ببني عامر :

أَلَا أُبْلِغُ بَنِي الْعَجْلَانِ عَنِّي  
بَأْنَا قَدْ قَتَلْنَا الْخَيْرَ قُرْطَاً  
وَأَفْلَتْنَا بَنُو شَكْلِ رِجَالاً  
فَلَا يُنَبِّئُكَ بِالْحَدَثَانِ غَيْرِي  
وَجُلْنَا فِي سَرَاةِ بَنِي نَمِيرِ  
حُفَاةً يَرْبِزُونَ عَلَيَّ سُمَيْرِ

(١٠)

ومن مختار ماقاله ابن العجلان في هند :

أَلَا أُبْلِغَا هِنْدَا سَلَامِي ، وَإِنْ نَأَتْ  
وَلَمْ أَرِ هِنْدَا بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ  
أَتَتْ بَيْنَ أَتْرَابِ تَمَائِسُ إِذْ مَشَتْ  
يُبَاكِرُنَ مِرْأَةً جَلِيًّا وَفَارَةً  
أَشَارَتْ إِلَيْنَا فِي حَيَاءٍ وَرَاعَهَا  
وَقَالَتْ : تَبَاعَدْ يَا أَبْنَ عَمِّي فَإِنِّي

فَقَلْبِي بِهَا مُذْ شَطَطِ الدَّارِ مُدْنَفُ  
بِأَنَعَمٍ فِي أَهْلِ الدِّيَارِ تُطَوِّفُ  
دَيْبِ الْقَطَا أَوْهَنَّ مِنْهُنَّ أَقْطَفُ  
ذَكِيًّا وَبِالْأَيْدِي مَدَاكَ وَمِسْوَفُ  
سَرَاةِ الضُّحَى مِنِّي عَلَيَّ الْحَيِّ مَوْقِفُ  
مُنِيْتُ بِذِي صَوْلِ يَغَارُ وَيَعْنَفُ

(١١)

وقال في طلاق هند :

فَارَقْتُ هِنْدَا طَائِعَا  
فَالْعَيْنُ تُذِرِي دَمْعَهَا  
فَنَدِمْتُ عِنْدَ فِرَاقِهَا  
كَالدَّرِّ مِنْ أَمَاقِهَا

مُتَحَلِّبًا فَوْقَ الرَّدَا ۚ ، يُجُولُ مِنْ رَقَائِقِهَا  
 خَوْدٌ رَدَّاحٌ طَفْلَةٌ  
 وَلَقَدْ أَلَدْتُ حَدِيثَهَا وَأَسْرٌ عِنْدَ عِنَاقِهَا

وفي هذه القصيدة يقول :

إِنْ كُنْتِ سَاقِيَةً بِبُزْ لِ الْأَذْمِ أَوْ بِحِقَاقِهَا  
 فَاسْقِي بَنِي نَهْدٍ إِذَا شَرَبُوا خِيَارَ زَقَائِقِهَا  
 فَالْحَيْلُ تَعْلَمُ كَيْفَ نَلَحُّ قُهَا غَدَاةَ لِحَاقِهَا  
 بِأَسْنَةِ زُرْقٍ صَبَحْنَا سَا الْقَوْمَ حَدَّ رِقَائِقِهَا  
 حَتَّى تَرَى قِصْدَ الْقَنَا وَالْبَيْضَ فِي أَعْنَاقِهَا

( ١٢ )

وقال عبدالله بن عجلان النهدي :

وَحُقَّةٌ مِنْكَ مِنْ نِسَاءِ لِبْسَتِهَا شَبَابِي وَكَأْسٍ بَاكَرْتَنِي شَمُوَهَا  
 جَدِيدَةٌ سِرْبَالِ الشَّبَابِ كَانَهَا سَقِيَّةٌ بَرْدِي نَمَتْهَا غِيُوَهَا  
 وَمُحْمَلَةٌ بِاللَّحْمِ مِنْ دُونِ ثَوْبِهَا تَطُولُ الْقِصَارَ وَالطُّوَالَ تَطُولُهَا  
 كَأَنَّ دِمَقْسًا أَوْ فُرُوعَ غَمَامَةٍ عَلَى مَتْنِهَا حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَدِيدُهَا  
 وَأَبْيَضٌ مَنْقُوفٌ وَزِقِي وَقَيْنَةٍ وَصَهْبَاءٌ فِي بَيْضَاءٍ بَادٍ حُجُوَهَا  
 إِذَا صَبَّ فِي الرَّاوُوقِ مِنْهَا تَضَوَّعَتْ كُمَيْتٌ يُلِدُّ الشَّارِبِينَ قَلِيلُهَا

( ١٣ )

وأورد الهجري في كلامه على ريش السهام من حديث طويل مانصه :  
 ولا يصلح أن يكون في سهم واحد ظهائر وبطان ، وهو شر من اللغب . قال  
 عبدالله بن العجلان النهدي :

وَلَكِنَّهَا تَرْمِي الْقُلُوبَ إِذَا رَمَتْ بِسَهْمَيْنِ رِيثًا رِيثَ لَغَبٍ مِنَ الْكُحْلِ

ومعنى ذلك - والله أعلم على ما فسرته لي النهدي وغيره - انه التقى باطن  
 الجفنين الأعلىين إذا غمض الناظر عينيه ، فكأن الجفنين جناحين ، يمين ويسار ،  
 وهو حسن في العين ، لغب . . . - ثم كلام طويل لم يتضح في المصورة .

( ١٤ )

وقال الصُّحَارِيُّ في « الأنساب » : وفي عَبْدِ كُلالِ بنِ عَرِيبٍ يقول الشاعر  
عبدالله بن عجلان ، فارس بني نَهْد :

وَعَبْدُ كُلالٍ حَازَ كُلَّ عَظِيمَةٍ سَمِعْتُ بِهَا فِي جَمِيرٍ وَكَفِيلِهَا  
( ١٥ )

خرج عبدالله بن العجلان في الجاهلية فقال :

أَلَا إِنَّ هِنْدًا أَصْبَحَتْ مِنْكَ مَحْرَمًا وَأَصْبَحَتْ مِنْ أَدْنَى حُمُوتِهَا حَمَا  
فَأَصْبَحَتْ كَالْمَقْمُورِ جَفَنٌ سِلَاحِهِ يُقَلَّبُ بِالْكَفِّينِ قَوْسًا وَأَسْهُمَا  
( ١٦ )

وذكر صاحب « الوحشيات » أن هذه القطعة تروى لعبدالله بن عجلان النهدي  
وتروى لعبدالرحمن القيني وتروى للسموأل وتروى لأبي الوليد . .

إِنِّي لَعَمْرِكَ مَا أَخْشَى إِذَا ذُكِرْتُ مِنِّي الْخَلَائِقُ فِي مُسْتَكْرِهِ الزَّمَنِ  
أَنْ لَا أَكُونَ إِذَا مَا أُرْمَةُ أُرْمَتُ مُرَبِّيًا ذَا قَرِيضٍ أَمْلَسَ الْبَدَنَ  
وَلَا أُبَالِي إِذَا لَمْ أَجْنُ فَاحِشَةً طُولَ الشُّحُوبِ وَلَا أُرْتَاخُ لِلسَّمَنِ

( ١٧ )

وقال عبدالله بن العجلان النهدي :

أَلَا أَنْ هِنْدًا أَصْبَحَتْ عَامِرِيَّةً وَأَصْبَحَتْ نَهْدِيًّا بِنَجْدِينَ نَائِيًا  
تَحُلُّ الرِّيَاضَ فِي ثَمِيرِ بْنِ عَامِرٍ بِأَرْضِ الرِّبَابِ أَوْ تَحُلُّ الْمَطَالِيَا

بغداد : الدكتور نوري حمودي القيسي

عميد كلية الآداب - جامعة بغداد

### التخریج والشرح :

(١) الأبيات في « حيوان » الجاحظ ٣٧٦/٥ .  
السُّرْبُ : جماعة من القطا وغيره واحدها سُرْبَةٌ ، وعبر بها هنا عن الحجاج وعن بالفرقة تلبية الحجيج  
ورفعهم أصواتهم بالدعاء .  
الغَلِيلُ : القَتُّ والنوى والعجين تعلق الإبل ، والسَّرْبُ : السائل .

- العترة: ما عثر أي ذبح والعُتر: الصنم يعتر له والنسيكة: الذبحة .
- (٢) البيتان في «الأغاني» ٢٤٤/٢٢ .
- (٣) «وتزين الأسواق» ١٤٣ ورواية الأول وعادلي .. والثاني .. صورة الرهب .
- (٤) البيت الأول والرابع مع اختلاف في الحماسة البصرية ١١٥/٢ .
- (٥) البيتان في تزين الأسواق ١٤١ .
- (٦) البيتان في «الأغاني» ٢٤٨/٢٢ .
- (٦) الأبيات [ ١ - ٥ ] في «تزين الأسواق» ١٤٤ وفي «مختار الأغاني» لابن منظور ٤٠٣/٥ ورواية الرابع : ليس الطريق أجازنا .
- (٧) الأبيات [ ١ - ٤ ] في الأغاني ٢٥٣/٢٢ - ٢٥٤ .
- (٧) الأبيات في «الوحشيات» ١٢٧ .
- الفجر: الجود الواسع والكرم من التفجر في الخير المعروف .
- الشكد: العطاء والمنح .
- (٨) الأبيات [ ١ - ١٤ ] في الأغاني ٢٤٩/٢٢ - ٢٥٠ .
- (٩) الأبيات في الأغاني ٢٤٧/٢٢ .
- (١٠) الأبيات [ ١ - ٦ ] في الأغاني ٢٥٢/٢٢ - ٢٥٣ .
- ورواية الثالث: ... اقف وأظنه تحريفاً والصحيح: أطف ..
- (١١) والأبيات [ ١ - ٦ ] في تزين الأسواق ١٤٤ وفي رواية بعض أبياتها اختلاف بائن .
- (١١) الأبيات في «الأغاني» ٢٤٦/٢٢ - ٢٤٧ .
- وهي في «تزين الأسواق» ١٤٢ وفي رواية بعض أبياتها اختلاف .
- (١٢) الأبيات في «حماسة أبي تمام» (التبريزي) ١٢٩/٣ - ١٣١ والأربعة الأولى في المرزوقي ١٢٦٠ وذكر التبريزي في شرحه أن النمري حين تكلم عن البيت الرابع ذكر خلافاً منه لما قبله إذ كان البيت المتقدم - كما يقول في صفة امرأة - وهذا البيت يجب أن يكون في صفة ناقة ، ولاشك أنه قد سقط منه شيء يصله بما قبله ، ولم يذكر ذلك أحد منهم .
- والأبيات (وحقت) و(جديدة) . و(كأن) في «اللسان» - جدل - و(غيل) و(سقى) والغبول - هنا - جمع غيل ، وهو الماء يجري بين الشجر ، لأن الماء يسقي والأجمة لا تسقي ، والسقيُّ البرُّدِيُّ الناعم .
- (١٣) «النوادر والتعليقات» المخطوطة الهندية ٤٨٣/٤٨٤ .
- (١٤) ج ١ ص ١٨٠ .
- (١٥) البيتان في «الشعر والشعراء» ٧١٦/٢ ونسبت لعبدالله بن عجلان .
- وفي «الأغاني» ٢٥٢/٢٢ و«مصارع العشاق» ١٥ - ١٦ منسوين إلى عبدالله بن العجلان وفي «اللسان» [حمو] وقال رجل كانت له امرأة فطلقها وتزوجها أخوه ورواية البيت :
- لقد أصبحت أساء حجراً محمراً  
وأصبحتُ .....
- وينظر ج ٥٣/٩ - من «الأغاني» حيث يذكر نسبها إلى عبدالله بن العجلان .
- ويذكر صاحب «تزين الأسواق» رواية أخرى تؤيد نسبتها إلى عبدالله بن العجلان ويروي بيتين آخرين فيها بعض أوجه الشبه وتنظر تفاصيل الرواية في «تزين الأسواق» ١٤٣ .
- (١٦) الإبيات في الوحشيات ١٦٥ .
- وقال المحقق الفاضل المرحوم الميمني .. ولكن لا أثر لها في ديوان السموأل وشك في اسم عبدالرحمن القيني .
- (١٧) البيتان في «معجم البلدان» ٧٤٧/٢ (رباب) .



## كتابان .... وملاحظات

- ١ -

أغناطوس كراتشكوفسكي «دراسات في تاريخ الأدب العربي» متخبات .  
ترجمة عن الروسية . دار النشر (علم) . موسكو ١٩٥٦ - ٢٢٣ ص + ١ .

١ - في الكتاب خمسة بحوث مختارة من آثار كراتشكوفسكي هي : الشعر  
العربي (كتبه سنة ١٩٢٤) ، البديع عند العرب في القرن التاسع (١٩٣٠) ،  
الحضارة العربية في اسبانيا (١٩٣٦) ، الشعر العربي في الأندلس (١٩٤٠) ،  
أقدم تاريخ لقصة المجنون وليلى في الأدب العربي (١٩٤٦) .

المقالات - البحوث قيمة لم تفقد قيمتها وقوتها، وترتك علم الرجل واستيعابه  
وتمكنه .

وقد أحسن المترجمون فقدموا البحوث وكأنها كتبت هكذا باللغة العربية لأول  
مرة . ترجم الأول والثاني والرابع محمد المعصراني ؛ والثالث ك.ع فاسيليفا -  
وهي كلثوم عودة فاسيليفا زوجة المستشرق الكبير وقد طبع الكتاب تحت إشرافها  
- وترجم الرابع : النجفي .

٢ - ص ٥ قال : (العالم اللغوي أبو عمرو لتلاميذه منذ القرن الثامن . . . :  
(ماوصلكم من لغة العرب إلا القليل) .

لم يرجع المترجم إلى الأصل العربي، وهذا القول يرويه محمد بن سلام - في  
كتابه «طبقات الشعراء» عن يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء هكذا :  
(ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علمٌ وشعر  
كثير) .

٣ - ص ١١ (ويمر الشاعر في طريقه على مكان كان في السابق مقاماً لقبيلته  
(. . .) ويرى فيه الأطلال والأثافي التي كان يوضع عليها قدر الطعام والنؤي  
المتهدم الذي كان يصد ماء المطر عن الخيمة (. . .) النؤي الذي عفى عليه  
العشب (. . .) .

قد يفهم من كلمة (يصد) مالا يدل عليه النؤي حقيقة ، كأن يفهم مرتفعاً من

الأرض، وما هو كذلك . جاء في «القاموس»: النوي . . . الحفير حول الخبء أو الخيمة يمنع السيل . ونلاحظ – للفائدة – أن (القدر) مؤنثة . وقال (يوضع) لوجود الفصل بالجار والمجرور .

٤ – ص ١٧ : (وجميل بثينة – سليل بني عذرة الذين خلدتهم هايبي) .

هايبي أو هايته Heine هو الشاعر الألماني (١٧٩٧ - ١٨٥٦) . وياحبذا لو ذكر كيف خلده . . . وأين ؟

٥ – ص ١٨ : ( بانتهاء عهد الأمويين تنتهي الحقبة العربية المحض من تاريخ الخلافة الإسلامية . ولهذا كان أحد العلماء الألمان على حق تام عندما أسمى كتابه الذي وضعه لهذه الحقبة بـ «الدولة العربية وسقوطها» .

يقصد: (فلها وزن) – والكتاب مترجم إلى العربية – ولعله ترجم مرتين .

٦ – ص ١٩ : (ويكثر الشعراء من وصف الخمرة ومجالس اللهو وبخاصة

أبونواس البارح الذي يُشبهه بهايبي ولكن في غير حق) .

أ – ياحبذا لو عرّفنا العارفون بالأدب الألماني ماهو حق وماهو غير حق من

تشبيه أبي نواس بهايبي . ومن الذي شبهه ؟ ولماذا ؟

٧ – ص ٢٠ : (الحلاج الشهير الذي صلب في أوائل القرن العاشر

لزندقته) . .

أصح وأدق كم قولنا : (لزندقته) أن نقول : مُتَهَمًا بالزندقة . لأن في

القول الأول إثباتاً للزندقة عليه . ولهذا جاء على ص ٩٤ : الحب الالهي . . .

الوجد: (وراح ضحيته الحلاج الذي اعتبر زنديقاً) وهو تعبير أصح من سابقه .

وقد يعود الاختلاف إلى المترجم .

٨ – ص ٢٠ : (ابن المعتز . . . يستعمل الرجز لوصف الصيد ويقوم بتجربة

في الشعر الملحمي الذي لا نرى له على الصعيد العربي إلا انعكاساً باهتاً ، بل

قُلُّ معدوماً على وجه العموم) .

٩ – ص ٣٠ : (ومن الظواهر التي تميز الشعر الحديث ( . . . ) بدأ يتطور شعر

الملاحم ، أو على الأصح شعر القصص . وكان نقل «الألياذة» إلى اللغة العربية

في أوائل القرن العشرين ، حدثاً ضخماً جداً يثير الاهتمام العام . وقد ظهرت بتأثير «الباذة» قصيدة «حريق سان فرنسيسكو» لأمين خير الله السوري الذي يعيش في أميركا . وتقرب من هذا النوع قصيدة أحمد شوقي «الحرب اليونانية التركية» . . . . .

لم نطلع على قصيدة «حريق سان فرنسيسكو» .

وصحيح ماورد لأحمد شوقي أن يعد تاريخاً و(قصصاً) – والمؤلف يتسهل كثيراً في مصطلح «الملحمة» كما هي ، وكما كانت .

١٠ – ص ٧٢ : (انتقال العلم والشعر إلى أوروبا) – موضوع جدير أن يطلع عليه طلبة الدراسات المقارنة ، ويفيدوا – خاصّةً – من المصادر المذكورة في ذيله .

١١ – ص ١٠٣ : (وتنسب للغزال – يحيى بن الحكم البكري ٧٧٠ – ٨٦٤ – إحدى المحاولات الأولى للقصائد الملحمية . فعندما عاد من عند النورمانيين اضطر إلى البقاء شهرين في (سنت ياغو) في شمالي اسبانيا . فانتهز هذه الفرصة لنظم أرجوزة عن فتح الأندلس . ويقول المؤرخ ابن حيان (٩٨٧ – ١٠٧٠) الذي يعرفه جيّداً ، إن هذه الأرجوزة (جميلة وعظيمة تعرض لأسباب الفتح ووقائع الحرب بين المسلمين وأهل الأندلس . . . .) وأنها مكتوبة بلغة جميلة . . . .) ولكن هذه الأرجوزة لم تصل إلينا) .

ويبدو أن العناية بالشعر الملحمي كانت على أشدها في ذلك العهد . فتنام ابن العلقم (٨٠١ – ٨٩٦) أصغر معاصري الغزال . . . .) تنسب إليه أرجوزة أخرى لها المحتوى نفسه تقريباً . . . .) ولكن هذه القصيدة . . . .) لم تصل إلينا .

وهكذا ، يقرب كراتشكوفسكي الأرجوزة العربية من الشعر الملحمي كلما طالت وتضمنت وقائع حربية أو تاريخاً سياسياً . وهو – على عادته يتسهّل في مدلول مصطلح (الملحمة) الحقيقية .

والملاحظ أنه لم يصف أرجوزة ابن عبد ربّه (٨٦٠ – ٩٤٠) بالملحمة وإنما

اكتفى بالقول: (وقد أنشأ على سبيل التقليد – أرجوزة بقيت حتى أيامنا هذه هي بمثابة تاريخ لغزوات عبدالرحمن الثالث السنوية ...).

١٢ – ص ١٠٨: (ابن دراج القسطلي (المتوفى عام ١٠٣٠) الذي شُبه أيضاً بالمتنبي وذاع صيته في حياته ، فوصل إلى نيشابور حيث قال فيه الثعالبي (المتوفى عام ١٠٣٨) ... (بلغني أن القسطلي عندهم في الأندلس كالمتنبي في الشام) .

نيشابور هكذا بالشين عند أهلها ، أمّا العرب فيلفظونها بالسين : نيسابور ، والثعالبي عندنا نيسابوري وليس نيشابوري . . وتاريخ وفاته هجرياً سنة ٤٢٩ .  
ونص كلام الثعالبي : (كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام) وقول المؤلف (أيضاً) يشير إلى (ابن هانيء الأندلسي) فهو عند أهل الأندلس كالمتنبي .

١٣ – ص ١٠٩: (كان ابن دراج مثلاً للكاتب الشاعر لا في الحضارة الأندلسية وحدها بل في الحضارة العربية كلها) .

ليس هذا التعبير عربياً وإنما هو من آثار الترجمة ، ويمكن قوله هكذا : كان ابن دراج مثلاً للكاتب الشاعر في الحضارة الأندلسية وفي الحضارة العربية كلها . . .  
– أو ماأشبهه .

١٤ – ص ١٤٨ «أغنية Las tres morillas التي كانت كصوبة الطريق لريبيرا في دراسته التاريخية لموسيقى القرون الوسطى ...).

احسب أن (صوبة)، من التوهم أو الخطأ المطبعي ، وإن صحيحها : صَوَى والصوى العلامات الدالة ، مفردها صُوَّة – بضم الصاد وتشديد الواو ، ولا يبعد أن يكون المؤلف – أو المترجم – قد أراد بـ (صوبة) الطريق : صُوَّة الطريق – على الأفراد .

١٥ – ص ١٨٦: (البحث الواسع الذي قام به شوارتس ونشره (١٨٩٣-١٩٠٩) حول شاعر مكة الكبير ، عمر بن أبي ربيعة ...)

شاعر مكة : شاعر المدينة – وكانت إشارة سبقت ص ١٧ إلى المدينة ، قال وهو يتحدث عن (أشعار في الغزل قائمة بذاتها): (وكان مركز هذا الشعر مدينة يثرب

حيث الأرستقراطية التجارية ( . . . ) فعمر بن أبي ربيعة مثلاً (أبرز شعراء الحب عند العرب) كما يقول روكيرت ، وأكبر أعلام هذا الشعر ، لم يكن يحتاج إلى التكسب بشعره) .

١٦ - تبقى بحوث كراتشكوفسكي قيمة، ومناسب أن نذكر هنا لكراتشوفسكي بحثه «الأدب العربي» الذي نشرته مجلة الرسالة في أعدادها ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨١ من مجلداتها ١٠ ، ١١ ، ١٢ - القاهرة ١٩٣٦ - ينظر الدكتور جميل صليبا - اتجاهات النقد الحديث في سورية، القاهرة ١٩٦٩ ص ٢٧٤ .

- ٢ -

رحلة ابن بطوطة - بيروت: دار صادر ودار بيروت ١٣٧٩ / ١٩٦٠ - ٧٤٩ ص مع الفهارس - كتب التعريف بابن بطوطة - كرم البستاني ، ومعلوم أنه هو الذي يشرف على هذه السلسلة .

١ - قولنا كرم البستاني (يشرف) يخرج عن التحقيق، وليس النشر تحقيقاً ، ولا من إشارة - أو صورة - إلى مخطوطة وأكبر الظن أنه أفاد من طبعة سابقة ونقل الأوربية بعد أن جردها من سمات التحقيق العلمي!! واحتفظ بقليل من الهوامش . والعجيب أن تقرأ في الهوامش (كما في ص ١٩١) (هكذا في الأصل) ترى ماالأصل؟ وأين الحديث عنه أو وصفه؟!

٢ - ص ١٧٥: (نزلنا موضعاً يعرف بالمساجد فيه ثلاث مصانع): ثلاثة .

٣ - ص ١٨٥: مدينة البصرة: (دخلنا ضحوة النهار إلى مدينة البصرة ( . . . ) وكنت رأيت عند قدومي عليها على نحو ميلين منها بناء عالياً ، مثل الحصن ، فسألت عنه فقيل لي هو مسجد علي بن أبي طالب، رضي الله عنه ، وكانت البصرة من اتساع الخطة وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد في وسطها ، وبينه الآن وبينها ميلان ، وكذلك بينه وبين السور الأول المحيط بها نحو ذلك ، فهو متوسط بينهما) . ص ١٨٦: (وأهل البصرة . . . يصلون الجمعة في مسجد أمير المؤمنين علي ( . . . ) ثم يُسد فلا يأتونه إلا في الجمعة) .

ينفع هذا الخبر في موضوع (المزبد) - وينظر معجم البلدان لياقوت، وفيه

(... نحو ثلاثة أميال ...).

ولنتذكر أن ابن بطوطة - بدأ رحلته بالخروج من طنجة سنة ٧٢٥هـ ، وتقع حياته بين ٧٠٤ - ٧٧٩هـ .

٤ - تعرف رحلة ابن بطوطة بـ: «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» - ولم يشر البستاني إلى ذلك .

٥ - قال البستاني معرفاً: (هو أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي والصحيح : محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم .. - ابن بطوطة .

٦ - ومن الحواشي ماجاء ص ٢٢٧ - ٨ عند (ذكر سلطان العراقين وخراسان ... بها درخان ... ابن خذابنده (...)) وقيل إنمّا هو خَرَبَنْدِه وتفسير خَرَبَنْدِه بالفارسية الحمار ، فمعناها غلام الحمار (...)) وقيل: إن سبب تسميته بهذا الأخير هو أن التتريسمون المولود باسم أول داخل على البيت عند ولادته . فلما ولد هذا السلطان كان أول داخل الزّمال وهم يسمونه خربنده (...).

في الهامش (الزمال) الضعيف الجبان، ولعلمهم يعنون الحمار، يدل على ذلك ماتقدم من معنى الاسم).

الذي يعرف اللهجة العراقية المعاصرة لا يُتَعَبُ نفسه لأن الزّمال فيها هو الحمار ليس غير .

وورد في النص خذا بنده ... خذا بالفارسية اسم الله ... وبنده غلام أو عبد (...)) والصحيح كتابتها بالبدال: خذا بنده ... خدا ...

٧ - ص ١٩١ : قال بعد أن ترك البصرة إلى أرض اللور: (وصلنا بعد أربعة أيام إلى بلدة ماجول على وزن فاعول وجيمها معقودة . وهي صغيرة على ساحل هذا الخليج ...).

وفي الحاشية: (قوله: وجيمها معقودة ، هكذا في الأصل ولم نجد لهذه اللفظة معنى موافقاً ، ولعل المراد أنها تلفظ كالجيم المصرية).

وقال ص ١٩٩ : (مدينة اصفهان من عراق العجم (واسمها يقال بالفاء الخالصة ويقال بالفاء المعقودة المفخمة) .

وفي الحاشية: لعل المراد بالفاء المعقودة أنها تلفظ كحرف الفاء الذي يوضع عليه ثلاث نقط) - يقصد الـ V . ومعلوم من ياقوت - وغيره - أن أصفهان تلفظ بالفاء وبالباء (P) والمعقودة هنا الباء - وإذا افترضنا أن (المعقودة) تعني ثلاث النقاط من اسم أعجمي أمكن أن نستنبط أن الجيم المعقودة من ماجول هي الجيم Ch الانكليزية الجيم بثلاث نقاط

ونعود إلى الحاشية لنشير إلى مايمكن أن يكون من خطأ النسخ أو الطبع لدى ورود (أصفهان . . . ويقال بالفاء المعقودة) وأن الصحيح : ( . . . ويقال بالباء المعقودة) أي الباء ذات ثلاث النقاط (وهي الباء P) .  
٨ - ص ١٩٥ : (ملك ايذج . . . يبعث . . . هدية لملك العراق في كل سنة، وربما وفد عليه بنفسه) .

تنفع من يؤرخ لاستعمال: (بنفسه) .

وتكررت ص ٣٦٧ : (وأق جلال الدين بنفسه لمحاربتة . . .)، وتنظر ص ٢٩٠ .  
٩ - ص ٢٥٨ : (ويجعل نصيب ذوي القربى في خزانة على حدة) تنفع من يؤرخ لاستعمال: (على حدة) .

١٠ - ص ٢٦٠ : من (كُلُوا: (ومن عوايدهم الحسنة التّصافح في المسجد . . .) ، عوايدهم: عوائدهم . أما كُلوًا فيقول ياقوت: (كِلْوَةٌ بالكسر ثم السكون وفتح الواو والهاء بلفظ واحدة الكلى) - ولعل ابن بطوطة - نقلها (كُلُوا) كما سمعها؟

١١ - ص ٢١٦ : لخطيب ظفار - (جوار مسميات بأسماء خدام المغرب . إحدهن اسمها بخينة . . .).

الشكل من البستاني وإلا فهي من البُخْت وهي بَخِيْتَة أو بُخِيْتَة - في أقل تقدير .

- ١٢ - ص ٢٦٦ : (مرسى) : نستعملها كما نستعمل اليوم ميناء .
- ١٣ - تذكرت أن مرّ بي اسم (عبود) فاستغربته لذلك الزمان . . . ثم عدت أبحث عن مكانه ، واستعنت بفهرس الأعلام فوجدته لا يذكره .
- ١٤ - ص ٢٧١ - ٢ : (وصلنا بلاد عُمان . . . ووصلنا إلى قاعدة هذه البلاد ، وهي مدينة نَزْوَا . . . ومن مدن عُمان مدينة زَكِي لم أدخلها ، وهي على ما ذكر لي مدينة عظيمة منها القُرَيَات وشبا وكلبا . . . وصحار . . .).
- تكتب نزوا هذه الأيام : نزوى .
- وصحيح زكى : أزكى .
- ١٥ - ص ٢٧٩ : (ومغاص الجواهر فيما بين سیراف والبحرين في خَوْر راکد . . . فإذا كان شهر أبريل وشهر مايه تأتي إليه القوارب).
- ص ٣٩٣ : (بعد نزول المطر بأرض السند والهند ، وذلك في أوائل شهر يوليه) وهكذا يدل على استعمال قديم (ونحن في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد) لهذه الشهور (وشرحها البستاني: نيسان، أيار، تموز) . ويبدو أنه يستعملها لعلاقة مناخية .
- وألا فهو يستعمل الشهور العربية كذلك (ص ٣٩٣ مثل: سلخ ذي الحجة . . . المحرم) .
- ١٦ - يمكن أن تقوم دراسة على (لغة) رحلة ابن بطوطة فتسهم في خدمة «المعجم» .
- ١٧ - ص ٤٦ : (الحويزا على مسيرة ثلاثة أيام من البصرة) ص ٦٤٩ (الحويزا) .
- ص ٢١٨ : (الحويزاء . . . بينها وبين البصرة مسيرة أربع) .
- الكلمة هي هي وردت مرتين (الحويزا) ومرة (الحويزاء) - والمعروف جيداً ، وعلى مر التاريخ أنها: الحويزة .
- ←



## شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع

لصفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠هـ

تحقيق الدكتور نسيب نشاوي

من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٤٠٣هـ

عرض صاحب الكتاب للأجناس البديعية في كتابه هذا ، والأنواع البديعية تتجاوز مانعرفه منها في « علم البديع » الذي هو قسم من أقسام علوم البلاغة وهي : المعاني والبيان والبديع ، ذلك أنه عرض للاستعارة والتشبيه والمجاز ، وهذا شيء من مواد علم البيان ، وعلى هذا فدلالة « البديع » في كتاب الصفي الحلي دلالة قديمة تعني أشتات علوم البلاغة ، ويتحقق ذلك على سبيل المثال في « البديع » الذي صنعه ابن المعتز .

لقد جمع الشعر في كتابه واحداً وخمسين ومئة نوع من الأنواع البديعية جاءت في خمسة وأربعين ومئة بيت ، وهي عدة أبيات قصيدته التي حبسها على مدح الرسول الكريم وآل بيته الطاهرين معارضاً فيها بردة البوصيري المشهورة التي مطلعها :  
أمن تذكر جيران بني سلم  
مزجت دمعاً جرى من مقله بدم  
لقد أعجب صفي الدين بقصيدة البوصيري هذه فعارضها بوزنها وقافيتها وغرضها فقال في مطلع قصيدته :

---

→ ذكر ص ٤٦ : من علماء مصر : (الشيخ جمال الدين الحوزائي ، والحوزا... ) ، وص ٢١٨ (الحوزاء... ) ومن أهلها الشيخ الصالح جمال الدين الحوزائي شيخ خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة) ولا بُدَّ من حصول تصحيف (في الثانية). أترى جمال الدين هذا... هو من الحوزة فعلاً؟

١٨ - ص ٧١ : (قال أبو الفتيان بن جبوس) : حَيُّوس .

بغداد : علي جواد الطاهر

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا فَسَلِّ عَنْ جِيرَةِ الْعَلَمِ . وَاقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى عَرَبٍ بِذِي سَلَمٍ .

كما عارض البوصيري طائفة من الشعراء المتأخرين .

وقد جعل الصفيّ الحليّ كل بيت من أبيات قصيدته مادة لنوع من أنواع البديع ، ورُبمّا جاء في البيت الواحد نوعان أو ثلاثة ، وهو حين يذكر البيت يؤيده بما ورد من شواهد في ذلك النوع في آي القرآن الكريم وفي الشعر القديم في عصوره كلها . وعلى هذا فالكتاب مصدر من مصادر الدراسة البلاغية .

ولنعرض للنوع الأول ليكون مثلاً أو نموذجاً من نهج المؤلف في كتابه .

جاء في الصفحة (٥٧) بعد فاتحة الكتاب ومقدمة المؤلف قوله :

براعة المطلع

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا فَسَلِّ عَنْ جِيرَةِ الْعَلَمِ . وَاقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى عَرَبٍ بِذِي سَلَمٍ .

أما « براعة المطلع » فهي عبارة عن سهولة اللفظ وصحة السبك . ووضوح المعنى ..... وشرطه في النظم أن يكون المطلع دالاً على ما بُنِيَتْ القصيدة عليه من غرض الشاعر كقول أبي تمام :

السِّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ .....

وكقول أبي الطيّب:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ .....

هذا هو نهج المؤلف ، حتى إذا انتهى من « براعة المطلع » انتقل إلى النوع الثاني وهو الجناس فجري على ماجرى عليه من بسط الحدّ مؤيداً بالشواهد .

وقد أغرى صنيع صفي الدين الحلي في كتابه هذا جماعة من الشعراء فنظموا قصائد في الغرض نفسه ، وهو مدح الرسول الكريم ، ذاهبين في شرحها إلى بسط الأنواع البديعية فَسُمِّيَتْ قصائدهم بل كتبهم « البديعيّات » ، ومن هؤلاء ابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧هـ ، وابن جابر الأندلسي المتوفى سنة ٧٨٠هـ ، وعزالدين الموصلبي المتوفى سنة ٧٨٩هـ وغير هؤلاء ، وقد أشار إلى هذا محقق

كتاب الصفي الحلي هذا . وقصائد هاؤلاء كلها جاءت معارضة للأصل وهي قصيدة البوصيري المشهورة في وزنها وقافيتها وغرضها .

هذا ما اعترمت ان أبسطه من مادة الكتاب ونهجه . وقد وجدت أن من المفيد أن أتناول هذا الكتاب ناقداً فأبين العلم المفيد في هذا النمط من التأليف ، وجهد المحقق فيه فأقول :

١- جاء في الصفحة (٤) من مقدمة المحقق قوله :

ومع أنه خصص الشرح لـ « علم البديع » فهو لم يفرّق بينه وبين « علم البيان » فتجد في الكتاب الاستعارة والتشبيه والمجاز ...

أقول : لقد اشرت إلى ان مصطلح « البديع » لم يكن مقصوراً في العصور القديمة وفي عصر الصفي الحلي ، على الأنواع البديعية المعروفة كالجناس والطباق ونحوهما ، بل كان عاماً يشمل الأنواع المختلفة من مادة البلاغة العربية .

واستعمال المحقق في قوله : « ومع أنه » ، وهو استعمال فاشٍ في العربية المعاصرة ، وكأنه شيء من أسلوب الشرط بدلالة مجيء الجواب مقترناً بالفاء ، فقد قال المحقق في الجواب : فهو لم يفرّق بينه وبين ... . وكأنّ هذا الأسلوب الجديد يفيد « إذا » الشرطية ، فالمراد : واذا خصّص الشرح لـ « علم البديع » فهو لم يفرّق ..

٢- وجاء في الصفحة (١١) في الكلام على «ترجمة المؤلف» :

ولد بالحلة بالعراق يوم الجمعة ..... وهي قرية مشهورة في طرف دُجَيل بغداد .....

وهذا هو كلام ياقوت في مادة « الحلة » .

أقول : والحلة هذه هي الحلة السيفية ، حلة المزيديين الأسيديين فهم الذين مصّروها . انظر « الكامل » لابن الأثير .

٣- وجاء في الصفحة (١٥) قول المحقق :

أما القصيدة الأخيرة فقد ضمنها خلاصة الحكمة والتجربة الحياتية (كذا) .

أقول : ولا بد من الوقوف على « الحياتية » التي هي نسبة إلى « الحياة » . وقد شاعت هذه النسبة في لغة المعاصرين ولغة الصحف . وهي من الخطأ ذلك ان الصواب أن يقال : التجربة الحَيَوِيَّة . فكما لا يجوز ان نقول : العادِتيَّة ، والصلاتيَّة ، والزكاتيَّة ، كذلك لا يجوز ان نقول : الحياتية ، ولكن ما العمل ، وقد جرت الألسنة على الخطأ الذي مرده الجهل بالعربية . وإني لأغض الطرف عن هذا الخطأ الشائع في أساليب المعاصرين ، ولكني لا أعغفره لمن يكتب في علوم العربية كصاحبنا محقق الكتاب .

٤ - وجاء في الصفحة (١٨) قول المحقق :

ولعل هذه الزيارة كانت من « المؤهبات الرئيسة » للشاعر الديني ...

أقول : جاء هذا في الكلام على أبيات لصفي الدين الحلي أشار فيها إلى زيارته لقبر الرسول ﷺ .

وقول المحقق : من « المؤهبات الرئيسة » يستدعي وقفة قصيرة للكلام على « المؤهبات » ثم على « الرئيسة » . « المؤهبات » من « الأُمة » وهي العُدَّة ، وتأهَّب بمعنى استعدَّ ، يقال : أخذ لذلك الأمر أهْبته ، وليس في هذه الكلمة شيء على « فاعل » مثل « آمَن » ، وعلى هذا فالمؤهبات مما ولدته المحقق ، وليس شيء منه في العربية .

وأما الرئيسة « فهي فعيلة » كالعظيمة والنفيسة ونحوهم ، ولكن المعربين أضافوا إلى هذا الوصف ياءً مشددة والياء زائدة وليست للنسبة إلى الرئيس ، وليس لنا أن نقول : ان الرئيسي والرئيسية من الخطأ ، فمن مآذاهب العرب هذه الزيادة ، ومن ذلك قول العجاج : « والدهر بالإنسان دَوَّارِيٌّ » ، والأصل : دَوَّار .

٥ - وجاء في الصفحة (١٩) من « مقدمة » المحقق البيت :

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا فَسَلِّ عَنْ جِيرَةِ الْعَلَمِ      واقرا السلام على عُربٍ بذي سَلَمِ

أقول : والبيت مطلع القصيدة التي عارض بها الصفي الحلي بُرْدَة  
البوصيري .. وجاء فيها :

« واقرا » كذا بالألف بعد الراء . والذي أراه ان الفتح هو الصواب ، وهو  
الأمر من « قَرَا » « يَقْرَأ » بتسهيل الهمزة ، وهو شيء اقتضته الضرورة ، فاذ  
سُهِّلَت الهمزة تحولت إلى ألف مد ، وعلى هذا فالوجه أن يكون عجز البيت :  
« واقرّ السلامَ ..... » .

٦ - وجاء في الصفحات ( ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ) في الكلام على نهج القصيدة في  
« مقدمة » المحقق :

وكثيراً ما يأتي على مدح أصحاب الرسول الكرام ثم يعود إلى مدح الرسول  
ثانية .

وقد ذكر المحقق الأبيات التي استدل بها على قوله ، ثم قال : وكان لأصحاب  
النبي ﷺ وآله نصيب من المدائح يمدحهم بلا استثناء أو تفريق بين أحد منهم ،  
وقد يرينا شعره ان الفاروق عمر بن الخطاب هو أحبّ الأربعة الراشدين إليه اذ  
يقول :

قيل لي : « تعشّق الصحابة طُرّاً أم تفرّدت منهم بفريقٍ  
.....  
.....

فإلى من تميلُ؟ قلت : إلى الأربع لاسيّما إلى الفاروق

أقول : وقد مدح آل البيت - رضوان الله عليهم - في قصائد عدّة ، وهو  
القاتل في أمير المؤمنين علي - عليه السلام - :

مُجِعَتْ في صفاتك الأصدادُ فلهذا عزّت لك الأندادُ  
أنت سرُّ النبيِّ والصَّنُو وابنُ العمِّ والصَّهْر والأخ المستجد

والقصيدة طويلة في الديوان .

أقول : اذا كان هذا فهل يحق للدارسين في عصرنا أن يحملوا الصفيّ الحلي على شعراء الشيعة ؟

ونحن نعلم انه انقطع إلى مدح السلطان الملك ناصر الدين محمد بن قلاوون ، من المماليك في قصائد كثيرة تؤلف شيئاً من ديوان ، واتصل بالأرتقيين في ماردين ومدحهم وعلى رأسهم الملك الصالح بن المنصور ، وكان على صلة وثيقة بأبيه الملك المنصور بن غازي صاحب ماردين الذي رثاه وهو في العراق حين بلغه نبأ وفاته ، وجملة هذه القصيدة دُعِيَت « الارتقيات » .

وبعد هذه « المقدمة » للمحقق نباشر الكتاب فنقرأ فيه « مقدمة » المؤلف التي عرض فيها الصفيّ الحليّ للسبب الذي دعاه إلى نظم القصيدة ، ثم عاد فشرحها فجعل منها كتاباً في الأنواع البديعية وأشار إلى من سبقه في هذا التأليف كما أشار إلى مصادره التي أفاد منها .

ولابد لي من وقفات يسيرة على شيء من مادة الكتاب فأقول :

١- جاء في آخر مقدمة المصنف في الصفحة (٥٦) قوله :

وأعوذ بالله أن أكون ممن زكّي نفسه أو ..... وأنما أشرت إلى حسن الاختيار لا إلى الإحسان في الاختبار . فقد قيل : اختبار المرء شاهد عقله .....

أقول : والصواب : « اختيار المرء شاهد عقله » ، وهذا معروف .

٢- وجاء في الصفحة (٥٨) بيت أبي تمام :

السيف كان أصدق أنباءً من الكتب .....

أقول : وزيادة « كان » تفسد الوزن ، والبيت مشهور !!

٣- وجاء في حاشية هذه الصفحة في التعليق على بيت أبي تمام :

تمامه : « في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب » وهو مطلع القصيدة الشهيرة في مدح

الخليفة . . . ، وهو في «شرح ديوان أبي تمام» ، و«بدر التمام» ، و«التنبيه على حدوث التصحيف» و«معجم الأدباء» لياقوت و«تحرير التحبير» و«المثل السائر» و«الإيضاح» للقزويني .

أقول : وهذه الحاشية الطويلة ليست من فضائل التحقيق ، وشهرة البيت تغني عن هذه الحاشية الطويلة ، وقصيدة أبي تمام هذه أشهر من «قفا نبك» كما قيل ، فهل من حاجة إلى هذا التزئد ، ولو تسمَّحنا فأشرنا إلى «الديوان» ، ألم يكن ذلك كافياً ، وأي إفادة في ذكر هذه الكتب ، ثم اننا حين نذكر هذه الكتب فلا بد أن نعلم أن البيت المذكور في عشرات أخرى من المصادر فلمَ اجتزأنا عن كلِّها بسبعة منها؟!!

٤ - وجاء في حاشية هذه الصفحة تعليق على شطر ورد في النص للمتنبي ، وهو قوله :

« لا خيلَ عندك تُهدِيها ولا مالٌ » .

فعلق المحقق في حاشيته وصنع كما صنع في بيت أبي تمام المتقدم فأشار إلى عجز البيت وإلى وروده في ديوان المتنبي في طبعة ( نشرة صادر ) ، وفي الديوان ( شرح العكبري ) ، و«الإيضاح» للقزويني ، و«نهاية الأرب» للنويري ، و«نفحات الأزهار» للنابلسي ، و«خزانة الأدب» للبغدادلي ، و«التلخيص» للقزويني ، و«المثل السائر» .

ماذا أقول في هذا النمط من التحقيق ، وهل استوفى المحقق المصادر التي جاء فيها هذا البيت شاهداً؟ غفر الله له ، لقد نسي ديوان المتنبي ( شرح الواحدي ) !!

أقول : وقد صنع المحقق هذه الصنعة غير المفيدة في جميع الشواهد التي مرت في الكتاب فما أظن أن القارئ محتاج أن يعرف قول النابغة «ولست بمسبوقٍ أخاً لا تلمُّهُ . . . . .» وموقعه في الديوان ، لأنه مشهور ، ألا يكفي ان ينص عليه الصفي الحلي فيقول : كقول النابغة ؟

وهل من حاجة ان نعرف ان البيت في « الشعر والشعراء » ، و« طبقات  
فحول الشعراء » ، و« أخلاق الوزيرين » ، و« فصل المقال » ، و« الإيضاح » .  
سأحك الله أيها الأخ المحقق ، فقد تزدت وتكثرت وعانيت نصباً ، وذهبت  
شَطَطاً . ومثل هذا كثير .

٥- وجاء في الصفحة (٦٠) في الكلام على « الجناس » قول أبي الفتح  
البُستي :

أروم في أيام غيرك بسطة في الجاد لي إني لَعَيْنُ الجاهلِ  
أقول : الجناس في هذا أسماه المؤلف « تجنيس التركيب » وهو قول الشاعر :  
« الجاه لي والجاهلِ » . وهو ضرب من العبث بل من اللعب ، والسعي نحو  
هذه الألاعيب قد حمل الضيم على أدبنا القديم ولاسيما في العصور المتأخرة ، وهذا  
نظير ماورد في مطلع قصيدة الصفي الحلبي .

« إِنْ جِئْتَ سَلْعاً فَسَلِّ عَنْ جِيرة العَلَمِ »

فقوله : « سَلْعاً » وقوله « سَلِّ عَنْ » من هذه الألاعيب التافهة .

٦- وجاء في الصفحة (٦١) في الكلام على « تجنيس المطلق » :

وسماه قوم « تجنيس المشابهة » فهو ما اختلف في الحروف والحركات فاشتبه  
بالمشتق الراجع معناه إلى أصل واحد ، وليس ذلك من أصناف التجنيس كقوله  
تعالى : ﴿ أَرْزَقْتِ الْأَرْزَقَةَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقِيمِ ﴾ .  
ومثال المشتبه قوله تعالى : ﴿ يَا أَسْفَى عَلَى يَوْسَفَ ﴾ وقوله تعالى :  
﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ﴾ .

أقول : تعالى الله عن هذه الألاعيب غلواً كبيراً ، إذ كيف لنا ان نجعل هذه  
الآيات البليغة السمحة من هذا الذي اضطرب فيه المؤلف فقال : ومثل هذا قولي  
في المطلق :

واقر السلام على عُرْبٍ بذي سَلَمِ



وذلك في جمع « السلام » و« سَلَم » في عجز البيت .

٧- وجاء في الصفحة (٦٢) في الكلام على « تجنيس التلفيق » قول البُستي :  
إلى حتفي سعى قَدَمي أرى قَدَمي أراق دَمي  
أقول : ومن هذا العبث قوله : أرى قَدَمي أراق دمي .

ومن غير المعقول أن نجعل الآية السمحة : ﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه ﴾  
من « التجنيس المذيل واللاحق » كما ورد في الصفحة (٦٣) . وجعل من هذا قوله  
في القصيدة :

« إِضْم » و« وَضَم » في قوله :

أبيتُ والدمعِ هامٍ هاملٍ سَرِبَ والجسْمُ في إِضْمٍ لحمٍ على وَضَمٍ .  
وقوله : « هامٍ » و« هاملٍ » من هذا أيضاً .

وكيف يسوغ لنا ان ندرج قوله تعالى : ﴿ ويومٌ تقوم الساعة يُقسِمُ المجرمون  
مالبثوا غير ساعة ﴾ في باب التجنيس ( التام والمطرف ) ، وكذلك قوله تعالى :  
﴿ والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق ﴾ .

٨- وجاء في الصفحة (٦٥) في باب التجنيس « المصحف والمحرف » :

أقول : وكيف يكون منه قوله تعالى : ﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون  
صُنعا ﴾ ، وجعلوا منه أيضاً قوله ﷺ : « اللهم حسنت خلقي فحسن  
خُلقي » !!

وكيف لي أن أدرج هذا الأدب العالي في هذا الباب وأجعله نظير قوله في البيت  
الشاهد من قصيدته :

من لي بكل غريبٍ من طبائهمُ عزيز حُسنٍ يُداوي الكَلَمَ بالكَلِمِ  
أنى يكون هذا !!

٩- ويذهب المؤلف في الصفحة (٦٦) في باب « اللفظي والمقلوب » فيجعل

منه قوله تعالى : ﴿ وَجوهٌ يومئذٍ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ﴾ .

أقول : وهذه المشابهة بين «ناضرة» و«ناظرة» في الآية الكريمة تَسَبَّبت من أن المعريين جهلوا الفرق بين نطق الضاد ونطق الظاء ، فلما كان هذا الخطأ تشابه الصوتان ، وليس في الأصل من شَبَه .

١٠- وجاء في الصفحة (٧٥) في باب «المقابلة» قول صفي الدين :  
كان الرضى بُدُونِي من خواطرهم فصار سُخْطِي لُبْعَدِي عن جوارهم  
والمقابلة هي في «الرضى» و«السُّخْط» و«الدُّنُو» و«البعْد» .

أقول : ان مجيء هذه المواد في البيت تشعان الشاعر قد قصد إليها وتكلفها ، ولم تأت إليه عفو الخاطر ، وليس من ذلك قول المتنبي :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنتني وبياض الصبح يُغري بي  
وسعة ذرع المتنبي تشعنا أنه لم يُعَنَّ نفسه في السعي وراء هذه الفذلكات ،  
فهو القائل :

أنامُ بلءٍ جفوني عن شواردها ويسهرُ الخلقُ جرّاهُ ويختصمُ  
١١- وجاء في الصفحة (٧٨) في باب «الالتفات» بيت النابغة :

يادارَ مئةً بالعلّياءِ فالسُّنْدِ أقوتُ ، وطال عليها سالفُ الأبدِ  
أقول : هل كان هذا البيت المشهور محتاجاً إلى أن يوثقه المحقق فيذكر  
«الكتاب» لسيبويه ، و«الأضداد» لأبي الطيب اللغوي ، و«رصف المباني»  
للمالقي ، وهذا كله زيادة على «الديوان»؟!

١٢- ومن الأعيب البديع ما أسماه المؤلف «التفويف» في الصفحة (٧٩)  
وجعل منه قوله :

أقصرُ ، أطلُّ ، اعذرِ ، اعذلُّ ، سلُّ ، خلُّ ، أعنُّ  
حُنُّ ، هنُّ ، عنُّ ، ترَفَّقُ ، لُجُّ ، كُفُّ ، لمُّ

واستشهد عليه بالغث من قول المتنبي :

أَقْلٌ ، أَنْبُلٌ ، أَقْطَعٌ ، أَحْمَلٌ ، عَلٌّ ، سَلٌّ ، أَعْدٌ  
زِدٌ ، هَشٌّ ، بَشٌّ ، تَفْضَلٌ ، أَذِنٌ ، سُرٌّ ، صِلِرٌ

هذا هو التفويف ، ولو قلت : هذا هو التقييح ، ما جرت على الحق .

١٣ - وجاء في الصفحة (٨٥) في باب « الهجاء في معرض المدح » قول

المؤلف :

« كقول الحماسي » .....

وقد علق المحقق على « الحماسي » فرجع إلى « ديوان الحماسة » بشرحيهما فقال : « البيتان لقريط بن أنيف وهو ..... ثم وثق البيتين بورودهما في جملة من المصادر الأدبية .

أقول : وهذه حاشية مفيدة ، والقارئ محتاج ان يعرف « الحماسي » . غير أن المحقق قد ذكر في مصادر توثيق البيتين : « التنبيه » لابن جني ، ولعله أراد « المنبه » في شرح أسماء شعراء الحماسة ، والكتاب رسالة صغيرة مطبوعة طبعة قديمة وأظنها في دمشق ، ولم أجد « التنبيه » المزعوم لابن جني في فهرس المصادر الذي صنعه المحقق ، كما اني لم أجد « المنبه » أيضاً .

١٤ - وجاء في الصفحة (٨٨) في باب « التهكم » :

قول بعضهم :

فياله من عَمَلٍ صالحٍ يرفعه الله إلى أسفل

وقد علق المحقق على البيت فقال : نُسِبَ إلى ابن الرومي في « تحرير

التحبير » ، و« نهاية الأرب » و« نفحات الأزهار » .

أقول : وأين ديوان الشاعر في طبعته الجديدة ، وطبعته القديمة ( كامل

كيلاني ) ؟

ومثل هذا جاء في الصفحة التالية (٨٩) في الاستشهاد على « الإبهام » من

أنواع البديع ، قول الشاعر :

خاط لي عمرو قُبَاءَ لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءَ  
وقد علق المحقق على البيت فقال : هو لبشار بن برد ، وهو في « العقد  
الفرید » و « الإيضاح » و « قطر الغيث المُسَجَّم » و « نهاية الأرب » و « حدائق  
السحر » للوطواط و « تحرير التحبير » و « نفحات الأزهار » .

ولو ان المحقق ذكر الديوان لأغنانا عن ذلك ، وإذا كان البيت لا يوجد في  
الديوان ، وأظنه كذلك ، كان عليه أيضاً أن يشير إلى أنه ليس في الديوان .  
وقد ضبط « قباء » بضم القاف والصواب بالفتح .

١٥- وجاء في الصفحة (١١٠) في باب « الاستدراك » :

كقول الأرجاني : .....

وقد علق المحقق فقال : لم أجد البيتين في ديوان الأرجاني المطبوع ببيروت  
١٣٠٧هـ .

أقول : هذا التعليق مفيد ، ولكن المحقق لم يعلم أن الديوان قد طبع طبعة  
محققة استدرك فيها صاحبها على الطبعة الأولى ، وكان على المحقق أن يرجع  
إليها ، فان لم يكن البيتان في الطبعة الجديدة حق له أن يذهب إلى ما ذهب إليه .

١٦- وجاء في الصفحة (١٣٤) في باب « التكرار » قوله :

الطاهر الشَّيْمِ ابن الطاهر الشَّيْمِ ابـ نـ الطاهر الشَّيْمِ ابن الطاهر الشَّيْمِ

أقول : كيف يكون هذا « التكرار » الثقيل من « البديع » .

وكيف صحَّ أن يستشهد المؤلف على هذا بقول ابن المعتز :

لساني لِسْرِي كَتَوْمٌ كَتَوْمٌ ودمعي بِحُبِّي تَمُومٌ تَمُومٌ

ما أبعد هذا عن بيت المؤلف المتقدم .

١٧- وجاء في الصفحات (١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦) أنواع هي :

المبالغة والإغراق والغلو والإيغال . وليس لنا أن نعدّ هذه من « المحسنات » .

وكيف يكون من « المبالغة » قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ !!

وكيف يكون من « الإغراق » قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ !!

وكيف يكون من « الغلو » قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ !!

١٨ - وجاء في الصفحة (١٦٤) « الترشيح » من أنواع البديع ، واستشهد له المؤلف بقول التهامي :

وإذا رجوتَ المستحيلَ فإِنَّمَا تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرِ هَارٍ  
قال المؤلف : فلولا ذكر « الشفير » لما كان في « الرجاء » تورية بـ « رجاء البئر »  
ولكان من « رجوت الأمر » .

أقول : ولا وجه للتورية ، فأما ماكان للبئر فهو « رَجَا » بالقصر ، وإن جاز ،  
مَدَّ المقصور . ولا أرى التهامي إلا قصد « الرجاء » على حقيقته ، وقوله : « شفير  
هار » لا يدعو أن يكون « الرجاء » للبئر .

١٩ - وجاء في الصفحة (٢٣٣) في باب « ائتلاف اللفظ مع الوزن » قوله :  
فِي ظِلِّ مَنْصُورِ اللِّوَاءِ لَهُ عَدْلٌ يُؤَلِّفُ بَيْنَ الذُّئْبِ وَالغَنَمِ  
قال المؤلف : وهذا النوع لا مثال له ، لأنه عبارة عن ألا يضطر الشاعر للوزن  
إلى أن يقدم بعض الألفاظ ويؤخر بعضها فيفسد تصور المعنى ويذهب رونق اللفظ  
كما قال الفرزدق :

ومأمثلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلِكًا أَبُو أُمَّه حَيُّ أَبُوهُ يَقَارِبُهُ  
أقول : وهذا البيت يدخل في سوء التركيب ، وقد استشهد به البلاغيون  
وعَدَّوه من العيوب لأنه يدخل في باب « التعقيد » . ←

## توجيهات نحوية للحديث النبوي

« لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحبوا . . . »

« الحديث الشريف » هو المصدر التالي لـ « القرآن الكريم » في ميدان التشريع الإسلامي ، وثاني أدلة الأحكام ، وهو مثل ذلك في ميدان اللغة والنحو والتصريف ، لما بينهما من ترابط وتوأشج في المسلك والقصد ، لأنَّ الحديث الشريف أفصحُ كلامٍ نَطَقَ به العربُ ، وهو مع ذلك يتميز بمادة غزيرة ، وثناء لفظي ، ولهجات عربية ، وتراكيب تقف مصاقع العرب عن أن تأتي بمثلها ، وأساليب يعجز البلغاء عن مجاراتها في أدبها وبيانها وسحرها .

→ وقال المؤلف : وألَّا يضطر الشاعر الوزن إلى فساد اللغة بتغيير صيغها كقول الشاعر :

حتى إذا خَرَّتْ على الكَلْكَالِ

ويريد « الكَلْكَالِ » .

أقول : وهذا شيء تفرضه لغة الشعر بسبب الوزن والقافية ، فقد يبدلون حرفاً بآخر من أجل القافية ، وقد يستحدثون ما لا يجوز في العربية ، وباب هذا طويل . أليس من سلطان القافية ، وتحكمها أن يقول العجاج :

قواطناً مَكَّةَ من وُرُقِ الحمي

وأصل « الحمي » الحَمَام فحذف الألف ، وأبدل الميم الثانية ياءً . . . . .

وقد ورد هذا الشاهد في نص الكتاب فجعله المحقق « الحمي » ( كذا ) بفتحة على الميم وفاتته بذلك النكته ، وسقط الاستشهاد بهذا الرجز لصنعة المحقق . والرجز من شواهد النحو القديم ، وهو مذكور في كتب النحو كافة .

وبعد فهذا جملة ماوددت أن أقف عليه مجتزئاً بالمهم من المسائل عن كثير غيرها .

صنعاء : د. إبراهيم السامرائي

لذا فالنحويُّ مُلزَمٌ بالرجوع إلى معينه الفياض ، ومورده العذب الزُّلال ، لترداد معرفته بالشواهد العربية الثرية ، وليطلع على الرصيد العربي الضخم الذي ورثناه من سيِّد ولد عدنان ﷺ .

فـ « الحديث النبوي » حافظٌ لِلُّغَةِ العربية — بعد كتاب الله تعالى — وللهجاتها ، وغريب ألفاظها من الضياع والاندثار .

و « الحديث النبوي » قَدَمٌ للغة العربية ألفاظاً جديدة ، وتراكيب رفيعة لم تكن من قبل .

ولا يجوز الطعنُ في لغة صادرة عن عربي فصيح ، وإن كانت خارجةً عن القواعد النحوية العامة .

قال ابن جني في « الخصائص » ( ١ : ٣٨٥ — ٣٨٦ ) : ( باب فيما يرد عن العربي مخالفاً لما عليه الجمهور : إذا اتفق شيءٌ من ذلك نظر في حال ذلك العربي وفيما جاء به . فإن كان الإنسان فصيحاً في جميع ما عدا ذلك القدر الذي انفرد به ، وكان ما أورده مما يقبله القياسُ ، إلا أنه لم يرد به استعمالٌ إلا من جهة ذلك الإنسان ، فإن الأولى في ذلك أن يُحسن الظنُّ به ، ولا يُحمل على فساده .

فإن قيل : فمن أين ذلك له ، وليس مسوغاً أن يرتجل لغةً لنفسه ؟

قيل : قد يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة ، قد طال عهدها ، وعفا رسمها ، وتأبدت<sup>(١)</sup> معالمها . . قال عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — : كان الشعر علم القوم ، ولم يكن لهم علم أصحُّ منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد ، وغزو فارس والروم ، ولُهِيت عن الشعر وروايته ، فلما كثرت الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب في الأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا<sup>(٢)</sup> إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هَلَكَ من العرب من هلك . . .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير . انتهى .

فقد بحث ابن جني مسألة مخالفة العربي الفصيح ماعليه الجمهور .  
وأفاد بأنه يقبل منه ، ولا يرد عليه ، ويحمل كلامه على أنه لغة قديمة قد طال  
عهدها وعفا رسمها ، وتآبدت معالمها . . .

هذا بالنسبة للعربي الفصيح ، فما بالك بحديث أفصح العرب ، وصفوة البشر  
محمد ﷺ الذي مدت عليه الفصاحة رُواقها ، وشدت به البلاغة نطاقها ،  
وازدهرت به لهجاتها .

لذا أقول : لا يجوز الطعن في فصاحة الحديث النبوي على الإطلاق ، ولو كان  
خارجاً عن القواعد النحوية العامة ؛ لأن الحديث النبوي سبق وضع القواعد  
النحوية ، والقواعد خاضعة في مقاييسها للحديث الشريف ، كما أنها خاضعة  
لكلام العرب ، وليس الحديث النبوي ، خاضعاً للموازين النحوية .

فقد جاء في « خزنة الأدب » ( ١ : ١١ - ١٢ ) : قال أبو حيان الأندلسي  
- ٧٤٥هـ : ( ونعلم قطعاً من غير شك أن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب ،  
فلم يكن يتكلم إلاً بأفصح اللغات ، وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزها ، وإذا  
تكلم بلغة غير لغته فإنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الإعجاز ،  
وتعليم الله ذلك له من غير معلم ) . انتهى .

\*\*\*

والحديث عن الحديث ، ذو شجون ، لذا أودُّ أن أقصر حديثي على حذف  
النون في الأفعال الخمسة في ( لا تدخلوا ) و ( لا تؤمنوا ) من الحديث الشريف ،  
الذي خصصتُ هذا المقال له .

● فأقول - وبالله التوفيق - :

أُخْرِجَ الحديث أحمدُ في « مسنده » ( ٢ : ٢٤٢ ) من حديث أبي هريرة يرفعه :  
« والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تُؤْمِنُوا ، ولا تؤمنون حتى تحابوا » .  
ومثله في « مسنده » ( ٢ : ٣٩١ ) دون « والذي نفسي بيده » .

وكذلك أخرجه البغويُّ في « مصابيح السنة » ( ٢ : ١٠٠ ) بإثبات النون في



(تدخلون) و(تؤمنون) .

والحديثُ بهذه الرواية موافق للقواعد النحوية المشهورة .

وأخرج الحديثَ الشريفَ مسلمٌ في « صحيحه » في ( كتاب الإيمان - باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون . . . ) ( ١ : ٧٤ ) من حديث أبي هريرة ، يرفعه بلفظ : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا ، أولاً أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلامَ بينكم » .

وأورده بعده في نفس الباب برواية : « والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا . . . » .

قال محيي الدين أبوزكريا يحيى النوي - ٦٧١هـ في « شرحه على مسلم » ( ٢ : ٣٦ ) : قوله ﷺ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا » هكذا في جميع الأصول والروايات . و « لا تؤمنوا » بحذف النون من آخره ، وهي لغة معروفة صحيحة .

وقال شهابُ الدين ، أحمدُ بنُ عمرَ ، أبو العباس القرطبي - ٦٥٦هـ في كتابه « المفهم » ( ج ١ / ق ٤٤ ) : قوله : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا » كذا صحَّة الرواية هنا . و « لا تؤمنوا » بإسقاط النون ، والصواب إثباتها كما وقع في بعض النسخ ، لأن ( لا ) نفيٌ ، لا نهيٌ ، فلزم إثباتها .

وأخرجه أحمدُ في « مسنده » ( ٢ : ٤٩٥ ) بنحو رواية مسلم من حديث أبي هريرة يرفعه : « والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا » .

وفي « مشكاة المصابيح » - التبريزي ( ٣ : ١٣١٦ ) بإثبات نون « تدخلون » ، ويحذفها في « لا تؤمنوا » .

وأخرجه أبو داود في « سننِه » في ( كتاب الأدب - باب في إفشاء السلام ) كما في « مختصر سنن أبي داود » ( ٨ : ٦٧ ) من حديث أبي هريرة يرفعه بلفظ : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنون حتى تحابُّوا » .

● فالروايات المتقدمة إما بإثبات (نون) الرفع في (تدخلون) و(تؤمنون) .

وإما بإثبات (نون) الرفع في (تدخلون) وحذفها في (تؤمنون) .

وإما بحذف (نون) الرفع في (تدخلون) وإثباتها في (تؤمنون) .

● وهناك فريق من علماء الحديث أورد الحديث بحذف (النون) في (تدخلون) و(تؤمنون) معاً ، وإليك هذه الروايات :

أخرجه أحمد في « مسنده » ( ١ : ١٦٧ ) بلفظ : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ... » .

وبهذا اللفظ أخرجه ابن ماجه في « سننه » في المقدمة ( ١ : ٢٦ ) ، والترمذي في « صحيحه » في ( أبواب الاستئذان والأداب - باب ماجاء في إفشاء السلام ) كما في « عارضة الأحوزي » ( ١٠ : ١٦٠ ) ، وابن جبان ، في « صحيحه » كما في « الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان » ( باب ماجاء في صفات المؤمنين - ذكر نفي الإيمان عمن لا يتحاب في الله - جل وعلا ) ( ١ : ٢٢٩ ) ، والدليمي في « الفردوس » ( ٤ : ٣٦٩ ) .

وأخرجه أحمد في « مسنده » ( ٢ : ٥١٢ ) بلفظ : « والله لا تدخلوا الجنة حتى تحابوا ... » .

وأخرجه الجميع من حديث « أبي هريرة<sup>(٣)</sup> » .

\*\*\*

ومن لا دراية له بلغة العرب ولهجاتها يجعل هذا الحديث من قبيل اللحن في الكلام ، وأنه صادر من العجم الذين يروون بالمعنى ، ولا يفقهون العربية<sup>(٤)</sup> .

نعم هذا « الحديث الشريف » برواية حذف (نون) الرفع مشكلٌ معضل ، مخالفٌ للمعروف والمشهور من القواعد النحوية .

والقاعدة في ذلك هي : إذا اتصل بالفعل المضارع ألف اثنتين ، أو واو جمع ، أو ياء مخاطبة ، فعلامه رفعه نونٌ مكسورة بعد الألف ، نحو : ( تذهبان ) ،

ومفتوحةً بعد الواو والياء ، نحو : ( تذهبونَ ) و ( تذهبينَ ) .  
وحذف هذه النون علامةً للجزم ، نحو : ( لم تذهبا ) ، وعلامةً للنصب ،  
نحو ( لن تذهبا ) .

وماروي من حذف ( نون ) الرفع في الأفعال الخمسة له وجوه :  
الوجه الأول : أنه لغةً معروفةٌ صحيحة ، نص عليها النوويُّ كما مر .  
والسجاعيُّ ، في « حاشيته على شرح القطر » ( ص : ٣٠ ) . وقال في ( ص :  
٣٧ ) : قد ورد حذفُ النون لغيرِ ناصبٍ وجازمٍ نثرًا ونظمًا لكنه غير مقيس<sup>(٥)</sup> .  
الوجه الثاني : أن حذف ( نون ) الرفع في موضع الرفع لمجرد التخفيف ثابتٌ  
في الكلام الفصيح نثره ونظمه .

قاله ابن مالك في « شواهد التوضيح والتصحيح » ( ص : ٢٢٨ ) .  
وقال : فمن ثبوته في النثر مارواه البغوي من قول النبي ﷺ : « لا تدخلوا  
الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » .  
وما ذكره أبو الفرج في « جامع المسانيد » من قول وفد عبدالقيس : ( وأصبحوا  
يُعلِّموننا كتابَ الله<sup>(٦)</sup> ) .

ومن ذلك قولُ عقبة بن عامر - رضي الله عنه - للنبي ﷺ : إِنَّكَ تَبَعُنَّا  
فَنَنْزِلُ بِقَوْمٍ لَا يَقْرُونَا<sup>(٧)</sup> والأصل : لا يقروننا .

ومن ذلك قول ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن أزهر - رضي الله  
عنهم - لرسولهم إلى عائشة - رضي الله عنها - يسألون عن الركعتين بعد  
العصر : بَلَّغْنَا أَنَّكَ تَصَلِّيهِمَا<sup>(٨)</sup> ، والأصل : تصلينهما .

ومن ذلك قولُ مسروق لعائشة - رضي الله عنها - : لِمَ تَأْذَنِي لَهُ<sup>(٩)</sup> ؟ يعني  
حسان - رضي الله عنه - . والأصل : تأذنين .

واستشهد ابن مالك في « شرح التسهيل » ( ١ : ٥٧ ) بقوله تعالى : ﴿ قَالُوا  
سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ﴾<sup>(١٠)</sup> بتشديد الظاء ، وأصله تتظاهران ، فأدغمَ التاء في

الظاء ، وارتفع (ساحران) على أنه خبرٌ مبتدأٌ محذوف ، أي : أنتما ساحران تظاهرا<sup>(١١)</sup> . أهـ .

ومن ثبوته في النظم قولُ الراجز :

أَبَيْتُ أُسْرِي وَتَبَيْتِي تَذْلُكِي وَجَهَكَ بِالْعَنْبَرِ وَالْمِسْكِ الذُّكِي<sup>(١٢)</sup>  
والأصل : تبيتين ، وتذلكين . حذف النون دون جازم ولا ناصب .

ومن ذلك قولُ أبي طالب :

فَإِنْ يَكُ قَوْمٌ سَرَّهُمْ مَاصِنَعْتُمْ سَيَحْتَلِبُونَهَا لَاقِحًا غَيْرَ بَاهِلٍ<sup>(١٣)</sup>  
أراد : فسيحتلبونها .

الوجه الثالث : أنه عملت (لا) النافية الجزم حملا على (لم) .

قال السيوطي في «عقود الزبرجد» (ص : ٦٠٧) : قال ابن هشام في «تذكرته» : قد تعمل (لا) حملا على (لم) في مثل «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا» في أحد القولين<sup>(١٤)</sup> .

قال الرُّضِيُّ في «شرح الكافية» (٢ : ٢٥٢) :

وقد سُمع عن العرب الجزم بـ (لا) النفي ، إذا صلح قبلها (كي) نحو :  
جنته لا يكن له عليَّ حجة – ولا يكون<sup>(١٥)</sup> .

الوجه الرابع : أنه عملت (لا) النافية الجزم تشبيهاً بالناهية .

قال السيوطي في «عقود الزبرجد» (ص : ٦٠٧) : قال ابن الصائغ في «تذكرته» : أجاز ابن أبي الربيع في قوله – عليه الصلاة والسلام – :  
«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا» أن تكون (لا) نافية ،  
وقد أعملها تشبيهاً بالناهية ، لاجتماعها في ارتفاع الحكم معها .

الوجه الخامس : كون (لا) ناهيةً .

قال السيوطي في «عقود الزبرجد» (ص : ٦٠٧) : أجاز ابن أبي الربيع أن

تكون ( لا ) في « لا تدخلوا » و « لا تؤمنوا » ناهية .

وقد أوقع الجملة الطلبية موقعَ الخبرية على حدِّ قوله - عليه الصلاة والسلام - « فَلْيَتَّبِعُوا<sup>(١٧)</sup> » .

وقال أبو عبدالله محمد بن خلفه الوشني الأبي<sup>(١٨)</sup> - ٨٢٧هـ في « إكمال إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم » ( ١ : ١٦٢ ) : يصحَّ النهي في « ولا تؤمنوا » على أن يكون الإيمان الثاني هو الأول ، والمراد به المطلق - أي : الذي هو التصديق - ، ولم يذكر الثاني من حيث الوقف عليه بل من حيث النهي عن الاقتصار عليه .

فالمعنى : لا تدخلون الجنة حتى تصدقوا ، ولا تقتصروا على التصديق بل حتى تضيفوا إليه التحاب .

فإن قلت : وقف الإيمان على التَّحَابِّ إن كان التحابُّ من الجانبين ، كما تقتضيه المفاعلة لزم التكليف بفعل الغير ولا يجوز ، وإن كان من جهةٍ واحدةٍ لزم التكليف بالأمر الجبلي ؛ لأن المحبة جبليَّة .

قلت : فعل الغير إن كان سببه من المكلف صحَّ التكليف به ، وينصرف التكليف إلى ذلك السبب ، والسبب هنا إفشاء السلام .

الوجه السادس : أنه ضرورة نثرية .

قال ابن عصفور في « ضرائر الشعر » ( ص : ١٠٩ ) : ومنه - أي : من الضرورة - حذفُ النون الذي هو علامةٌ للرفع في الفعل المضارع لغير ناصب ولا جازم ، تشبيهاً لها بالضممة من حيث كانتا علامتي رَفْعٍ ، نحو قول أئمن بن خُرَيْم :

وَإِذْ يُغْصَبُوا النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ إِذَا مَلَكُوهُمْ وَلَمْ يُغْصَبُوا

وقول الآخر :

أَيْتُ أُسْرِي وَتَبَّيْتُ تَدْلُكِي وَجَهَكَ بِالْعَنْبَرِ وَالْمِسْكِ الدَّكِي

وقول الآخر ، أنشده الفارسي :  
والأرضُ أورثتُ بنيَ آداما ما يغرُسوها شجراً أياماً  
ألا ترى النون قد حذفت من ( يغصبون ) و ( تبيتين ) و ( تدلكين )  
و ( يغرسون ) لغير ناصب ولا جازم ، كما فعل بالحركة في ( أشرب ) من قوله :  
فاليومَ أَشْرَبُ غيرَ مُسْتَحْقِبٍ<sup>(١٩)</sup> .....

ولا يُحْفَظُ شيءٌ من ذلك في الكلام<sup>(٢٠)</sup> إلا ما جاء في « مسلم<sup>(٢١)</sup> » في قتلى بدر  
حين قام عليهم رسول الله ﷺ فناداهم . . الحديث . . فسمع عمرُ قول النبي  
ﷺ فقال : يا رسول الله ، كيف يَسْمَعُوا ، وأنى يجيبوا وقد جِئُوا ! فحذف النون  
من ( يسمعون ) و ( يجيبون ) . انتهى<sup>(٢٢)</sup> .

وسبب الضرورة بحذف ( نون ) الرفع في الحديث الشريف الذي نحن بصدد  
الحديث عنه : المشاكلة في اللفظ ، والتجانس الصوتي ، واعتدال نَسَقِ الكلام ،  
وحُسْنُ موقعه من النفس ، والتناسب والازدواج . وهذه الأمور سِمَاتُ بارزة في  
اللغة العربية ، وهي أمر مطلوب قد يُرْتَكَبُ لها أمورٌ من مخالفة الأصول ؛ لأنَّ  
العربَ يعنون بالألفاظ كاعتنائهم بالمعاني .

والذي حَسَّنَ حذف النون في ( لا تدخلوا ) و ( لا تؤمنوا ) وقوْعُ فعلٍ  
مضارعٍ قد حذفت منه النون للناصب بعد كلِّ فعلٍ<sup>(٢٣)</sup> .

وهذا الوجه أميلُ إليه ؛ لأن مخالفة المؤلف من القواعد للتناسب والازدواج له  
شواهد من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكلام العرب ، ولا يتسع  
المقام لذكرها وسردها وشرحها<sup>(٢٤)</sup> .

\*\*\*

وأختم مقالي بأن كلامه ﷺ سديد المنهج ، واضح المعالم ، مشرق المعاني ،  
محكم الأداء ، والفصاحة تتجلى في كلِّ لفظة من منطوقه ، وتبary<sup>(٢٥)</sup> ألفاظه  
ومعانيه إلى الأفهام ، وتكاد تشقُّ طرقها إلى القلوب قبل الأسماع ، ووجود  
الروايات في « الحديث الشريف » لا يعني أن النبي ﷺ قال لفظاً واحداً ، وباقى

الروايات حاصلة من تغيير الرواة . فاختلاف ألفاظه قد يكون لاختلاف المناسبات والأحوال . ومن المستحيل أن يعيد ﷺ حديثه بلفظه في كل مرة .

قال علي القاري في « شرح نخبة الفكر » (ص : ١٤٧) : ( وأما قوله – أي : ابن حجر – : ويدل عليه – أي : على وجود الرواية بالمعنى – أيضاً رواية الصحابة ، ومن بعدهم القصة الواحدة بألفاظ مختلفة ، فَمَدْفُوعٌ بأنه إما مَحْمُولٌ على تعدد الروايات ، أو على نقل المعنى بالضرورة ) ، انتهى .

و « الحديث النبوي » الذي نحن بصدد التشرف بالكلام عليه حديثٌ خرج من مشكاة النبوة بألفاظه المتعددة ، للمناسبات المختلفة . وكلها فصيح صحيح ، لها وجوه ملاح .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين . . .

الدكتور محمود فجال

أستاذ النحو العربي المشارك

ورئيس قسم النحو والصرف بكلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – أبها

مصادر البحث ومراجعته :

- « الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان » ترتيب الأمير علاء الدين ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، دار الباز ، الأولى ١٤٠٧هـ .
- « إكمال إكمال المُعَلِّم في شرح صحيح مسلم » لـ « الأبي » ، تصوير بيروت عن طبع السعادة ١٣٢٧هـ .
- « البحر المحيط » لأبي حيان ، مصور عن طبع السعادة ١٣٢٨هـ .
- « بغية الوعاة » للسيوطي ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع عيسى الحلبي ١٩٦٤ .
- « التصريح بمضمون التوضيح » لخالد الأزهرى ، طبع عيسى البابي الحلبي .
- « حاشية السجاعي على شرح القطر » طبع عيسى البابي الحلبي .
- « خزنة الأدب » للبغدادي تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٨٧هـ .
- « الخصائص » لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، طبع دار الكتب ١٣٧١هـ .
- « رصف المباني » للمالقي ، تحقيق د. أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، الثانية ١٤٠٥هـ .
- « سنن ابن ماجه » تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، طبع عيسى البابي الحلبي ١٣٧٢هـ .
- « السيرة النبوية » لأبي محمد عبدالملك بن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وزميليه ، تصوير بيروت .
- « شرح التسهيل » لابن مالك ، تحقيق د. عبدالرحمن السيد ، الإنجلو ، الأولى ١٣٩٤هـ .

- « شرح الكافية » للرضي ، مصورة عن طبع إستانبول ١٣٠٥هـ .
- « شرح الكافية الشافية » لابن مالك ، تحقيق د. عبد المنعم أحمد الهريدي ، مطبوعات جامعة أم القرى ١٤٠٢هـ .
- شرح نخبة الفكر « لعلي القاري ، طبع إستانبول ١٣٢٧هـ .
- « شفاء العليل في إيضاح التسهيل » للسلسلي ، تحقيق د. الشريف عبدالله الحسيني ، الفيصلية مكة المكرمة ، الأولى ١٤٠٦هـ .
- « شواهد التوضيح والتصحيح » لابن مالك ، تحقيق د. طه محسن ، طبع وزارة الأوقاف (العراق) ١٤٠٥هـ .
- « الصحاح » للجوهري تحقيق أحمد عبدالغفور العطار ، القاهرة ١٣٧٧هـ .
- « صحيح البخاري » طبع إستانبول ، تصوير دار الفكر .
- « صحيح مسلم » بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، طبع عيسى البابي الحلبي ، الأولى ١٣٧٤هـ .
- « صحيح مسلم بشرح النووي » المطبعة المصرية بالقاهرة ١٣٤٩هـ .
- « ضرائر الشعر » لابن عصفور ، تحقيق السيد إبراهيم محمد ، دار الأندلس ، الأولى ١٩٨٠م .
- « عارضة الأحوزي لشرح صحيح الترمذي » لابن العربي ، نشر دار الكتاب العربي .
- « عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد » للسيوطي ، مخطوط (الرباط) .
- « كتاب سيبويه » تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- « لسان العرب » لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٨هـ .
- « مختصر سنن أبي داود » للمنذري ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ومحمد حامد الفقي ، تصوير دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٠هـ .
- « مسند الإمام أحمد » المكتب الإسلامي ، بيروت ، الثانية ١٣٩٨هـ .
- « مشكاة المصابيح » للتبريزي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الثانية ١٣٩٩هـ .
- « مصابيح السنة » للبغوي ، دار القلم ، بيروت .
- « المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم » لأبي العباس القرطبي ، مخطوط العثمانية برقم ١٢٣ (حلب) .
- « همع الهوامع » للسيوطي ، تصوير دار المعرفة ، بيروت .

\*\*\*

[ الحواشي ] :

- (١) أي : جُهِلَتْ ، من قولهم : تَأَبَّدَ الرَّسْمُ ، أي : أوحش وأقفر وتكرر . انظر « الصحاح » (أبد ٤٣٩/٢) .
- (٢) أي : يراجعوا ، وهو مضارع « آل » .
- (٣) وبما أوردته من الروايات يُعلم أن « الحديث الشريف » لم يُرَوَّ في الصحاح ، والسنن ، والمسانيد بلفظ : « لن تدخلوا .. ولن تؤمنوا .. » .
- (٤) ولستُ في هذا الموطن متعرضاً بالدُّرس لمسألة ( الرواية بالمعنى ) ، وأنها غير جائزة إلا في حالة الضرورة ، وأن الرواية بالمعنى مقيدة بعصر التدوين للحديث الشريف قبل فساد اللغة .  
كما أنني لا أريد الخوض في أن علماء الحديث من الأعاجم كـ « البخاري » وأمثاله على دارية كافية في اللغة العربية ، وأن علماء الأصول والمصطلح لم يشترطوا في صحة الرواية أن يكون الراوي عربياً ، وأنهم لم ينصوا على أن رواية المعجمي لا تجوز .  
ومن أراد الوقوف على ذلك فعليه بالرجوع إلى كتابي « الحديث النبوي في النحو العربي » و « السير



الحيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي « طبع « نادي أهدى الأدبي » ففيها غنية للمنتصف ، ومَقْنَع لمن يَنْشُد الحقيقة .

- (٥) وانظر « معجم الموامع » ( ١ : ٥١ ) .
- (٦) أخرجه « أحمد » في مسنده ( ٤ : ٢٠٦ ) بلفظ : « وأصبحوا يعلموننا كتاب ربنا » .  
وأما « جامع المسانيد » فهو كتاب استوعب غالب « مسند أحمد » و « صحيح البخاري ومسلم » و « جامع الترمذي » ألفه ابن الجوزي ، أبو الفرج ، جمال الدين ، عبدالرحمن بن علي بن محمد المتوفى ببغداد سنة ٥٩٧هـ .
- توجد منه نسختان بتونس : أولاهما في ( العبدلية ) برقم ( ٦٨٣ ) ، والأخرى بـ « العطارين » برقم ( ٥٥٣٨ ) . وكتبنا بخط مشرقى .
- (٧) أخرجه البخاري في صحيحه في ( كتاب المظالم - باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظاله .. ) ( ٣ : ١٠٢ ) وروى أبو ذر : « لا يقرؤنا » أي : لا يضيفوننا .
- (٨) أخرجه البخاري في صحيحه في ( كتاب المغازي - باب وفد عبدالقيس ) ( ٥ : ١١٧ ) برواية : « وأنا أُخبرنا أنك تُصَلِّيها » . ورواية الكُشْمِينِيّ : تُصَلِّيها كما في حاشية البخاري ( طبعة ) اليوناني ( ٥ : ٢١٤ ) .
- (٩) أخرجه البخاري في صحيحه في ( كتاب المغازي - باب حديث الإفك ) ( ٥ : ٦١ ) .
- (١٠) القصص : ٤٨ ، قرأ الجمهور « تظاهرا » فعلاً ماضياً ، وقرأ طلحة والأعمش : « أظاهرا » بهمزة الوصل وتشديد الظاء . وقرأ محبوب عن الحسن ويحيى بن الحارث الذماري وأبو حنيفة وأبو خلاد عن يزيد : « تظاهرا » بالياء وتشديد الظاء . « البحر المحيط » ( ٧ : ١٢٤ ) ، وانظر « البحر » ( ٢ : ٤٩٢ ) .
- (١١) انظر « شفاء العليل في إيضاح التسهيل » ( ١ : ١٢٥ ) .
- (١٢) البیتان من الرجز ، وهما في « الخصائص » ( ١ : ٣٨٨ ) ، و « شرح التسهيل » لابن مالك ( ص : ٥٧ ) و « شرح الكافية الشافية » ( ١ : ٢١٠ ) ، و « البحر المحيط » ( ٢ : ٤٩٢ ، ٦ : ٦٣ ) ، و « وصف المباني » ( ص : ٤٢٣ ) ، و « التصريح » ( ١ : ١١١ ) ، و « معجم الموامع » ( ١ : ٥١ ) .
- (١٣) اللاقح : التي قبلت اللقاح من الإبل ، والباهل من أهل الناقة إذا أهملها من غير صرار ولا خطام ولا بيمة عليها ، أي : فهي مباحة . انظر « لسان العرب » ( بهل : ١١ : ٧١ - ٧٢ ) .
- هكذا روي البيت في « شرح التسهيل » لابن مالك ( ص : ٥٧ ) ، و « شرح الكافية الشافية » ( ١ : ٢١١ ) ، وروايته في « شواهد التوضيح » ( ص : ٢٣ ) هكذا :

فإن سرُّ قوماً بعضُ ما قد صنعتم ستحتلبوها لا قبحاً غيرَ باهلٍ

ورويته في « السيرة النبوية » ( ١ : ٢٩٧ ) هكذا :

فإن نكُ قوماً نبتُّ ما صنعتم وتحتلبوها لِقحةً غيرَ باهلٍ

نبتُّ : نأخذ بثأرنا منكم ، ويروى : نبتُّ أي : ندخره حتى نتنصف منكم .

- (١٤) لعله يريد في إحدى روايتي الحديث الشريف .
- (١٥) أوردت هذا النص للاستئناس .
- (١٦) هو محمد بن عبدالرحمن ، شمس الدين ، النحوي ، المتوفى سنة ٧٧٦ ، فاضل بارع ، قوي البادرة ، دمت الخلق ، له « التذكرة » في عدة مجلدات في النحو ، مترجم في « بغية الوعاة » .
- (١٧) قطعة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم - باب إثم من كَذَبَ على النبي ﷺ ( ١ : ٣٥ ) بلفظ : « من تعمَّد على كذباً فليتبوأ مقعده من النار » .

## لمحات وانطباعات عن مشاهداتي في السروات

[ محاضرة القيت في ليلة الأربعاء ( ٢١/١١/١٤٠٨ هـ ) في مدينة الباحة ضمن البرنامج الثقافي الذي نظمته  
إمارة الباحة ] .

خَيْرٌ ما استفتح به هذا الحديث حَمْدُ الله مستحقَّ الحمد ، والصلاة والسلام  
على خير خلقه ، سيدنا محمد وعلى كل سائرٍ على نهجه .  
ثم أتوجه بالشكر الجَمِّ لهذا الأمير الشهم :

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود بن عبدالعزيز  
هذا الفرع الباسق من فروع هذه الشجرة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في  
السماء ، فقد هيأ لي فرصة طيبة أستجلي خلالها ملامح ذكريات رحلةٍ مضى عليها  
ثمانية عشر عاماً ، سعدتُ فيها بالاستمتاع بمشاهدة هذه الربوع الطيبة من وطننا  
الحبيب ، بما استفدته عنها من علم ومعرفة ، باللقاء بإخوة أحبة ، غمرني من  
فضلهم ، وشملني من حسن استقبالهم ، وكرم ضيافتهم ، مالا يستغرب منهم .

- 
- (١٨) له ترجمة في «توشيح الديباج» (ص : ٢٠٤) .  
(١٩) صدر بيت لامرئ القيس ، وعجزه : إنما مِن الله ولا وأغزل .  
وهو في «الكتاب» (٤ : ٢٠٤) ، و«الخصائص» (١ : ٣٨٨) .  
قاله حينما أدرك ثار أبيه ، فتحلل من نذره أن لا يشرب الخمر حتى يثار به .  
استحقب : اكتسب . الواغل : الداخل على القوم في شراهم .  
الشاهد : تسكين الباء في (أشرب) في حال الرفع والوصل . ويروى (فاليوم أسقى) وفاليوم فاشرب ،  
ولا شاهد في هاتين الروايتين .  
(٢٠) بل يحفظ الكثير ، وماذكرته كاف للمتأمل .  
(٢١) في صحيحه في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه . . . )  
(٤ : ٢٢٠٣) .  
(٢٢) انظر «خزانة الأدب» (٨ : ٣٤٠) .  
(٢٣) انظر «عقود الزبرجد» (ص : ٦٠٧) .  
(٢٤) اقرأ مقالتي بعنوان «قضايا نحوية حول التناسب في الفاصلة القرآنية» (ص : ٧٧٥) من (مجلة العرب)  
ج ١١ ، ١٢ جمادى الأولى والأخرة ١٤٠٨ هـ .  
(٢٥) أي : تتسابق .

وها هي المناسبة تُتاح لي مرةً أخرى لتتجدد المعرفة ولأضيف بهذا اللقاء المبارك بهاؤلاء الإخوة الأحبة الجديد المفيد إلى ما كان لهم فضل تفصيله عن مشاهدتي في كتابي « في سراة غامد وزهران » الذي نُشر عام ١٣٩١ هـ. إثر رحلةٍ لم يُحَلِّ قَصْرُ زمنها عن عمق أثرها ، وكان لأمير هذه البلاد - في ذلك العهد - الأمير سعود بن عبدالرحمن السديري - طيب الله ذكره - بما أضفاه عليّ من فضل ، وما بذله من عونٍ طيلة أيام الرحلة ، ما يستدعي الذكر ، ويستوجب جزيل الشكر .

وما أسعدني - أيها الإخوة - الآن بالتحدث إليكم حديثً المستزيد من المعرفة ، المشارك في البحث ، لإثارة ما في نفوسكم من رغباتٍ عن إيضاح جوانب ذات صلةٍ بتاريخكم أنتم بإدراكها ومعرفتها أعمقُ مني صلةً ، وأقوى إدراكاً ، وأوسعُ علماً ، ومن هنا فلن أستغل الوقت في التحدث إليكم ، ولن يستغرق حديثي من الزمن ما يُحْدِثُ إملالاً أو سأمًا ، ولكنني سأصغي للاستماع لأحاديثكم إصغاءً ارتياح واستزادة واستفادة .

ولئن كان الطعام يستطاب لتقديم بعض التوابل ( المقبلات ) التي قد تيسر سهولة هضمه ، فإن من ذكريات تجوالي بين ربوعكم الكريمة ما يضيء على جفاف الحديث نعومة ورقة .

١ - لم تزد أيام الرحلة على أيام الأسبوع ، وكان الدليل سديرياً ( من إقليم سدير ) تيمياً ، ولا عيب فيه سوى عيب ممدوحي النابغة الذبياني :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوقَهُمْ بَهْنُ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ

والدليل الكريم يهوي أن يكون أمراً لا مأموراً - وهذه من صفات الرجولة - ويرغب انتهاء الرحلة على أسرع وجه ، وكنت أودُّ الاختلاط بمن التقى بهم من سكان القرى ، وأن أطيل الجلوس بينهم لأستمع إلى أحاديثهم ، وأسجل بعض لهجاتهم ، وأدرك مقدار ما يلزمون به من ثقافة ، وما يتناقلونه من أشعار وأخبار ، وذلك مما فاتني في تلك الرحلة ، ولعل حرص التيمي الدليل على راحتي دفعه إلى الحيلولة دون الالتقاء بأولئك .

٢ - من أجل البقاع التي رأيتها فرعةً دوسٍ ، وهي أعلى قمة في سراة

زهران ، وهناك بلدة دوس الشهيرة ( ثُرُوق ) وعلى مقربة منها موقع معبودهم قبل الإسلام ( ذي الخُلَصَة ) الذي ورد فيه الحديث « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة » وفي تلك الفرعة تقع قرية ( رَمَس ) وعلى مقربة منها مكانٌ اعتاد أهل القرية الجلوس فيه ، وممارسة بعض مايزجون به أوقات الفراغ من ممارسة بعض ألعابهم ، ويتوسط المكان صخرة كبيرة رسم فوقها خطوط متقاطعة للعبة المعروفة في نجد باسم ( أم الخطوط ) .

وتُعرف عندهم باسم ( الخَطُّ ) وهذا من أسمائها في اللغة العربية ، كما تعرف أيضاً باسم ( القِرْقُ ) - بكسر القاف وإسكان الراء - و ( السُدَّر ) - بضم السين وفتح الدال المشددة - وقد رأيتُ أمير تلك الجهة الشيخ عبدربه بن فرحة من بني علي من دوس وبعض جماعته يلعبونها ، وأنا ممن يجيد لعبها ، فطلبت من الشيخ أن نتبارى بلعبها ، وكأنه لم يأخذ كلامي مأخذ الجد ، احتراماً أو احتشاماً ، ولقد كان أبوهريرة الصحابي الجليل الدوسي - وهو من أهل هذه البلاد - يُمِرُّ على لاعبيها فلا ينكر عليهم<sup>(١)</sup> .

٣ - من بين قرى أعلى وادي أبيدة ( بيدة ) قرية رغدان ، وسوقها يقام يوم الأحد ، وهو اليوم الذي مررنا فيه بهذه القرية ، فرأيت من فواكهها الموز ، فأعجبتُ بمنظره إذ الأصعب منه بحجم الباذنجانة المتوسطة الحجم ، وكان ذكيَّ الرائحة ، مما دفعني إلى حمل عدد من الأصابع ولكن موظف الجمرك في بيروت حرمني من إتخاف أبنائي بها .

٤ - في وادي بطحان من فروع وادي أبيدة يجود الرمانٌ بحيثُ يضاهي رُمانَ لِيَّةَ ، ويقول البطحاويون : إنه يفوقه ، ومع صغر بساتين هذا الوادي إلا أنها نضرة مما يدل على جودة التربة .

٥ - حين شاهد أخي ورفيقي في الرحلة الأستاذ محمد سعيد كمال قريتي الطَّرْفَيْنِ المَطلَتَيْنِ على وادي العلي لبني ظبيان من غامدٍ - أعجب بها أيما إعجاب - ، وطلب من سائق السيارة المكوث لحظة لاستجلاء منظرهما قائلاً : إنَّ القريتين شبيهتان بقرية ( كيفون ) الواقعة بسوق الغرب في لبنان .

٦ - اتجهنا من قرية حوالة وبعد مسيرة ميلين ، سرنا نحو قرية الحمران - من غامد - وقد قام أهل القرية بإصلاح الطريق رصفاً وغرساً بالأشجار على جانبيه ، حتى اتصل ببساتين قريرتهم الجميلة ، التي بدت نظيفةً مضاءةً بالكهرباء ، بيوتها حديثة البناء ، واقعةً على ضفاف واد صغير وعلى مقربة منها يشاهد المرء تهامة تحتها في انخفاضٍ عميقٍ جداً يحدث الرهبة في القلب .

٧ - وفي بلاد بني فُهَم بن غَـنَم بن دَوْس واد معروف هو وادي بَرَحْرَح ، ومنه عقبة تفضي إلى قرية البَعْرَة لآل الطُفَيْل ، قاسينا الأشدين ، وذُقنا الأمرين في اجتيازها في الذهاب والإياب ، ولم نَمُرْ أثناء تجوالنا في هذه البلاد عقبة أشد منها ، ولكن هون ما قاسيناه استجلاء ذكريات عزيزة من تاريخنا المجيد ، فقد مرَّ الصحابيُّ الجليل أبوهريرة الدوسي بهذه العقبة وقاسى منها أشد مما قاسينا ، وتمثل وهو يزحف فيها في ظلمة الليل :

يَاطُوهَا مِنْ لَيْلَةٍ وَعَنَايْهَا عَلَى أَنَّهَا مِنْ بُلْدَةِ الْكُفْرِ نَجَّتْ

وذلك في طريق هجرته إلى المدينة حين دعاه ابن عمه الطفيل بن عمرو إلى الإسلام .

وبعد فلقد كادت جوانب الموضوع وأطرافه تستأثر بالوقت ، وتثير الملل ، فلنقتصر على وقتين في لبّ الموضوع :

### الوقفه الأولى : صراحة أنساب سكان السروات :

لعل أبرز ظاهرة تتضح لمن يُعنى بدراسة أحوال سكان هذه السروات هو صراحة نسبهم ، ذلك أن القبيلة عندما تكون بلادها حصينة تحافظ على كيائها ، وليس الأمر كذلك بالنسبة للقبائل التي تسكن في الأمكنة التي تكون عرضة لهجرات القبائل ، فما أيسر ما يضعف هاؤلاء السكان ويختلطون بغيرهم ، ومن ثم ينحل كيانهم ويندمجون في قبائل أخرى ، وليس معنى هذا أن القبائل الأخرى التي لا تسكن في السروات تضيع أنسابها ، ولكنها تختلط بقبائل أخرى ذات أنساب صحيحة ، ومن هنا يحدث تغير أسماء القبائل ، كما يتضح هذا من دراسة أنساب

القبائل التي تعيش وسط الجزيرة أو في تهامه ، مع مقارنتها بأنسب القبائل التي تسكن السروات ، حيث يتضح بقاء أسماء القبائل الأخيرة ثابتة منذ العهود القديمة بخلاف أسماء القبائل الأخرى .

### السراة :

ولكي يتضح هذا الأمر يحسن استعراض سكان السراة لمعرفة أصولها بعد إيراد تعريف موجز للسراة .

السراة : لُغَةً هي أعلى كُلِّ شيء وظهره ووسطه ، وسراةُ القوم خيارهم ، قال الشاعر :

لَا يُصْلِحُ النَّاسُ فَوْضَى لَأَسْرَاةِ هُمْ وَلَا سْرَاةَ إِذَا جُهَّاهُمْ سَادُوا

واسم السراة يطلق على هذه السلسلة العظيمة من الجبال التي تمتد من اليمن جنوباً إلى الشام شمالاً والتي تعرف أيضاً باسم الحجاز<sup>(٢)</sup> ، وهي في جانبها الشمالي ذاتُ جبالٍ ليس لرؤوسها من الفروع ما يصلح للاستقرار والاستيطان ، ولهذا ينتشر سكانها في أوديتها وما بقرب تلك الأودية من السهول ، وما بينها ، وفيها من شوامخ الجبال وعظيم الهضاب ما خلد التاريخ ذكره ، وازدان الشعر القديم بالتغني بمآثر سكانه ، ومن أشهر تلك الجبال جسَمَى ، وشَيْبَانَ ( هضب الزبالة من بلي ) ، ورَضْوَى ، والأجْرَد والأشعر ( الْفِقْرَة ) وَوَرِقَانَ وَقُدْسُ وَآرَة وَيَسُومَانَ ( مثنى يسوم ) وَغَزَوَانَ - جبل الطائف - .

أما الجهة الجنوبية من هذه السراة الواقعة من الطائف شمالاً حتى بلاد اليمن فَإِنَّ أعالي الهضاب والجبال تكثُر فيها المنبسّطات وَالْفُرْعُ الواسعةُ من الأرض الصالحة للسكنى ، ولهذا أُطلق عليها اسم السروات ، وعرفت كل سراة منذ القدم بسكانها<sup>(٣)</sup> .

وسأحصر الكلام في هذا الجانب الذي شاهدت كثيراً من معالمة ممثلاً في سراتي زهران وغامد وما حولهما .

سكان السروات : عند استعراض سكان السراة في العصر الحاضر بإيجاز

يتضح أن القسم الموالي للطائف وما حوله تسكنه بطون من القبائل العدنانية ، ثم تنتشر الفروع القحطانية في السروات كلها كلما اتجهنا جنوباً شرقياً ، وهاهي أسماء القبائل مرتبة على حروف المعجم<sup>(٤)</sup> :

### ١ - ألمع :

عدّ ابن جرير في تاريخه<sup>(٥)</sup> والهمداني في كتاب « صفة جزيرة العرب »<sup>(٦)</sup> وغيرهما قبيلة ألمع من سكان السراة مع بارق وغامد ، ولعل القصد أنهم كانوا ينزلون بقرب هاتين القبيلتين ، وهذا صحيح إذا لاحظنا أن قبيلة غامد تمتد بلادها إلى أغوار السراة التهامية ، فمنازل ألمع تنتشر على روافد وادي حلي المنحدرة من السراة نحو تهامة .

ومتقدمو النساين يعدّون قبيلة ألمع من الأزد ، ولكنهم يختلفون إلى أي فرع من فروع الأزد تُنسب ، فابن دُرَيْدٍ يعدّهم من بطون بارق كما في « الاشتقاق »<sup>(٧)</sup> ، وابن الكلبي يعدّهم من أبناء عمرو بن الأزد .

### ٢ - بارق :

من القبائل التي ذكر المتقدمون أنها أزدية سكنت السراة<sup>(٨)</sup> ، وبارق تنزل في وادي يعرف باسمها ينحدر من جبلي أثرب وريدان ، مغرباً حتى يصب في وادي حلي ، ولهم هناك ما يقرب من خمسة عشر قرية في الشمال الغربي من بلاد بني شهر .

### ٣ - بجيلة :

هذه القبيلة من أقدم القبائل في سكنى السراة على ما ذكر المتقدمون ، وكان قسم من السراة يعرف بسراة بجيلة ، وهي التي تعرف الآن ببلاد بني مالك ، وبنو مالك هاؤلاء بيت بجيلة قديماً ، ومنهم جرير بن عبدالله البجلي ، وقد طغى اسم بني مالك على القبيلة حتى صار اسم بجيلة يطلق على قرية من قراها .

### ٤ - البقوم :

عدهم الهمداني وغيره من الأزد من سكان السراة ، وكونهم من الأزد من

الأمر المعروف ، فهم بنو باقم بن حوالة بن الهنو بن الأزد<sup>(٩)</sup> .  
ويفهم من قصة أوردها صاحب « الاغاني »<sup>(١٠)</sup> ان بلادهم متصلة ببلاد  
غامد ، وعلى هذا فبلادهم القديمة لاتزال هي هي ، فهم ينتشرون على ضفتي  
وادي تربة ، وتربة هي قاعدة بلادهم .

#### ٥ - ثقيف :

هذه القبيلة عدنانية كما هو معروف ، وكثير من فروعها منتشر في السراة في  
أعالي أودية الطائف غرباً وجنوباً وشرقاً بامتداد تلك الأودية .

#### ٦ - ثمالة :

هم من قبائل الأزد ، كما في كتب النسب هم وبنو هُبِّ وبنو القَرْنِ - باسكان  
الراء - أبناء أحجن ، وأحجن أخو زهران ، وبلاد ثمالة متصلة ببلاد ثقيف في  
جنوبها وشرقها ، منحدره في سفوح الأودية الشمالية الشرقية من السراة ، ولكن  
لاتصال بلادها ببلاد ثقيف أصبحت معدودة منها .

#### ٧ - جَنْبِ :

لما ذكر الهمداني بلاد خولان قال : أغوارها داخلة في تهامة وفي أعلى السراة ،  
إلى سراة جَنْبِ ، وذكر أن قرية جنب في هذه السراة الكبيبة<sup>(١١)</sup> ، وفصل منازل  
هذه القبيلة ، وجَنْبُ من مذحج وتعرف سراتهم باسم سراة عبيدة ، إذ عبيدة  
فرع من فروع جَنْبِ كما يطلق على فروع مذحج التي في هذه السراة اسم  
قحطان .

#### ٨ - بَلْحَارِثِ ( بنو الحارث ) :

هذه القبيلة من سكان السراة في عهدنا ، ولم أر لهم ذكراً فيما اطلعت عليه من  
كتب المتقدمين باعتبارهم من سكان السراة ، ولعل هذا ناشئ عن كون هذه  
القبيلة لم تنفصل عن القبيلة الأم التي هي أزد السراة إلا في عهود متأخرة ، وفي  
القديم هناك فرعان يعرفان ببني الحارث أحدهما من زهران نفسها ، والثاني من  
الأزد أصل زهران ، ويظهر أنه حدث بين بني الحارث وبين قبيلة دوس من



الحروب ماكان سبباً في انفراد بني الحارث في المنزل ، ولا يمنع هذا من اندماج فروع عدنانية كثيرة في بني الحارث ، ومن أشهرها بنو ناصرة وغيرهم ، ومنزل بلحارث من السراة كان يعرف قديماً بسراة عدوان ، بين سراة الطائف وسراة الأزد جنوباً وشمالاً ، وسراة بجيلة غرباً ، وقد يكون بنو ناصرة من بقايا قبيلة عدوان ، إذ من فروع القبيلة من يسمى ناصرة ، كما أنه اسم فرع من بني سعد ابن بكر بن هوازن . ومن هاؤلاء حليلة السعدية مرضعة الرسول ﷺ ، وقد تكون الفروع الثلاثة اختلطت بسبب اطلاق اسم واحد عليها ، ولهذا أمثلة بين القبائل العربية .

#### ٩- الحَجْرُ :

الحجر من فروع أزد السراة المشهورة ، وسراتهم على ما حدد الهمداني تقع بين سراة جنب بشرق ، وسراة بني القرن من الشمال ، إذ قال بعد ذكر سراة جنب ، ثم يتلوها سراة عنز ، وسراة الحجر ، نجدها خثعم وغورها بارق . أي أن سراة عنز تفصل بينها وبين سراة جنب ولا تزال قبيلة الحجر في مساكنها القديمة .

#### ١٠- بنو حوالة :

وهاؤلاء من الأزد من سكان السراة ، وبلادهم على ما ذكر الهمداني<sup>(١٢)</sup> بجوار ثماله ، وحوالة هو الهنو بن الأزد وإخوته وغيرهم ، ومن أبناء حوالة : باقم أبو البقوم .

#### ١١- خَثَعَمُ :

قوم عبدالله بن الدُمَيْنَةَ الأَكْلَبِيِّ الذي يحسن أن نُزِيلَ سَأَمَ المستمع الكريم بإيراد أبياتٍ من شعره في ذكر قومه :

وَحَثَعَمُ قَوْمِي مَا مِنْ النَّاسِ مَعَشَرٌ	أَعْمُ نَدَى مِنْهُمْ ، وَأَنْجَى لِحَائِفِ
وَأَفْدَى لِمَغْلُولٍ ، وَأَوْقَى بِذِمَّةِ	وَأَوْقَى لِضَيْمٍ عَنِ نَقِيلٍ مُحَالَفِ
وَأَجْبَرُ لِلْمَوْلَى إِذَا رَقَّ عَظْمُهُ	وَأَسْرَعُ عَوْتًا يَوْمَ هَيْجَا لِحَائِفِ
إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا عَلَى ثَرْوَةِ الْعَدَى	جَهَارًا وَلَمْ يَغْزُوا قُرُودَ الْخَوَالَفِ
وَأِنْ يُسْأَلُوا الْمَعْرُوفَ لَمْ يَتَّخَلُّوا بِهِ	وَلَمْ يَدْفَعُوا طُلَابَهُ بِالْحَسَائِفِ

وختعم من أقدم من سكن السراة هم وبجيلة ، والخلاف في نسب القبيلتين معروف ، إلا أنَّ الراجح أنها من قحطان .

وكانت منازل ختعمَ ما بين بيشة وترية وماوالا تلك البلاد بعد أن أنزلوا من جبال السراة وحلتها أزد شنوءة غامد وبارق ودوس وتلك القبائل من الأزد ، ولا تزال تلك بلادهم إلا أنهم امتدوا جنوباً حتى بلاد عسير ، ومن أثرى فروعهم شهران العريضة .

#### ١٢ - دَوْس :

هم فرع من قبيلة زهران ، ونظراً لأنهم يحلون من بلاد زهران اعلاها فقد نسب الهمداني السراة إليهم فقال<sup>(١٣)</sup> : ثم يتلوها سراة غامدٍ ثم سراة دوسٍ ثم سراة فهمٍ وعدوان .

وسراة دوسٍ تحد جنوباً بسراة غامد ، وشمالاً بسراة بني مالك ( بجيلة ) وشرقاً ببلاد إختوتها من زهران ، وغرباً تمتد في أودية السراة التهامية إلى قرب البحر .

#### ١٣ - زَهْران :

القبيلة الأزدية المشهورة التي تحل سراتها منذ القدم ، فيما بين سراة إختوتها من غامدٍ جنوباً وشرقاً ، وسراة بني مالكٍ من الشمال الغربي ، وغرباً تشمل أغوار سراتهم وفروع أوديتها التهامية .

#### ١٤ - سلامان :

عدّ الهمداني وغيره بني سلامان من سكان السراة<sup>(١٤)</sup> ، وساهم سلامان بن مفرج من زهران<sup>(١٥)</sup> . ولم أسمع أثناء رحلتي لهاؤلاء ذكراً بين فروع قبيلة زهران ، ولكن في قبيلة الحجر فرعٌ كبير يدعى بهذا الاسم . فبنو شهر أكبر فروع الحجر فرعان بنو سلامان وبنو أثلة .

#### ١٥ - سَنَحان :

يفهم من كلام الهمداني أنَّ منازل سنحان من السراة تجاور بلاد جنب من

الجهة الشرقية الجنوبية فيما بينها وبين بلاد يامٍ أي في طرف السراة الجنوبي الشرقي ، ولا يزالون في بلادهم القديمة الواقعة على ضفاف وادي راحة المنحدر من السراة ، ويجاورهم شمالاً وشرقاً شريف وجنوباً وادعة وغرباً جنب .  
وسنحان فرع من قبيلة جنبٍ من مذحج من كهلان من قحطان ، وينبغي التفريق بين هاؤلاء وبين سنحان الخولانية .

#### ١٦ - شَبَابَة :

عدُّ الهمدانيُّ هذه القبيلة من سكان السراة فقال : سراةُ بني شَبَابَة وَعَدَوَانُ وغورهم اللَّيْثُ ، ومركوب ، ونجدهم فيه عدوان مما يصلى مطار . ويفهم من نصِّ آخر أورده الهمداني في « صفة الجزيرة »<sup>(١٦)</sup> أن شَبَابَة وبني علي وفهماً وعدوان مختلطون في سراة واحدة . وتُعرف سراة بني شَبَابَة باسم سراة بني سَعْدٍ على ما ذكر الفاسي في كتابه « العقد الثمين »<sup>(١٧)</sup> عن عبد بن أحمد الهروي ( ٤٣٤/٣٥٥ ) أنه تزوج بالسراة سراة بني شَبَابَة ، وهي سراة بني سعد بجهة بجيلة . وهذه السراة هي قسم من سراة بلحارث الآن ، تحله قبيلة ناصرة التي تقدمت الإشارة أنها ربما تكون ناصرة عدوان ، كما ان شَبَابَة هو ابن فهم بن عمرو ابن قيس عيلان وعدوان هو ابن عمرو .

ويطلق اسم شَبَابَة في عصرنا على مجموعة من القبائل يجمعها التحالف لا النسب<sup>(١٨)</sup> ، وهم بنو سعد الذين كان يطلق عليهم الاسم ، ثم عتيبة كلها ، وبنو الحارث وزهران وحرب وقحطان ، ويقابل شَبَابَة خندف يجمع قبائل ثقيفٍ والبقوم وسُبَيْع والجدالة والشيايين ومطير وهذيل وبنو مالك ، وغامد .

#### ١٧ - شِمْرَان :

قبيلة شمران في الأصل من جنب وتقدم ذكر سراة جنبٍ إلا أن شمران في القرن الماضي وربما قبله بزمان قصير أصبحت معدودة في قبيلة خثعم على ما ذكر ابنُ بُشْر في « عنوان المجد » في حوادث سنة ١٢٣٠ ، ولعل ذلك للجوار ، إذ المعروف أن شمران قبيلة قائمة بذاتها ، وتقع بلادها جنوب بلاد غامدٍ مجاورة

لها ، ويجاورها جنوباً خثعم وبلقرن ، وشرقاً شهران من خثعم ، وغرباً بلاد غامد ، وتتصل بلادها بتهامة . وقد يكون اسم ( شمران ) في تاريخ ابن بشر تصحيف ( شهران ) إذ هاؤلاء هم الذين من خثعم .

١٨ - بنو شهر :

هاؤلاء فرع من قبيلة الحجر وتقدم ذكر منازلهم .

١٩ - شهران :

فرع من فروع خثعم ، وتقدم الكلام على خثعم .

٢٠ - عبيدة :

قبيلة من جنب من مذحج ( المعروفون الآن باسم قحطان ) يضاف إليها القسم الجنوبي الشرقي من السراة الذي كان معروفاً باسم سراة جنب ، فسمي الآن سراة عبيدة ، وتقع بلاد عبيدة جنوب بلاد شهران ، ويجاورها في الشمال بنو بشر وبنو شريف وجنب وسنحان .

٢١ - عدوان :

عدوان كما هو معروف قبيلة عدنانية ، وسراتها تلي سراة الطائف جنوباً ، وكانوا مختلطين مع شباة في سكنى أعلاها ، ولكن حل هذه السراة الآن فروع من بني سعد من هوازن ، وانحدرت عنها قبيلة عدوان أسافلها شرقاً ، حيث تنتشر أودية الطائف قبل مغيضها في سهل ركة .

٢٢ - بنو عمرو :

ذكر المتقدمون أن بني عمرو من سكان السراة ، وهاؤلاء من الأزدي ، وبلادهم كانت تقع في غور سراة دوس وغامد ، مما يدل على أنهم انتقلوا إلى تهامة في زمن متقدم .

وهناك بنو عمرو من الحجر وهم غير هاؤلاء ، وبلادهم داخلية في بلاد قومهم الحجر .

## ٢٣ - عَنز :

سراة عنز تقع بين سراة جنب جنوباً وسراة الحجر شمالاً ، نجدها خثعم وغورها بارق ، وهي المعروفة الآن بسراة عسير ، نسبة إلى أحد أجداد القبيلة وهو من عنز بن وائل من ربيعة ، وكما قال الهمداني : عسير يمانية تنزرت<sup>(١٩)</sup> .

## ٢٤ - غامد :

لاتزال في سراتها القديمة مع اتساعها شرقاً وغرباً وجنوباً بحيث شملت سراة شكر التي كانت تفصل بين بلادها وبلاد بلقرن ، وشكر هاؤلاء قبيلة أزدية عدها بعض النسابين من بارق ، ولا وجود لها الآن ، وقد تكون اندمجت في غامد .

## ٢٥ - فَهْم :

ذكر أبو حنيفة الدينوري في كتاب « النبات » أن فَهْمًا من سكان السراة ، واسم فهم يطلق على عدد من فروع القبائل ، ولعل المقصود بهاؤلاء فهم الذين هم إخوة عدوان ، ولا يزال لهم بقية في أسافل السراة بين بلاد ثقيف شمالاً وبلاد الجحادة غرباً ، ومن أشهر فروعهم بَجَالَة التي لاتزال معروفة ، وذكر الهجري أن بجالة ثلثا فَهْمٍ .

## ٢٦ - بَلْقَرْن ( بنو الْقَرْن ) :

- باسكان الرءاء - وهاؤلاء من الأزد ، ولا يزالون في بلادهم القديمة ، وسراتهم تقع بين سراة الحجر وسراة شكر ، وقاعدة بلادهم العلاية .

## ٢٧ - هُدَيْلُ :

ولبطون من هذيل جانب من سراة الطائف فيما بينها وبين مكة ، وهي تسكن في هذه السراة منذ العهد القديم ، وهذيل من أصرح القبائل العدنانية نسباً وأقربها إلى قريش ، ومن بلادها الهدأة ( الهدة ) التي أصبحت من أشهر مدن السراة بمنطقة الطائف .

## ٢٨ - هـوازن :

حين عدَّ ابنُ خلدون<sup>(٢٠)</sup> جشم وغزية وعُصيمة قال : كانت مساكنهم بالسراة

متصلة بسروات هُذيل ، وانتقل معظمهم إلى المغرب . كذا قال ، والواقع أنَّ أطراف السروات الواقعة جنوب الطائف وشرقه لا يزال يسكنها فروع من قبيلة هوازن كبني سعد وغيرهم ، كما أن بني جشم منتشرون في الأودية الواقعة في أطراف السراة شمال الطائف ، مثل وادي السيل وأعالي وادي العقيق ، وما يقرب هذه الأماكن ، أما بنو عُصَيْمَة ( العُصَمَة ) فمنازلم كانت خارج السراة شرق الطائف .

## ٢٩ - وادِعة :

وعلى سفوح سراة الحجاز الشرقية في أعالي روافد وادي حيونن ( حيوننة ) تحمل قبيلة وادعة في بلاد تدعى ظهران الجنوب ، ووادعة هذه قبيلة همدانية فصل الهمداني نسبها في كتاب « الأكليل » (٢١) .

## الوقفه الثانية - صفاء لغة أهل السراة :

عُرِف سكانُ السروات منذ القدم بكونهم من أفصح العرب ، فقال أبو عمرو ابن العلاء الامام اللغوي المعروف ( ٧٠ / ١٥٤هـ ) : أفصح الناس أهل السروات وهي ثلاث الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن ، أولها لهذيل ، وهي تلي السهل من تهامة ، ثم بجيلة وهي السراة الوسطى ، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ، ثم سراة الأزد - أزد شنوءة - وهم بنو كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد (٢٢) . انتهى . ويقصد ببني كعب زهران وغامد وبلقرن وثمالة ، وفروع هذه القبائل ، وترجع فصاحة سكان السروات إلى كون بلادهم بعيدة عن الاختلاط بمن ليس عربياً ، فطرق القوافل التجارية وطرق الحجاج الذين يأتون من خارج الجزيرة كلها لا تمر بهذه السروات ، ومن هنا قل اختلاط أهلها بالأعاجم ، فصفت لغتهم ، وخلصت من العجمة ، ولكن حين انتشرت وسائل الحضارة الحديثة كالسيارات والطائرات وغيرها كثر الاختلاط بين سكان الجزيرة شرقها وغربها ، وقويت صلتهم بالعالم خارج جزيرتهم ، وتمكن الأجانب من الوصول إلى هذه البلاد ، وتعلم أهلها في مدارس خارجها ، واختلطوا بغيرهم ، فتغيرت لغتهم ، باستثناء بعض سكان الأمكنة النائية في تلك البلاد .

عتب ... وأمل :

ولتكن الخاتمة أيها الإخوة كلمة حب بل همسة عتبٍ موجهة إلى جامعاتنا السبع ، لانصراف المهتمين بالدراسات الاجتماعية فيها عن الاتجاه إلى هذا العالم المجهول ، واعني به عالم السراة ، واسمحووا لي بأن أدعوه ( مجهولا ) فلم أسمع أن جامعة من تلك الجامعات هيأت الوسائل لإحدى الجهات المعنية بالدراسات الاجتماعية أو الاقتصادية أو الجغرافية فيها ، للتغلغل داخل هذا العالم المجهول ، لتمد الباحثين بوسائل جديدة من وسائل العلم والمعرفة عن هذا الجزء الحبيب من وطننا .

ولم أقرأ لأحد الدارسين في إحدى الجامعات من أبنائنا أية دراسة علمية لنيل شهادة عالية عن مظهر من مظاهر الحياة في هذه السروات ، مع كثرة الدراسات وتنوعها ، وبعدها عما نحن بحاجة إلى معرفته مما يتصل بحياتنا ، ويرتبط بأرضنا التي خلقنا منها ، ولانزال نعم ونعيش فوق ترابها ، ويجب أن نُقَوِّي كُلَّ الوسائل لارتباطنا بها .

ولكن الآمال - لانزال - وستبقى دائماً معلقةً على هذه الصفوة الممتازة المثقفة من رجال جامعاتنا وشبابها إذ هم - بعد الله سبحانه - مناط الرجاء ، وبجهودهم وأعمالهم النافعة تُحَقِّقُ الآمال .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

حمد الجاسر

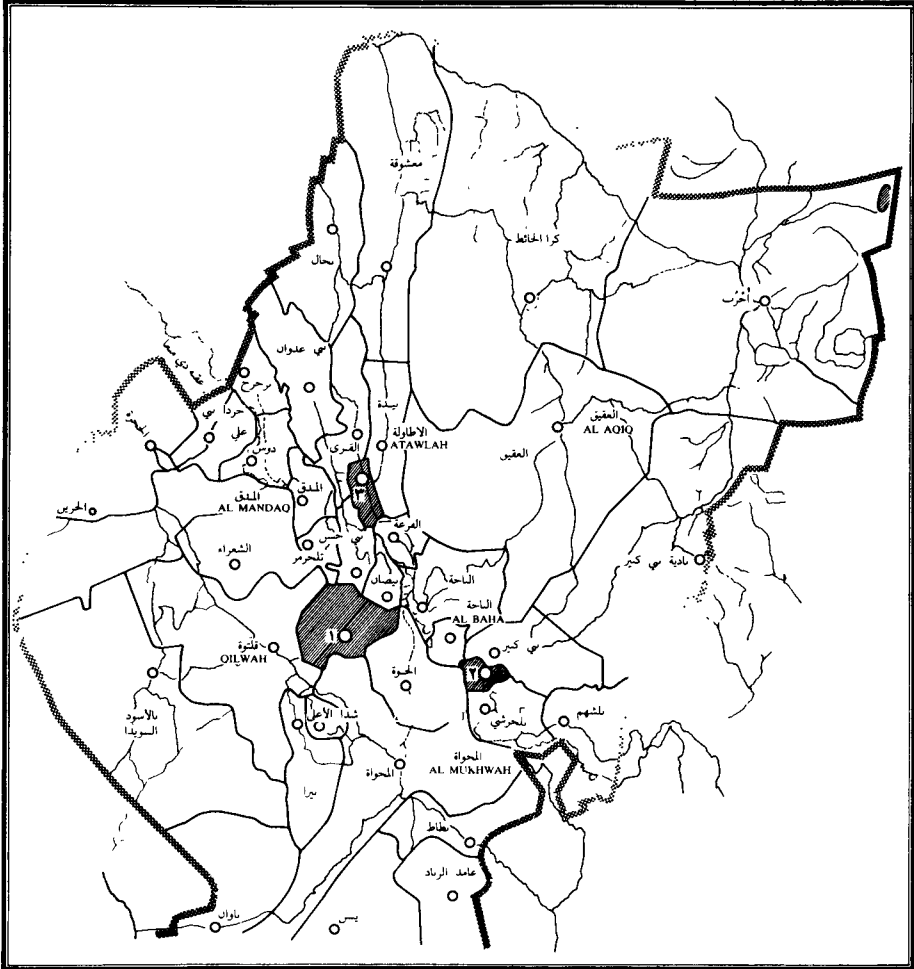
الحواشي :

- (١) انظر عن هذه اللعبة كتاب « في سراة غامد وزهران » : ٥٧ و ٥٨ .
- (٢) « المناسك » : ٥٣٤ و « صفة جزيرة العرب » : ٨٥ .
- (٣) « لسان العرب » رسم ( سرا ) .
- (٤) لتفصيل انساب قبائل السراة يحسن الرجوع إلى كتاب « في سراة غامد وزهران » .
- (٥) القسم الأول ص ٢٢٨ .
- (٦) : ١٢١ .
- (٧) : ٤٨١ .
- (٨) « صفة الجزيرة » : ٢١١ و « معجم البلدان » رسم ( بارق ) .

## عقبة ذي منعا

أُشْرَتْ في المحاضرة إلى مرور الصحابي الجليل عبدالرحمن بن صخر - أبي هريرة الدوسي بعقبة وادي بَرَّحَرَحَ ، المفضية إلى قرية ( البعرة ) لآل الطفيل من دُوس - ولم أَحَدُّدْ موقعها - ولكن الابن الكريم الأستاذ علي بن صالح السلوك الزهراني ذكر أن عقبة ذي مَنَعَا تقع غرب وادي بَرَّحَرَحَ ، وتؤدي إلى وادي الجَرْدَاءِ في تهامة ، فطريق الحاج اليميني إلى مكة المكرمة .

ورسم موقعها في المصور الجغرافي - كما يتضح للقارئ من الرسم المنشور مع هذا .





## سلامان .. والشاعر الشنفرى

وذكرني الابن الكريم النقيب الطيار عبدالله بن مرضي الزهراني في جريدة « الجزيرة » (ع ٥٧٩٦ - الخميس ١٤٠٨/١٢/٢٩ هـ) ذكره الله بخير مايجب ، بمناسبة ما تحدثت به ليلة الأربعاء ( ١٤٠٨/١١/٢١ هـ) في أحد محافل مدينة الباحة قاعدة بلاد زهران وغامد ، عن انطباعات مشاهداتي في السروات ، أثناء زيارتي لتلك البلاد قبل تسعة عشر عاماً - في شهر صفر ١٣٩٠ - ذكرني ذكر المفضل الفاضل ، وأضفى علي من الثناء ماينم عن كرم خُلُقِي ، وسماحة نفس ، ورغبة في الاستفادة والاستزادة من المعرفة .

إلا أنه استغرب قولي : ( إنني لم اسمع عن سلامان ذكراً بين فروع قبيلة زهران ) . وأوضح سبب الاستغراب بقوله : ( مع العلم أنه يوجد قرية في زهران بهذا الاسم ، وقد ورد ذكرها كثيراً خاصة عندما تعرض المؤرخون لتاريخ الشاعر الشنفرى قبل فترة حيث ذكر بعضهم انه يرجع إلى سلامان ) .

حقاً هناك فرعٌ من فروع قبيلة زهران يدعى سلامان ، وهناك قرية من قرى هذه القبيلة تدعى سلامان أيضاً ، فهل هما واحد؟! لقد عرفت الكثير عنهما فقد سبق لي أن اشرفت على نشر كتاب الابن الحبيب الأستاذ علي بن صالح السلوك

→ (٩) «الأغانى» ٤٧/١٢ : طبعة الساسي .

(١٠) ج ٢١ ص ٨٨ .

(١١) انظر عن الكبيبة مجلة «العرب» س ٢٢ ص ٥٦٨ .

(١٢) «صفة جزيرة العرب» : ٢١١ .

(١٣) المصدر السابق : ١١٩ .

(١٤) المصدر السابق : ١٢١ و ٢١١ .

(١٥) «في سراة غامد وزهران» : ٢٤٨ .

(١٦) : ١٢١ .

(١٧) ج ٥ ص ٥٤١ .

(١٨) «في سراة غامد وزهران» : ٤٦٤ .

(١٩) «صفة جزيرة العرب» : ١١٨ .

(٢٠) «العرب» ج ٢ ص ٦٤٢ .

(٢١) ج ١٠ ص ٦٥ و ٨٩ .

(٢٢) «معجم البلدان» رسم (السراة) .

الزهراني عن (بلاد غامد وزهران) في سلسلة المنشورات التي اصدرتها بعنوان «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» وكان الحلقة الثانية من تلك السلسلة التي صدر منها سبعة عشر جزءاً ، وصدر سنة ١٣٩١هـ وأشرفت على طبعه وتصحيح تجاربه ، وذاكرت مؤلفه الفاضل في كثير مما اعترضني من مباحثه .

وفي هذا الكتاب - ومؤلفه من أعلم من عرفت ببلاد قومه زهران وفروعهم - لم يرد مايشير إلى وجود هذا الفرع الذي يدعى (سلامان) ولكن ورد - ص ١٢٩ - ما هذا نصه : (سلامان بلفظ مثنى سلام : قرية من قرى عويرة ، من قرى بالطفيل ، وتقع شمال بلدة عويرة بمسافة كيل واحد) .

ولهذا فأنا لم أنف سماعي باسم هذه القرية ، ولا علمي بها .  
وقبل صدور كتاب الأستاذ علي بن صالح الزهراني صدر كتابي «في سراة غامد وزهران» وقد ورد فيه ذكر سلامان باعتباره من فروع قبيلة زهران في أربعة مواضع من كتاب - في الصفحات ١٩٤ / ٢٤٨ / ٢٧٤ / ٤٦١ - وبعثت نسخاً من تجارب طبعه (البروفات) إلى من توسمت فيه العلم والمعرفة من أبناء القبيلتين الكريميتين ، ومنهم الإخوة الأستاذ علي بن صالح الزهراني والأستاذ محمد ابن مسفر الزهراني - مدير مكتب التعليم في الأطاولة في بلاد زهران ، وله مؤلف عن «بلاد زهران في ماضيها وحاضرها» والأستاذ علي بن معجل بن سعد الغامدي مدير التعليم في بلاد غامد وزهران ، وقد رجوت كل واحد ممن بعثت إليه بنسخة من مسودة الكتاب التفضل بإمدادي بما يراه فيه من خطأ أو نقص أو ملاحظة ، وما من الإخوة الثلاثة المذكورين إلا وقد كتب إليّ كتاباً بما رأى ، وأوردته بنصه في آخر الكتاب ، وكان مما قلت فيه عن فرع سلامان الزهراني - ص ٤٦١ - : انني أثناء رحلتي لم أسمع لهم ذكراً بين فروع زهران - وما واحد من الإخوة ولا غيرهم أبدى أية ملاحظة على هذه الجملة تثبت وجود هذا الفرع ، ثم مضى الوقت الطويل الذي تلقيت خلاله بعض ملاحظات من بعض القراء حول الكتاب ، سوى تلك الجملة ، ومن أوثلئك القراء علماء أجلاء كالشيخ سعيد بن عياش رئيس محكمة خميس مشيط ، فقد كتب إليّ باستدراكات قيمة نشرتها في مجلة «العرب» س ٨ ص ٦٢٦ - .

وبعد ذلك وردت تلك الجملة في الحديث الذي أشار إليه الكاتب الكريم ، وكان قد طبع ووزع على مجموع من حضروا للاستماع عليه ، ليتوجهوا بما يرون حوله من استيضاحات أو استدراقات ، وفيهم عُلْيَةُ القوم ومثقفوهم من أبناء تلك القبيلة التي ينسب الفرع إليها ، مع إفساح المجال للإجابة على الأسئلة ، ورجاء التفضل بإبداء أية ملاحظة يمكن أن تعالج إصلاح خطأ وقع مني في الحديث أو في الكتاب الذي أفكر في إعادة طبعه .

كما أسعدني الحظ بالالتقاء بعدد من الإخوة الأجلة حيث أكرمني الابن الحبيب الأستاذ علي بن صالح الزهراني بالدعوة لتناول العشاء في بيته ليلة الأربعاء ، فبحثت معه ومع بعض المثقفين في أمور تتعلق بتاريخ هذا الجزء الطيب من بلادنا ، ومنهم من وعد بالكتابة إليّ عن العقبة التي ورد ذكرها في حديث إسلام الصحابي الجليل أبي هريرة الدوسي ، وعن موقع المعدن في وادي العقيق ، ولا يزال أتطلع إلى ما يفضل به أولئك الإخوة من معلومات توضح جوانب من ماضي هذه البلاد ، ولهذا فقد أعاد لي الأخ النقيب عبدالله بن مرضي الزهراني بما كتب به إليّ ذكريات حبيبة إلى نفسي أسعى دائماً لتنميتها وتقويتها ودوام اتصالها .

وكنت أود لو أن الأخ الكريم اطلع على ما كتبت عن (سلامان) باعتباره فرعاً من فروع زهران ، في كتابي ليدرك أن ما أشار إليه عن هذا الفرع ، بل أكثر منه لم أكن على جانب من الجهل به ، لقد ذكرت في هذا الكتاب :

١ - ص ١٩٤ - : بنو سلامان من زهران ، وهو سلامان بن مُفْرَج بن مالك ابن زهران - ذكرت هذا في معرض سرد بطون زهران على حروف الهجاء .

٢ - ص ٢٤٧ - : وولد مالك بن زهران مُفْرَج ، فولد مُفْرَج سلامان - بطن - والحرث وهو كُدّادة ، منهم حاجز بن عوف بن الحرث بن الأخثم بن عبدالله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج الشاعر .

٣ - ص ٢٤٨ - : الحاشية - نقلت عن « جهرة أنساب العرب » لابن حزم : بنو مالك بن زهران منهم سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران ، بطن

كان منهم الشنفرى الفاتك ، وكان يغير عليهم لأن رجلاً منهم قتل أباه فلم يطلبوا بثاره ، فلحق ببني فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر ، وكانوا أحواله ، وفي ذلك يقول :

جَزَيْنَا سَلَامَانَ بْنَ مُفْرِجٍ قَرَضَهَا بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ وَأَزَلَّتِ  
وَهْنِي بِي قَوْمٍ وَمَا إِنَّ هَنَاتُهُمْ وَأَصْبَحْتُ فِي قَوْمٍ وَلَيْسُوا بِمَنْبِي

من هنا يتضح أن ما أشار إليه الأخ عبدالله حول الشنفرى الشاعر لم يغب عن ذهني ، بل إنني حاولت أن أقدم لقراء ذلك الكتاب طرفاً عن حياة ذلك الشاعر في الصفحات ٢٥ إلى ٢٨ .

٤ - ص ٢٧٤ - : في سياق الحديث عن تحالف دوس وقريش وثقيف نقلت عن كتاب « المنق » : والذين حالفوا في قریش من دوس هم بنو سلامان بن مفرج ، وبنو منهب ، وبنو مالك ، وعامة نبيش ، ولم يحالف سائر دوس . انتهى .

وهنا إشكال في عدّ بني سلامان من دوس ، وتقدم ذكر نسبهم ، وأنهم من بني مالك بن زهران ، بينما دوس من بني عُذْتَان بن عبدالله بن زهران ، وصاحب كتاب « المنق » محمد بن حبيب من قدماء العلماء ، ومن تلاميذ إمام علم النسب هشام بن محمد الكلبي ، إلا أن الثبوت من صحة ماجاء في كتاب « المنق » يحتاج إلى مصادر أخرى .

٥ - ص ٤٦١ - : سلامان هاؤلاء على ما ذكر الهمداني وغيره من سكان السراة ، وساهم سلامان بن مُفْرِج ، وهاؤلاء من زهران كما تقدم ، غير أنني أثناء رحلتي لم أسمع لهم ذكراً بين فروع قبيلة زهران ، وفي قبيلة الحجر فرع كبير يدعى بهذا الاسم ، فبنو شهر - أكبر فروع الحجر - ينقسمون إلى قسمين ، هما بنو سلامان وبنو أثلة ، وشيخ سلامان العسيلي ، وإذا صح ما نقله الأستاذ عمر رفيع في كتاب « في ربوع عسير » أن الشنفرى كان يتصيد رجال بني سلامان في وادي حظوة ، وبين أشجاره المتشابكة - وأرى له وجها من الصحة - فإن بني سلامان انفردوا عن زهران في العهد القديم ، وانضموا إلى قبائل الحجر ، للصلة

في النسب ، وقرب الجوار ، وحظوة واد خصيب في بلاد بني سلامان من بني شهر من الحجر ، وصاحب « الأغاني » أورد أن الشنفرى من ربيعة الحجر ، أو الأواس ، منهم ، فهو حجري .

ويبقى الحديث عن صلة قرية ( سلامان ) التي ذكرها الأستاذ علي السلوك الزهراني في كتابه ، وعدها من قرى بالطفيل — صلتهما ببني سلامان الذين هم من فروع زهران .

ما من شك أن كثيراً من القرى سميت باسم ساكنيها ولا تزال تسمى ، وخاصة في جنوب الجزيرة ، وقد يزول الساكن ويبقى اسمه يطلق على المكان الذي كان يسكنه ، ومن ذلك اسم ( بجيلة ) الذي كانت تعرف به قبيلة من أشهر قبائل السراة ، زال هذا الاسم عن القبيلة ، وحل محله اسم ( بني مالك ) لشهرة هذا الفرع من فروع القبيلة ، وانحسر اسم ( بجيلة ) في قرية صغيرة من قراها ، ومثل هذا ( سدوس ) في نجد كان يطلق على قرية تدعى قرية بني سدوس — أحد أحياء بكر بن وائل ، فزال الحي ، وعرف المكان باسم ( سدوس ) . وهناك منازل كثيرة من أودية وقرى في جنوب البلاد لا تعرف إلا بأسماء ساكنيها .

ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو : هل سكان قرية سلامان المذكورة هم من بني سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران ؟ إن المعروف الآن أن تلك القرية من قرى بالطفيل — أي بني الطفيل ، وهاؤلاء منسوبون إلى الصحابي الجليل الطفيل بن عمرو بن عبدالله بن مالك بن عمرو بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران ، وبنو سلامان الذين تقدم ذكرهم ليسوا من دوس بن عبدالله بن زهران ، بل من بني مالك بن زهران كما تقدم — إلا على رأي صاحب كتاب « المنق في اخبار قريش » وعلى هذا الرأي فلماذا جهل انتسابهم وعدهم من فروع دوس الباقية مادام اسمهم لا يزال يطلق على قريتهم مع بقاء أكثر فروع القبيلة القديمة معروفة ، إذ لا تزال محافظة على كيانها ، ولم تحالطها فروع أخرى من غيرها ككثير من القبائل التي لم تستقر في بلاد حصينة ؟!

أما عن صلة الشاعر الشنفرى بقرية سلامان ، وبفرع سلامان الزهراني فهذا ←

## مِن شِعْرَاءِ ضَمَدَ

في كتاب «مطلع البدور»

[بلدة ضَمَدَ بمنطقة جازان ، من أقدم قرى المنطقة ، فقد ورد ذكرها في الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ ونصه على ماورد في «معجم البلدان» : أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن البداوة فقال : « اتق الله ولا يضرك ان تكون بجانب الضمَدَ من جازان » ، وكانت من مراكز العلم والأدب في تلك المنطقة ، وفيها لخصه الأستاذ الحبشي من كتاب «مطلع البدور» ما يوضح جوانب من الحياة العلمية في فترة من الزمن ، وقد يتصدى أحد أبناء هذه البلدة الكريمة للتوسع في الموضوع فيمد الباحثين بما يلقي أضواء على الحياة الثقافية في المنطقة كلها] ..

في المطالعة السريعة لمخطوطة «مطلع البدور ومجمع البحور<sup>(١)</sup>» لمؤلفه العلامة المؤرخ أحمد بن صالح بن أبي الرَّجَالِ المتوفى سنة ١٠٩٢ اتفق لي الحصول على مجموعة من شعراء ضَمَدَ بالمخلاف السليمانى ، وكانت مجموعة لا بأس بها ، ما أحققها بالإفراد بهذا المقال فقامت بجمع ما عَنَّ لي بانتخاب هذه الفئة من الشعراء .

وقبل الدُخُول بطرح ما في جُعبتنا مما اخترناه من الكتاب نقف قليلاً عند العلامة ابن أبي الرَّجَالِ صاحب «مطلع البدور» .

هو : أحمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن محمد المعروف بابن أبي الرجال ، ولد ليلة الجمعة من شهر شعبان<sup>(٢)</sup> سنة ١٠٢٩ بجهات ( الأهنوم ) ، وكان من شيوخه الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم ، والسيد إبراهيم بن محمد بن أحمد بن

→ ما أمل من أحد الإخوة من مثقفي تلك الناحية في زهران أو الحجر أن يتناول حياته بالدراسة المفصلة ، اعتماداً على ما وصل إلينا من شعره وأخباره . مع محاولة تطبيق هذا على ما هو متناقل بين الرواة المعاصرين ، وما هو مشاهد ومعلوم في تلك البيئة التي عاش فيها الشاعر .

وللابن الكريم النقيب الطيار عبدالله بن مرضي ، ولأسرة هذه الصحيفة الحبيبة إلى النفس أطيب تحية .

[ عن جريدة « الجزيرة » في ١٤٠٩/١/٢ هـ ] .

الرياض : حمد الجاسر

عزالدين المؤيدي ، والسيد عز الدين بن دُرَيْب ، والسيد محمد بن الحسن ،  
والقاضي أحمد بن سعد المَسَوْرِي وغيرهم .

قال الشوكاني : برع في كثير من المعارف ، وهو صاحب كتاب « مطلع البدور  
ومجمع البحور » ترجم فيه لأعيان الزيدية فجاء كتاباً حافلاً ، ولولا كمال عنايته  
واتساع اطلاعه لما تسر له جمع ذلك الكتاب ، وكان من العلماء المشاركين في  
فنون متعددة ، وله أبحاث ورسائل منها :

— بغية الطالب وسوله ، في سبب نزول ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ .

— « تيسير الإعلام ، بتراجم تراجمة التفسير الأعلام » .

— « الدر النظيم » بشرح العقيدة الصحيحة للإمام المتوكل على الله إسماعيل  
مخطوط في مكتبة جامع صنعاء برقم ٥٤ وأخرى بالأمبروزيانا B ١٣٣ .

— « الرياض الندية في أن الفرقة الناجية هم الزيدية » في الأمبروزيانا B ١٣٣ .

— « الموازين الرجيحة شرح العقيدة الصحيحة » — ولعله غير السابق — .

— « تفسير الشريعة لوراد الشريعة » مخطوط في جامع صنعاء : ١١ مجاميع  
وأخرى مخطوطة سنة ١٠٧٠ بالمتحف البريطاني برقم ٣٨٥٢ .

— « رسالة في الرد على العلامة الحسن بن أحمد الجلال » في مسألة الزكاة لأهل  
البيت مخطوطة سنة ١٠٩٢ بالمتحف البريطاني .

— حاشية على ألفاظ « الأزهار » في تتبع ألفاظ « الأزهار » من جهة اللغة  
والتعريف ، وهو مفيد ، أطلع عليه أحد أقربائه فقال : ( هو موجود بخطه — بلغ  
فيه إلى كتاب الوضوء ) .

— « الجواب الشافي للصدئي ، إلى عبدالعزيز الصمدي » .

— « الوجه الأوجه في حكم الزوج الذي ضيع الزوجة » .

— « الهداية إلى من يجب ، والهداية إلى من يجب » ؟

— « تذكرة القلوب التي في الصدور في حياة الأجسام التي في الظهور<sup>(٣)</sup> » .

— « مجالس التفهيم المبوّنة لمنازل التكريم » ، مخطوط في جامع صنعاء برقم ٩ مجاميع .

— « مجاز من أراد الحقيقة من مُراد حُماة الحقيقة » مخطوط بمكتبة الفاتيكان بإيطاليا برقم ١٢٠ .

— « إعلام الموالِي بكلام ساداته الموالي » مخطوط في المتحف البريطاني برقم ٣٨٥٢ وأخرى بجامع صنعاء في سنة ١١٠٢ برقم ٤٩ مجاميع (ترقيم قديم) .

— « إنباء الأبناء بطريقة سلفهم الحسني<sup>(٤)</sup> » في تراجم أعيان أسرته ، تعليق على مُشجّر صلاح بن أحمد الجلال مخطوط في الأمبروزيانا ٦٨ A .

— « النصوص الظاهرة في إخراج اليهود الفاجرة » نشرها العلامة المغربي عبدالهادي التازي ، بتحقيق جيد .

وهذا ما وقفنا عليه من مؤلفاته وله غيرها وتوفي سنة ١٠٩٢<sup>(٥)</sup> .

وإليك ما جمعناه من كتابه « مطلع البدور » :

القاسم بن علي بن هُتَيْمِل :

هو أقدم من ترجم له من شعراء ضمد قال : البليغ الذي يعد في البلغاء بالخنصر ، والسابق الذي يطول على كل شاعر ولا يقصر ، تصبو له المعاني إذا دعاها أجابته كاعبات ومُعصر ، القاسم بن علي بن هُتَيْمِل ، الضمدي الفصيح — رحمه الله — هو أحد مفاخر اليمن على الشام ، والمغني بومضه على كل بارق ، فما أَحَدٌ لبارق من بعد بارقه شام ، روي انه لما وصل ديوانه إلى مكة المشرفة اتفق أدباؤها على تفضيله على مشاهير الشعراء ، قال قائلهم : قد جاء ديوان من اليمن يُغني عن كل هذه الدواوين ، وقد أنشد من شعره العماد الكاتب ، وهو عصره شيئاً من الشعر ، ونسبه إلى غيره ، وما أظنه إلا انتحال ، والانتحال — كما قال السعد التفتازاني أمرٌ يصبو إليه اللبيب ، وللأرض من كأس الكرام نصيب ، فذكر العماد القصيدة التي طالعها :



أَنَا مِنْ نَاطِرِي عَلَيْكَ أَغَارُ

وهي من غرر القصائد ، وأظن من جملتها في مديحه للإمام أحمد بن الحسين عليه السلام :

طَالِبِي يَكَادُ مِنْ طَلَبِ الشَّارِ تَلْطَى مِنْ مُقْلَتَيْهِ النَّيَّارُ  
حَسَنِي لَوَجْهِهِ حَسَنَ الدَّمِّ رُ وَلَوْلَاهُ مَا أَقِيلَ عِثَارُ  
قَاسِمِي فِي كَفِّهِ يُقَسِّمُ الرِّزُّ قَ وَمِنْهُ تُسْتَوَهَبُ الْأَعْمَارُ

وكان ممدوحه في الجبال الإمام الشهيد أحمد بن الحسين ، وأولاد الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ، وفي الغور الأشراف أهل المخلاف ، وأمراء حلي بن يعقوب ، وأخبرني بعض الحفاظ أن له قصيدة في مديحهم ، وذلك أنه كان له خصلتان في المديح غير محمودتين إحداهما أنه يُبالغ في الممدوح حتى يبين من سواه ، كقوله في الإمام :

إِلَى مَنْ لَوْ وَزَنْتَ الْخَلْقَ طَرًّا بِظُفْرِ مِنْهُ مَا وَزَنْتَ قَلَامَهُ  
والثانية أنه ما مدح أحداً إلا رثاه لأنه تعمّر طويلاً ، وقال في قصيدة له في صاحب حلي :

إِنَّ الْمُلُوكَ بَنِي يَعْقُوبَ قَاطِبَةً طَرًّا وَكُلُّ مَلُوكٍ غَيْرِهِمْ سَوَقُ  
فبلغت السلطان المظفر ، فَأَنَفَ ، وأرسل له جريدة خيَلٍ ، فجاءوا به من قطر تهامة ، والسلطان يومئذ بزبيد ، فباتوا ليلة في محل الشريف سليمان بن وهاس الحسني ، وكان الشريف في حضرة السلطان ، وليس في البيت إلا غلام من أولاده يفعة ، ما اختط له شارب ، فشكا إليه ابن هتميل ، فقال الولد للرسل : هذا قد استجار بي والسلطان يجب رعايتنا وأبي في حضرته فاتركوه ، وللسلطان في القضية رأيه ، فلم يساعده الرسل فكان بينهم بعض الشر ، وركب الولد ، ونكأهم بعض النكاية ، فتركوا ابن هتميل وعزموا إلى السلطان ، وذكروا أن سليمان بن وهاس لقاها خيلاً استخلصوه من أيديهم ، فعاتب السلطان الشريف سليمان ، فقال مافي بيتي إلا ولد ما يصلح لهذا ولا أمرته بشيء فامر السلطان

باحضاره ، فلما حضر أنكر الرسلُ أنه الذي استخلص ابن هتميل مُتفرداً ، وأن عنده غيره من الفرسان ، فقال الولد : هذا الفرس ، وهذا الميدان ، يخرج الرسل ، وأنا أخرج ، فظهر للسُّلطان نجابة الولد ، فلم يعذر عن حضور ابن هُتميل ، فحضر وعاتبه فقال : ماقلتُ في غيرهم (سوقُ) إنما قلتُ : وكل ملوك غيرهم (سبقوا) فاستحسن ذلك السُّلطان وتركه للشريف ، فقال في الشريف قصيدته السَّيِّئِيَّة ، وهي في الديوان ، واستمر في الحضرة السُّلطانية من وجوه أهلها وأعيانهم ، وكان على المظفر إلى مصر مال يُسلم في السَّنة يأتي له رسول من صاحب اليمن من جملته دُرُوعٌ فيها أربعة مختارة ، فاتَّفَقَ أَنَّ السُّلطان لم يتيسر الرابع من الأربعة ، ومن صفتها أن تكون في الأرض مرتفعة مثل المستقيمة ، فجمع المال في الديوان ، وأعيان الدولة مجتمعون ، والمال في الوسط ، والسُّلطان في المخزان فسأل : ما بال السُّلطان لم يخرج؟ فقالوا : إنَّهُ مُطالبٌ في الدَّرْع الرابع ، فهو مطلبُهُ فَسَلَّ الشريفُ سَيْفَهُ ، وضرب الأذراع الثلاثة حتى قَدَّها بالسيف وقال : قُلْ لصاحبك ليس عندنا غير هذا !! فبلغ المظفر فقال وقد أغناه وجوده : نعم !! ما قال الشريف ليس عندنا غير هذه الضربات ، فعزم رسول صاحب مصر ، ولم يأت من بعده رسول .

وكان بين ابن هُتميل وبين صاحب الحاح<sup>(٦)</sup> مشاعراتٌ ، وكان ابن هُتميل مُجيداً غير أنَّ هذا لا يلحق ، وما يُناظر شعره إلا شعر أبي فراس ، ولقد امتحنت جماعة من الأدباء بأبيات من شعره ، أقول : لمن تظنون هذا الشعر؟ فيقع في الغالب أفهامُهُم على أبي فراس ، وله شعر غالبُهُ الإشعار (؟) وله في الغزليات ما يسترق الطبع ، وكان يجاز بالجوائز السَّيِّئِيَّات الجزلة ، ومع ذلك مات وهو من فقراء المسلمين المترية ، وقد سبق ما أجاز به القاسم الدَّرُوي ، واشتهر في النَّاس جائزة الإمام له في قصيدته التي اشتهرت وطارت كل مطار وهي :

إِذَا جِئْتَ أَلْغَصَا وَلَكَ السَّلَامَةُ فَطَارِحُ بِالتَّجِيَّةِ رِيْمَ رَامَةٍ

وهي شهيرة فيقال : إن الإمام أجزل عطيته ، ويذكر الناس قدراً ما رأيت في التاريخ<sup>(٧)</sup> والله أعلم بالحقيقة .

قال بعض الفضلاء : يكفي هذه القصيدة قول السيد البليغ الهادي بن إبراهيم رحمهما الله فيما كتبه إلى الإمام المنصور مُتشفعاً في الإمام المهدي بقصيدة أجاد فيها :

وهاك قصيدة غرَاءَ مُحْكِي :  
( إِذَا جِئْتَ الْغُضَا وَلَكَ السَّلَامَةُ )<sup>(٨)</sup>

وله دُرُّ مَنَ الْقَصَائِدِ أَتَبَّرَكَ<sup>(٩)</sup> بمراثيه للإمام الشهيد لا لأنها نُحِبُّ شعره ، بل للتبرك ، وقال - رحمه الله - بعد قتل الإمام عليه السلام :

أَقْسَمْتُ أَحْلِفُ صَادِقًا وَأَنَا الَّذِي مَاقَطُ أَحْلِفُ آثِمًا بِيَمِينِي  
إِنَّ الشُّجَاعَةَ وَالسَّمَاخَةَ وَالنَّدَى حَلَّتْ بِقَبْرِ فِي رُبِّ ذِي بَيْنِ  
علي بن يحيى الضَّمْدِيُّ :

الفقيه العلامة المحقق إمام العلوم بأسرها ، المنتقط لفرائدها من بحرهما ، جمال الإسلام ، علي بن يحيى بن إبراهيم الهذلي الضَّمْدِي - رحمه الله تعالى - أحدُ العيون ، كان عالماً في العلوم سبباً النحو ، قرأ على الإمام المهدي لدين الله أحمد بن . . . وقرأ على الشريفة العالمة دهماء بنت يحيى ، وله فيها مدائح ومقاطيع مراسلة غاب عني ما ينبغي رقمه ، ولم يبق في ذهني إلا ما أملاه الأخ الصالح العارف الحسين بن محمد بن يحيى الضَّمْدِي - رحمه الله تعالى - قال : كان يحيى الهذلي منقطعاً إلى الشريفة دهماء ، وكانت تجري نفقته من دارها فاتفق أن نائب البيت أنفذ إلى علي بن يحيى قوته من خمير الشعير ، فكتب إليها كلاماً من جملته :

يَا بِنْتَ مَنْ حَنَّ إِلَيْهِ الْبَعِيرُ عَشَايَ بِالْأَمْسِ خَمِيرُ الشَّعِيرِ  
وأقام في الجبال مدة ، ويخرج فيها ، وحاضر في الأئمة ، وجالس أكابر العلماء ، وتعمّر إلى زمان الإمام عز الدين بن الحسن ، وكان من عيون أصحابه ، وما كتبه إلى الإمام قبل الدُّعْوَة أبياتاً منها :

وإِنَّا لَنَرَجُو عَاجِلًا أَنْ يُقِيمَهُ إِلَهُ بِهِ قَامَتْ سَمَاوَاتُهُ السَّبْعُ  
يُعِيدُ نِصَابَ الْمَلِكِ فِي مُسْتَقْرِهِ وَيُخْلَعُ عَنْهُ مَنْ يَحِقُّ لَهُ الْخُلْعُ

ومن مقاماته في العلم المشهورة ما أخبرني به الأخ الصالح الحسين بن محمد - رحمه الله - وقد فاتني جمهور ماحكاه ، إلا أني أكتبُ الباقي لئلا يلحق بالماضي ، فأفقه العلم النسيان ، قال : قدم إلى أبي عريش رجل واسع العلم في النحو خصوصاً ، من البصرة فطلب علماء المخلاف السليمان لامتحانهم في هذا العلم ، فوصل إليه المشار إليهم بها ، فما قام في وجهه أحد منهم إلا وظهر عليه القصور ، وأنكر على المخلاف ، وتبجح الأفاقي المذكور ، ثم قال : الآن لم يبق في الجهة أحد قال قائل : بل بقي الفقيه علي بن يحيى الهذلي الضمدي في ضمد فقال أرسلوا إليه ، فأرسلوا إليه ، فوصل وهو رث الثياب كما قيل في صفة أمثاله :

رَثَ الثِّيَابِ حَدِيدُ الْقَلْبِ مُسْتَرٌّ فِي الْأَرْضِ مُشْتَهَرٌ فَوْقَ السَّاسِمَةِ<sup>(١)</sup>

فدخل إلى حضرة الرجل فوقف في طرف المحل ، حيث انتهى به المجلس ، وكان البصريُّ على سريره ، فقال له : من أنت ؟ فتعرف له حتى قال : لعلك الفقيه الذي نُعتَ لنا بأنه يعرف النحو؟ فقال : نعم قال : فبم قرأت ؟ قال في « الحاجية » قال : كتابٌ وُضع لتأديب الأطفال ، ثم قال : وفي أي شيء : قال شرحه « الموشح » . قال : ارتفعت عن هذا الحضيض بقليل ، ثم مازال يذكر الكتب مترقياً في ذكرها حتى قال : ثم فبم ؟ قال : في « التسهيل » فقال البصريُّ : الله أكبر كُفُو كَرِيم ، ووثب من ظهر السرير ، ثم أورد كل واحد وأصدر ، والفقيه يحلِّي عبارة المشكلات الأكد ، ويضرب للبصري الأمثال ، ومن جملة ماقاله في مسألة أُعوزت إلى الحذف والتقدير ما لفظه : لولا الحذف والتقدير لفهمته الحمير ، ومازال العجاج يثور وبضاعة البصري تبور ، فأنخزل البصريُّ عن النضال ، وعرف أن أمام الرجال رجال غير أن المجري في الخلاء يُسر ، وإنما يعرف الذهب بالملحك ويُختبر ، فافترقا ، وأصبح البصري خاوياً ومنزله عنه خالياً ، قد ركب خوف العار عيرانه ، وعرفه الفقيه علي - رحمه الله - ميدانه .

وكان الفقيه رحمه الله - مُجَابَ الدعوة لما اتفق عليه من الشريف الأمير دعيس

[ بياض ] القطبي ما اتفق من الأديّة وقل ناصره فقال قصيدة وهي :

إِذَا لَمْ أَنْتَصِفْ بِمَنْ تَجَنَّى      عَلِيٌّ فَإِنَّ لِي فِي اللَّهِ ظَنًّا  
إِذَا اسْتَشَعَرْتُ مِنْهُ شِعَارَ خَوْفٍ      رَجَوْتُ اللَّهَ يُبَدِّلُ مِنْهُ أَمْنًا  
سَأَطْلُبُ ذَا الْمَعَارِجِ كُلَّ يَوْمٍ      وَأَجَارُ فِي الدُّعَاءِ اللَّهَ وَهَنَا  
فَمَا خَسِرَ امْرَأٌ فِي اللَّهِ وَالِيَّ      وَلَاذَ بَعِزِّهِ كُلُّ مُعَنَى  
أَفَاطِرُهُنَّ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعٍ      وَمُبْتَدِيَّ الْوَرَى إِنْسَاءً وَجِنًّا

وهي طويلة ، أوردها مؤرخنا ابن أبي الرجال كاملة قال : وأنشدها بباب المسجد بضمّد ، فأنهذ بيت الشريف في الحال ، أو احترق ( غاب عني ) وهو - رحمه الله تعالى - صاحب القصيدة الشهيرة الطائرة الصيّت ، ومدح سيّد البشر صلوات الله عليه وهي :

يَا أَيُّهَا الرَّائِبُ الْعَادِي أَوْ السَّارِي      عَرَّجَ قَلِيلًا لِأَقْضِ بَعْضَ أَوْطَارِي  
وَاجْمَلِ سَلَامِي إِلَى أَرْضٍ كَلِفْتُ بِهَا      حِينًا وَطَالَ لَهَا شَوْقِي وَتَذْكَارِي  
وَأَنْزِلْ مِنَ الرُّوضَةِ الْغَنَّا بِمَسْجِدِهَا      تَنْزِلَ هُنَاكَ بِجَنَاتٍ وَأَنْهَارِ

وهي طويلة كسابقتها انظرها في مصدرها ، وهو مشهور - والله الحمد - .

محمد بن أحمد الضمدي :

قال في إطرائه : العلامة البليغ المّفوّه ، لسان الحق ، بدر الدين محمد بن أحمد ابن جناح الضمدي ، هو من بيت بالفضل معمور ، ومن منار علا ظاهرها غير معمور ، لهم في التشيع غرر باذخة ، وذرا دور شائخة ، وفيهم الأعقاب ، والبقية الصالحة إلى يومنا هذا ، وكان هذا الفاضل لساناً متكلماً ، كما هو منهاج أهله ، بل منهاج بلده ، فله بلدة ضمّد ماخوت من ماخوت من كرام ، ومما اتفق بين هذا العلامة وبين أهل زمانه من الشافعية في البيع الذي يزداد في ثمن المبيع لأجل المنسية أشعار مرت بنا أيام القراءة بصعدة ، ولم يبق عندي مما دار غير جواب هذا المنطوق ، ولعله خاتمة ما دار من تحقيق ، هذا عرف ماسبقه من الأشعار ، وقد رأيت إثباته لجودته :

أَجَابَ عَلَى مَقَالَتِنَا الْقَوِيَّةِ بِتَحْرِيمِ الزِّيَادَةِ فِي النَّسِيَةِ  
أَنَاسٌ حَاوَلُوا نَيْلَ الثَّرِيَا وَطَمَسُوا شُمُوسَ مَذْهَبِنَا الْمُضِيَّةِ

محمد بن أحمد النعمان الضمدي :

هو الفقيه العارف البليغ بدر الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم النعمان الضمدي  
— رحمه الله — من أهل البلاغة واللسان ، والأدب والعرفان والفضل والكمال ،  
ولي أعمال ( يَنْبَغ ) للإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين عليه السلام ، ومدح  
الإمام بجيِّدٍ من الشعر ، فيما أنشده ضحوة يوم الأضحى بدار ( الشكران )  
السعيدة بقصر عُمدان ، هذه القصيدة :

وَحَقَّ الْهَوَى (١١) الْعُدْرِيَّ مَالِي مِنْ عُدْرٍ إِذَا لَمْ أُمَّتْ مِنْ حُبِّ مَخْجَلَةِ الْبَدْرِ  
مُنْقَلَةً الْأُرْدَافِ مَخْطَفَةِ الْخَضِرِ (بَعِيدَةَ مَهْوَى الْقَرْطِ طَيِّبَةَ النَّشْرِ)  
فَوَيْتِرَةَ الْأَخَاطِ خَرِيَّةَ الثَّنِيرِ  
بَرْهَرَمَةَ رَوْدِ رُشِيقَةِ الْقَدِّ مُعَقَّرَةَ الْأَصْدَاغِ وَرُودِيَةَ الْخَدِّ  
تَلْمُظَهَا ظَلَمَ الْأَذَى مِنَ الشَّهْدِ وَمَبْسِمُهَا الدَّرِيُّ أَبِي مِنَ الْعَقْدِ  
أَذَابَتْ فُوَادِي فِي الْهَوَى وَهِيَ لِاتْدْرِي

والقصيدة طويلة ، ولولا سقم المخطوطة التي بأيدينا لنقلناها كلها .

الحسن بن أحمد النعمان :

العلامة الحسن بن أحمد النعمان ، الفقيه ، اللسان البليغ ، من مشاهير  
المخلاف وعيون أهله ، من البيت المعمور بالعلوم ، قدم صنعا ، وله أشعار ،  
منها قصيدته في الإمام شرف الدين ، وقُرئت هذه بمسجد ( الحشوش )  
بالجرف :

عَلَى الرَّمْلَةِ الْوَعَسَاءِ رِيحٌ لِي قَدَا (؟) فَقَدَّ فُوَادِي ( . . . ) جَهْرَةً قَدَا  
وَأَضْرَمَ نَارَ الْحُسْنِ فِي وَجَنَاتِهِ لِقَتْلِي فَمَا كَانَتْ سَلَامًا وَلَا بَرْدًا  
وَأَسْبَلَ لَيْلُ الْجَعْدِ فَوْقَ مُتُونِهِ بِزُورَةٍ صَبَّ ذَابَ مِنْ صَدِّهِ وَجَدَا  
وَحَاوَلَ أَنْ يَخْفَى عَلَى رُقْبَائِهِ فَنَمَّ بِهِ الْخَلْخَالُ إِذْ أَبْصَرَ الْبَدَا

فَيَأْمَنُ لِيَصَبَّ كُلُّ شَيْءٍ يَرُوذُهُ يُرَدُّدُهُ عَنْ سُؤْلِ بَهْجَتِهِ رَدًّا  
وهي أكثر من ذلك .

الحسين بن محمد بن يحيى الضمدي :

قال في شأنه : هو الفقيه العارف شرف الدين الحسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر الضمدي النعمان - رحمه الله - من أدباء الوقت حُفَظَةً نَبِيهَا في غاية النباهة ، واسع الإملاء للأدبيات على أنواعها ، وأجناسها يملي أدبيات المصريين ومقاطيعهم ، والقصائد الطنانه عن ظهر واعية لذلك ، ولما شابهه من الكلام المخالف والمؤلف في الأدب والقصص والكائنات ، وتلقينا عنه العجائب من أخبار علماء ضمّد الأحياء منهم والأموات ، وقد أضعنا من ذلك لطول الزمان كثيراً مما أملاه رحمه الله ، وكان من أهل الوقار والتأني ، والرجاحة ، وكانت له في العبارات فصاحة وبلاغة ، كأنما يملي من صحيفة ، ولقي أعيان بلده كالفقيه العلامة المطهر بن علي النعمان ، وكان يرأسه بالفوائد إلى صَعْدَةَ ، ومحدث وعلمه المطهر كتبه إليه ، ولقي العلامة الوجيه سيدنا عبدالعزيز الضمدي قاضي بندر ( المخا ) وهو من كملة الرجال من المصنفين ، وقد مر له ذكر ، وهاؤلاء كلهم من بيت واحد قرابة وشيعة ، وقرأ الحسين العربية والفقه ، وكان ألمعياً ذكياً ، وله أشعار كثيرة منها إلهيات ، ومنها نبويات ، وإخوانيات ، ومنها مدائح وله مواعظ فمن إلهياته :

يَأْمَنُ يُقِيلُ عِشَارَ الْمُذْبِنِينَ أَقْلُ  
عِشَارَ عَبْدٍ بِهِ قَدْ زَلَّتِ الْقَدَمُ  
قَدْ قَلتَ يَا رَبَّنَا : ادْعُونِي اسْتَجِبْ لَكُمْ  
فَقَدْ دَعَوْنَا سَمِيعاً مَا بِهِ صَمَمُ

ومنها :

مَاذَا أَقُولُ لِرَبِّي حِينَ يَسْأَلُنِي  
عِنْدَ الْحِسَابِ وَنَارُ اللَّهِ تَضْطَرِمُ  
وَقَدْ أَتَيْتُ بِذَنْبٍ مَا يُطِيقُ عَلَيَّ  
حَمْلَ لَهُ ( يَذُبُّ ) كَلًّا وَلَا ( نُقْم )

أحمد بن جناح الضمدي :

قال عنه : السيد الفاضل شهاب الدين أحمد بن جناح الضمدي - رحمه الله -

هو من بيت ثابت العماد في الخير والخيار ، وهذه الهجرة الضمديّة — عمرها الله بالتقوى — مطالع لشموس العلم والأدب ، حتى اشتهر أنه لا يخلو عن مجتهد وشاعر ، وهو كذلك لم يعرف ، ولم يُسمع أنه قد خلا ، هذا زماننا فيه : العلامة الصّدر وجيه الإسلام عبدالعزيز بن أحمد النعمان من كبار العلماء ، وصدور الحكام إليه قضاء زبيد المحروسة ، وبندر المخا — عمرها الله بالعدل — وهو من عباد الله الصّالحين ، وفضلاء الكملاء ، مجتهد متضلّع من العلوم ، وله مؤلفات منها « شرح الموشح » في النّحو سمّاه « البغية » ومنها في أصول الفقه « شرح المعيار » كتاب الإمام المهدي ، ومنها « تخريج أحاديث الشفاء » في الحديث من كتب المحدثين ، وعزّو كل حديث إلى كتاب من كتبهم ، وإن كان أئمتنا لهم روايات ورجال غير أولئك إلّا أنّ هذا من فضل الله اتفاق المروي ، وقد اعتنى أيضاً بحاشية على « الشفاء » . على ذكره ، أذكر رؤيا رأها — أطال الله عمره — لأنها موعظة ، وهو وحيد الزّمان ، كامل الصفات ، لقيته بصعدة وهو من عيون العلماء ، وأنا إذ ذاك حدث السنّ ، وله تلاوة وخشوع ، وصفات حميدة ، وله عدة رسائل في أمور متعددة ، منها رسالة في المقامات المعروفة عند الكعبة ، ومنها رسالة ينحو فيها نحو الملامة للأقوال ، ورسالة أرسلها إليّ فيما يأخذه الإمام من الرعية . نعم ، وهذه الرؤيا هي ما حكاها أبقاه الله — قال : نمت ليلة السبت ثاني عشر من صفر سنة ثمان وثلاثين وألف ، وحصل معي ألم فأمسيت تلك الليلة قلقاً متكدّر الخاطر ، فرأيت تلك الليلة من يعطيني ثلاثة أبيات — أوردها — .

ولابد من كتابة من عرفت اسمه من علماء أولئك ، وقد كان القاضي فخر الدين عبدالله بن علي النعمان كتب كتاباً سماه « العقيق البياني » في ذكر أهل المخلاف السليمانى » وقفت عليه مرة بأبي عريش ، ولم يتيسر لي النقل منه ، وهذا ابن جناح لا أعرف جناح المذكور هل هو علم ، أو لقب فقد أثبت اسمه هكذا ، ومن جملة هذا البيت جناح المقبور بصنعاء الذي يعتقد فيه الناس ، وعليه مسجد معمور ، وكان عامياً لا فضيلة له ، وأظن القاضي أحمد بن جناح ، هذا في زمان الإمام صلاح الدين والقصيدة التي إلى الإمام استنصاراً على صاحب جازان أولها :



## بِيضِ الْمَوَاضِي لَا بِيضِ الْكَوَاعِبِ

وهي طويلة ، وهي من غرر القصائد له ، وأغارت خيل الإمام معه من صعدة ولكنها سبقت غارة صاحب مكة قبل الإمام ، والقصة مشهورة .

وعلى ذكر ضمّد هذه المباركة أذكر ما حضرني من شعر العلامة ابن قنبر من علمائها وفصحائها له قصائد سحارة ، إن يسّر الله نقلت شيئاً منها قال رحمه الله :

مَا ضَمَّدُ يَاصَاحُ إِلَّا جَنَّةً	وَهَلْ تَسَاوَى جَنَّةً جَهَنَّمَ
نَسِيمُهَا وَتُرْبُهَا مِنْ عَنَبٍ	وَمَاؤُهَا الْكُوْتُرُ عَذْبُ شَيْمٍ
إِذَا تَعْنَى سَحَرًا قَمْرِيًّا	أَيَقْظُ مِنْهَا مِنْ نِيَامِ تَغْنَمِ (؟)
وَإِنْ تَلَا الْأَسْحَارَ فِي مَسْجِدِهَا	تَالِ بِهٍ عَنكَ يَزُولُ السَّقْمُ
لَا يَهْتَكُونَ حُرْمَةَ الْجَارِ وَلَا	يُعْرِفُ عَيْبٌ مِنْهُمْ وَفِيهِمْ (؟)

ولعلها طويلة .

ولنعد إلى ذكر أحمد بن جناح - رحمه الله - كان مجيداً في الشعر ومن شعره ما أفاده بعض شيوخي - رحمه الله - وقال هي أطول من هذا .

رَكَنْتُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ الْعِلْمِ أَنِّي	سَأَصْبِحُ فِي بَطْنِ الثَّرَى مُتَوَسِّدًا
وَجَاهَرْتُ بِالْعِصْيَانِ لِلَّهِ عَالِمًا	عُقُوبَتُهُ لِلظَّالِمِينَ لَهُ غَدًا
وَحُضْتُ بِحُورِ الْمُهَلِّكَاتِ تَعَمِّدًا	مَعَ الْعِلْمِ مِثِّي أَنْ فِي خَوْضِهَا الرَّدَى
عَلِمْتُ طَرِيقَ الْحَقِّ ثُمَّ هَجَرْتُهَا	عَيَانًا وَلَمْ أَمُدُّ إِلَيْهَا يَدًا

وهي طويلة أوردتها في كتابه .

مُطَهَّرُ بِنِ عَلِي النِّعْمَانِ الضَّمْدِي :

كان عارفاً فصيحاً رَحَلاً مُتَنَزِّهاً عَنِ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ ، وقرأ على مشائخ أجلاء وله قصائد جلييلة القدر ، وَحَمَسَ قَصِيدَةَ الْعَلَامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِي بْنِ عَمْرِ الضَّمْدِي التي في الزيدية بهذا التخميس البديع وأورده .

وله قصيدة رائية في علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - .

وهي طويلة وله قصيدة حسنة جامعة لسور القرآن .

وغير ذلك لكنه عدل بعد هذا إلى مطالعة أسفار هي كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فعظمها وأجلها ، وأنزلها منزلة الدليل المحلل المحرم ، وأحلها ، ولما وصل العلامة محمد بن عزالدين المفتي ذكره بشيء من ذلك فنفر منه غاية النفور ، وصدده عن القراءة فتوجه إلى الفقيه أحمد بن مطير لسماح بعض الأمهات التي رام سماعها على السيد المذكور ، وله عدة كتب منها كتاب في الطب ، وكتاب ساه « النّفحات المسكية في الأفعال الثلاثية » اختصره من « الضياء » و « المنقح » و « شرح الموشح » و « الفرات النّмир » كتاب فيه عبارة حسنة وتكلم في وجوه الإعراب والبلاغة .

وكان الفقيه مطهر من أهل الذكاء والفطنة الوقادة والحافظة الحسنة والسليقة المطوعة ، وله الأشعار البليغة في الإخوانيات والغزليات ، يأتي بكل معنى لطيف لولا خوفي الإطالة لذكرت مقاطع سُكرها نباتي قد روقه بزلال صافي ، ومن تحفه : أنه كان لمولانا السيد العلامة جمال الإسلام صلاح بن أحمد بن المهدي عبداً شديد السواد يُسمى ( سَوَاد ) بوزن فَعَال بتشديد العين ، وكان يعطي الأصحاب في الحضرة القهوة أو نحوها ، فسكت عن الفقيه مطهر ، وأخره فقال بديهية :

جَمَعْتَ سَوَادَ الْوَجْهِ وَالْقَلْبِ يَافَتَى فَمِنْ أَجْلِ ذَا سَمَّاكَ أَهْلُكَ سَوَادًا

وكان بينه وبين السادة الكرام من آل المؤيد مطارحات أدبية ومفاكحات حسنية ، على أساليب أولئك السادة الصّيد ، ولم يحضرني إلا ما أنشده الفقيه مطهر عقب رحلة السيد صلاح الدين من أبي عريش عقب فتحه له من يد الأروام :

إِنْ كَانَ أَحْبَابُنَا بِالْهَجْرِ قَدْ طَابُوا  
شَدُّوا الْمَطَايَا غَدَاةَ الْبَيْنِ فَأَرْحَلْتُ  
وَنَارَتِ الْعَيْسُ بِالْأَطْعَانِ رَاعِيَةً  
لِلَّهِ رُؤُوحِي وَقَلْبِي بَعْدَ بَعْدِهِمْ  
قَلْبًا فَسَيَّانَ أَعْدَاءَ وَأَحْبَابُ  
نَفْسِي كَأَنَّ غُرَابَ الْبَيْنِ أَقْتَابُ (؟)  
يَوْمَ النَّوَى فَاسْتَوَى رَاعٍ وَنَعَابُ  
وَرَحْمَةً لِعِيُونِي غِبٌّ مَا غَابُوا

فَالرُّوحُ طَائِرَةٌ وَالْقَلْبُ قَدْ فُتِحَتْ سَمَاوُهُ فَهَوَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَبْوَابُ  
إِلَى آخِرِهَا .

وأجابه السيد صلاح الدين رحمه الله فقال :

مَا طَبْتُ مِنْ بَعْدِ أَصْحَابِ لَنَا طَابُوا نَفْسًا وَلَا آبَ نَوْمِي بَعْدَمَا غَابُوا  
إِلَى آخِرِ آيَاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَالسِّيَاقُ لِمَعْرِفَةِ مَكَانَةِ الْفَقِيهِ فِي الشَّعْرِ ، وَلَهُ آيَاتُ :

وَيَلَاهُ مِنْ جَفْنِهِ السَّقِيمِ وَخَدِهِ الْأَبْلَجِ الْقَسِيمِ  
يَلُوحُ صُبْحُ الْجَبِينِ مِنْهُ تَحْتَ دُجَا شَعْرِهِ الْبُهَيْمِ  
كَأَمَّا الْخَدُّ مِنْ نُظَارٍ وَالشَّعْرُ مِنْ لَوْلُو نَظِيمِ  
كَأَمَّا اللَّحْظُ مِنْهُ مُوسَى يَجْرَحُ فِي قَلْبِي الْكَلِيمِ  
إِذَا رَأَهُ الْوَشَاءُ قَالُوا تَبَارَكَ اللَّهُ مِنْ حَكِيمِ  
يَقُولُ إِنْ رُمْتُ وَضَلُّهُ مَا لِظَالِمٍ قَطُّ مِنْ حَمِيمِ  
مُعْتَزِي (رَافِضِي) لِهَذَا لَا يَعْرِفُ (الْجَبْر) لِلنُّنْدِيمِ

وهي طويلة حضر عند الرقم هذا اليسير ، والقليل إلى الكثير يشير ، ودخل  
(عدن) للاعتبار والتتزه ، ولما وصل لحجاً أنشد :

تَقُولُ عَيْسِي وَقَدْ وَافَيْتُ مُجْتَهِدًا  
حُجَّاءَ وَلَا حَتَّ لَهَا الْأَعْلَامُ مِنْ عَدَنِ  
أُمَّتْهِى الْأَرْضِ يَا هَذَا تُرِيدُ بِنَا  
فَقُلْتُ كَلًّا وَلَكِنْ مُنْتَهَى الْيَمَنِ

توفي بضمد الهجرة المشهورة بتهمامة ، أظن ذلك سنة تسع وأربعين وألف .

علي بن الحسن النعمي :

السيد العلامة علي بن الحسن الحسيني النعمي - رحمه الله - قاضي المخلاف ،  
وعامل إقليمه ، كان سيداً سرياً فاضلاً كاملاً ، يهتزُّ للآداب والعلم ، ويحفظ  
الأخبار ، ويطلع على القصص المتقدمة والمتأخرة ، وكان يأتي على أكثر

« الكشاف » غيباً ، وعُمر فانتفع به أهل الإقليم ، ومسكنه جهة سلفه بنحو ( شرف ) و ( السلام ) واتخذ بيتاً بَعْتَوَدَ ، وكان عليه مدار ذلك المخلاف ، وكان واسع الصدر ، وله فصاحة ، ومن شعره قصيدة نبوية وهي : [ بَيْضُ الْمُؤَلَّفِ  
لهذه القصيدة ] .

وله أولاد نجباء أعيان ، منهم السيد العلامة عزالدين بن علي قاضي أمير المؤمنين المتوكل على الله المُوَجَّه كل عام لفصل الخصومة مع ركب الحج ، وهو من نجباء السادة وفضلائهم ، وله شعر متين وإخوته الأجلاء شمس الدين أحمد ، والحسن وإبراهيم ، وجماعة فضلاء - رضي الله عنهم - .

وبهذه الترجمة نختم ما أورده العلامة المؤرخ أحمد بن صالح بن أبي الرجال من تراجم لشعر ضمد ، وهو الكثير الطيب والله الحمد .

صنعاء : عبدالله بن محمد الحبشي

[ الحواشي ] :

- (١) سماه في « فوائد الارتفاع » : « مجمع البحور ، ومطلع البدور » .
- (٢) كذا في « البدر الطالع » : ٥٩/١ بدون تحديد اليوم من الشهر وفي كتاب « فوائد الارتفاع ونتائج السفر » لابن فتح الله - ص ٦٧٢ مخطوطي : ( مولده ليلة الجمعة إحدى ليالي شعبان سنة تسع وعشرين وألف بالسيط من بلاد ذرى من جهات الأهنوم ) ويظهر أنه اقتبس هذا من ترجمة كتبها أخو المترجم محمد بن صالح فقد ذكر أنه أفرد ترجمته في مؤلف « العرب » .
- (٣) في « فوائد الارتفاع » : إلى « التي في القبور » .
- (٤) في « فوائد الارتفاع » : « بطريقة تبلغهم الحسنى » - جامع نسب آل أبي الرجال - .
- (٥) في « فوائد الارتفاع » : توفي ليلة الثلاثاء خامس شهر ربيع الأول سنة اثنين وتسعين وألف بصنعاء ، وقبر بروضة حاتم شرقي داره - رحمه الله - .
- (٦) كذا .
- (٧) يعني سيرة الإمام الشهيد أحمد بن الحسين وهي من النوادر .
- (٨) كذا اكتفى بمطلعها ، وفيه الشاهد حيث ضمنه مطلع قصيدة ابن هتميل للدلالة على مكانتها .
- (٩) التبرك بكلام الله وبالبدعاء المأثور وبحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام . لا بشعر المراثي « العرب » .

(١٠) كذا ولعل الصواب ( السماوات ) .

(١١) القسم بغير الله لا يجوز ، ولكن ما أكثر انحرافات الشعراء عن النهج القويم « العرب » .

## رحلة الصايغ إلى الدرعية بين الشك واليقين

نشرت مجلة «العرب» بعض المقالات عن رحلة فتح الله الصايغ إلى الدرعية (العرب س ١٩ ص ١٥٢ ، ٦٩٧ ، وس ٢٠ ص ٧٧٥). وفي بحث<sup>(١)</sup> قيم بقلم صاحبها الشيخ حمد الجاسر تناول هذا المؤرخ العربي الكبير بالنقد رواية من يدعي أن الأمبراطور الفرنسي (نابوليون الأول) كان أرسل بكتاب إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز ، يدعو إلى عقد معاهدة صداقة وولاء . ولاشك عندي أن أستاذنا الجاسر على صواب تام بإنكاره هذا الادعاء . وإضافة إلى الأدلة التي قدمها نقول : إننا لانجد أثراً لمثل هذا الكتاب في مخبرات (نابوليون) ، وقد طبعت جميعها في نحو خمسة وعشرين مجلداً تحت رعاية (نابوليون الثالث) ولايسع الناقد أن يعول على كلام بُونُوا مِيْشان ، إذ لا يذكر المصدر الذي أخذ عنه . أما محفوظات وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية فالله أعلم بالوقت الثمين الذي أضاعته في مكتبتها ، باحثاً عن هذه الضالة المنشودة دون جدوى .

إلا أن علامتنا الشيخ حمد الجاسر لا يكتفي بهذا النقد الصائب ، بل يذهب إلى أبعد من ذلك ، فنراه يقف موقف الشك ، مرتاباً من صحة رحلة الصايغ إلى الدرعية ولا يُجْحِمُ عن القول : إنها مزورة<sup>(٢)</sup> . وكنا نتمنى لو أن أستاذنا قدّم الأدلة المقنعة على هذه التهمة الشنيعة . ونرى من الاجحاف التام بحق هذا الرحالة السوري أن ننسب إليه الكذب والبهتان – وإن جمع به الخيال أحياناً ، ووقع بأخطاء تاريخية جسيمة – دون أن يُقدِّم الناقد البراهين المقنعة .

ولا جرم أن صاحب مجلة «العرب» قارن بين ماجاء في مذكرات الصايغ (التي أعدّها للطبع) وماكتبه الروائي (جان سوبلان) عن الموضوع نفسه ، فوجد خلافاً كبيراً بين الروائيتين ، مما يثير الشك والظنون . إلا أن كتاب «لاسكاريس العرب» الذي قام بترجمته إلى العربية الأستاذ فريد جحا لا يمكن للمؤرخ أن يوليه ثقته ، فإن هو إلا قصة روائية ، ولايصح أن نعتبره مصدراً تاريخياً . وقد حرص المؤلف على إيضاح هذه النقطة الهامة لكي لا يقع أيُّ التباسٍ في الأذهان ، فوضع على

غلاف الكتاب بالأحرف الكبير كلمة (Roman) ونحن على ثقة بأن مؤرخاً مثل الشيخ حمد الجاسر، عُرف بدقته وتحريه الحقيقة، ماكان ليستشهد بمثل هذا الكتاب ، لوكان على علم بالتمويه الذي يعرض له من لايرجع إلى الأصل الفرنسي<sup>(٣)</sup>.

لِنَعُدْ إِذْنًا إِلَى مَذَكَرَاتِ الصَايِغِ، فَهِيَ الْيَوْمَ - وَإِلَى أَنْ يَجُودَ الزَّمَنُ بِأَوْرَاقِ (لَا سَكَارِيسِ) الْمَصْدَرِ التَّارِيخِيِّ الْوَحِيدِ عَنْ رِحْلَةِ عَامِلِ (نَابُولِيُونِ) إِلَى بَادِيَةِ الشَّامِ وَصَحَارِي الْعِرَاقِ وَالْعَجَمِ، لِنَتَبَّهَنَّ مِنْهَا صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ فِي حَدِيثِهِ عَنِ الدَّرْعِيَّةِ. وَقَدْ قُتِمَتْ بِإِعْدَادِ هَذِهِ الْمَذَكَرَاتِ لِلطَّبْعِ بَعْدَ بَحْثٍ وَتَحْقِيقِ طَوِيلَيْنِ، لَمَّا فِيهَا مِنْ مَعْلُومَاتٍ قِيَمَةٌ نَادِرَةٌ مِنْ تَارِيخِيَّةٍ وَجُغْرَافِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ، وَاتَّضَحَ لِي أَنَّ الصَايِغَ قَدْ جَمَعَ بِهِ الْخَيَالَ أحيانًا، إِلَّا أَنَّهُ صِدْقُهُ فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، وَوَصَفَ مَا شَاهَدَهُ بِكُلِّ دَقَّةٍ فَأَفَادَ.

فَهَلْ كَانَ صَادِقًا فِي حَدِيثِهِ عَنِ الدَّرْعِيَّةِ؟ إِذْ يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ أَسْتَاذِنَا حَمْدِ الْجَاسِرِ أَنَّ تَهْمَةَ التَّرْوِيرِ مَحْصُورَةٌ فِي كَلَامِ الصَايِغِ عَنِ عَاصِمَةِ الْوَهَابِيِّينَ. فَهُوَ يَشْكُ فِي صَحْتِهَا، وَيَطْعَنُ فِيهَا، وَيَدْلِي بِبِرْهَانٍ قَدْ يَكُونُ حَاسِمًا لَوْلَا أَنَّنَا أَثْبَتْنَا ضَعْفَهُ فِي مَقَالٍ نَشَرْتَهُ الْعَرَبِ<sup>(٤)</sup>. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ أَسْتَاذِنَا يَسْتَشْهَدُ بِتَعْلِيقِ الشَّيْخِ أَحْمَدِ بْنِ رُشَيْدِ الْحَنْبَلِيِّ عَلَى التَّرْجُمَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا الْمُسْتَشْرَقُ (فَرْنِيل) مِنَ الْفَرَنْسِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، فَيَقُولُ الشَّيْخُ: إِنَّ الصَايِغَ لَمْ يَصْدُقْ فِي شَيْءٍ، وَأَنَّهُ كَذَّابٌ مَزُورٌ أَشْرُّ بَطْرٍ، لَمْ يَصِلْ قَطُّ إِلَى الدَّرْعِيَّةِ.

كُنْتُ أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ مُؤَرِّخَنَا الْكَبِيرَ أَتَى بِغَيْرِ هَذَا الدَّلِيلِ عَلَى التُّهْمَةِ الشَّنِيعَةِ الَّتِي يَلْصِقُهَا بِالصَايِغِ، إِذْ كُنْتُ نَاقَشْتُ كَلَامَ الشَّيْخِ وَأَثْبَتُّ أَنَّهُ أَدْلَى بِحُكْمِهِ الصَّارِمِ بِنَاءً عَلَى التَّرْجُمَةِ الْخَاطِئَةِ - الْمَحْشُوءَةِ بِالْأَغْلَاطِ - الَّتِي عُرِضَتْ عَلَيْهِ، وَبِوَسْعِ الْقَارِيءِ الْكَرِيمِ أَنْ يَعُودَ إِلَى مَقَالِنَا الْمُنْشُورِ فِي «الْعَرَبِ» أَوْ إِلَى بَحْثِنَا فِي «مَجَلَّةِ التَّارِيخِ الدِّيَلُومَاسِي» الصَّادِرَةِ فِي بَارِيسِ (بِالْفَرَنْسِيَّةِ) لِتَبَيِّنِ مَوَاطِنِ الضَّعْفِ فِي كَلَامِ الشَّيْخِ الْحَنْبَلِيِّ. وَلَيْسَ فِي الْإِعَادَةِ إِفَادَةٌ.

إِنَّمَا نَرِيدُ الْيَوْمَ أَنْ نُنَبِّهَ أَوَّلًا أَنَّ الشَّيْخَ الْمَذْكَورَ قَدْ تَعَثَّرَ فِي أَمَاكِنَ عَدِيدَةٍ مِنْ

نقده ، بصرف النظر عن سوء الترجمة ، بنوع إنَّ المؤرخ لايسعه أن يعول على كلامه ، وثانياً أن الصايغ وصف الدرعية وصفاً دقيقاً لايمكن أن يكون وليد الخيال ، فإن هو لم يختلق هذا الوصف فعنَّ مَنْ أخذه ؟ أو بعبارة أخرى : إنَّ كان ناقلًا فعن من نقل؟

نقول أولاً : إنَّ الشيخ الحنبلي قد تعثر في أماكن كثيرة من نقده ، بصرف النظر عن الأخطاء التي وقعت من جرَّاء سوء الترجمة ، وأولى هذه العثرات قوله : (يُدخَلُ إلى الدرعية مِنْ وادٍ مفتوحٍ مِنْ غيرِ سورٍ ولا أبواب) (٥) وكرر مرتين قوله : (ليس للدرعية باب) ، وذلك ردّاً على قول الصايغ : إنه دخل الدرعية من بابها . والواقع أن مايقوله الشيخ الحنبلي هو من نوع المغالطة إذ يتبادر إلى الذهن أنَّ الدرعية كانت مدينة مفتوحة من غير سور ولا أبواب ، مع أنَّها كانت محاطة بوسائل دفاعية هامة لأنها كانت مُهدَّدة بالحروب والغزوات . ويعلمنا المؤرخ الفرنسي (مانجان) أن الدرعية كانت مكونة من خمس بُليدات شبيهة بالأحياء ، وأن لكل واحدة منها سوراً ، وأبراجاً ، وهي غَصِيبية وطُرْفِيَّة وسَهْل وقَسِيرين وطُرَيْف . وكانت غصيبية وطُرْفِيَّة مبنيتين قرب جبل وكانت تحميها قلعة حصينة (٦) . وعندما هاجم إبراهيم باشا الدرعية صمدت له القوات الوهابية وسدَّت بعض العناصر (بوابة سمحان في الطرف الشمالي من القلعة حيث تمركز عبدالله نفسه داخل الأسوار . وفي الخامس من تشرين الثاني سنَّ إبراهيم باشا هجوماً شديداً مُركِّزاً على حصون المدينة من جميع الجهات) (٧) .

فمنَّ الواضح الجلي بعد هذه الشواهد أن قول الشيخ الحنبلي أن الدرعية ماكان لها سور ولا أبواب لا معنى له لأنها كانت مقسومة إلى أحياء وكل حي منها كان محاطاً بالأسوار والأبراج ، ويُدخَلُ إليه مِنْ باب حصين . ولم يغادر إبراهيم باشا الدرعية إلا بعد أن دمرها ودمر حصونها وأبراجها .

ومن تلك العثرات أيضاً قول الشيخ الحنبلي ردّاً على قول الصايغ : إنَّ الإمام الوهابي كان حرِّم لبس الحرير (وكل ماله رائحة من زهو الترك) : (سعود لايجرم عادة الترك ولاغيرهم بل يجرم ماحرمه الله ورسوله على قدر معرفته . وهو وأهل

ملكته يلبسون الكشمير وجُبِّبَ الجوخ والبابوج ، وكثير مما يلبسه الترك) .  
ويناقض هذا الكلام مايقوله حافظ وهبة: (وأمر [ سعود ] بترك لبس الحرير  
والذهب)<sup>(٨)</sup> . ويظهر أنَّ هذا التحريم كان يسري فقط على الرعية . جاء في  
كتاب «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب»: (كان [ سعود ] يحمل السيف  
دائماً ، وسيفه عليه من الفضة والذهب والجواهر ، مرصع غلافه بها على  
صفحات الذهب من جانب أعلاه وأسفله . . . وأما لباس نسائه . . . فغالبه من  
الحرير الهندي المصنوع بالذهب . . . وقد جَمَّلَهُنَّ من الخلي شيء عظيم من  
الذهب المرصع بالجواهر النفيسة) .

وأنكر أيضاً الشيخ الحنبلي أن يكون سعود أخذ من على قبر النبي في المدينة  
جوهرة نادرة كبيرة الثمن فقال ردّاً على الصايغ: (قبر النبي لم يعلق عليه شيء ولا  
يتوصل إليه أحد) . إلا أنَّ السائح (بوركهارت) الذي كان اعتنق الإسلام وزار  
مكة والمدينة سنة ١٨١٤ يعلمنا أن سعوداً عندما فتح المدينة المنورة نهب مال  
الحُجَّرة . ومن جملة الجواهر النادرة التي أخذها: (نجمة رائعة مرصعة بالماس  
كانت معلقة على قبر النبي . وكثيراً مايتحدث العرب عن هذه الجوهرة وهم  
يسمونها الكوكب الدرّي)<sup>(٩)</sup> .

ومن ذلك أيضاً قول الشيخ: (ماكان سعود يأكل ألواناً إلا صحيفة فيها الفتة  
والرز واللحم سواء ، أو فاكهة كل فاكهة في إناء) إنما يناقض هذا الكلام ماجاء في  
«لمع الشهاب»: (وكان سعود يترف في المأكول كما يترف في الملبوس . . . واتخذ له  
أناساً من أهل الأحساء أو القطيف يصنعون له الأطعمة الحسنة من اللحوم المقلية  
والطيور المحشية ، والحلويات الخبيصة بالسكر والبلوج . هذا في بيته . وأمّا في  
المجلس العام . . . فأكله مع ذلك اللحم والثريد وأما عبدالله - أي ابن سعود ،  
الذي يتكلم عنه الصايغ فإنه مشى على خطوات أبيه في اللبس والأكل ، (إلا أنه  
كان يظهر الأطعمة الفاخرة في مجلسه الخاص والعام)<sup>(١٠)</sup> .

بُوسَعِنَا أن نأتي بأدلة أخرى على عثرات الشيخ الحنبلي ، ولاعجَبَ من ذلك  
لأن عمره كان أربى على الخامسة والتسعين لما عُرِضَتْ عليه الترجمة العربية



الخاطئة، وللشيخوخة أثرها، وأوها النسيان لاسيما وأنه سُئِلَ عن حوادث جرت قبل خمس وعشرين سنة، لَأَهْمِيَّةِ لها، نسيها الناس ولم يهتمَّ بها أصحاب اليوميات . وأذكرُ بهذه المناسبة أني حاولتُ عبثاً أن أجد عند المؤرخين اليمينيين من القرن الثامن عشر سطرأً واحداً عن زيارة (نيبور) لليمن سنة ١٧٦٢ مع أنه أقام في هذا الربع نحو ستة أشهر، وحلَّ ضيفاً على الإمام في صنعاء . وكذلك لم أجد ذكراً لزيارة الوفد الفرنسي للإمام صاحب المواهب<sup>(١٢)</sup> بدعوة منه سنة ١٧١٢ ولولا الوثائق الغربية لجهل اليمينيون هاتين الزيارتين . وماهي أهمية الشيخ الدرعي بن شعلان إذا قيسَتْ بالمركز العالي الذي كان يتمتع به (نيبور) وأصحابه أو أعضاء الوفد الفرنسي، فإن هو إلا شيخ من شيوخ البادية العديدين، الذين كانوا يَفِدُون على الدرعية ولا يؤبه لهم . فلا لوم على الشيخ الحنبلي إذا خائنه الذاكرة، ولا عتب علينا إذا رفضنا شهادته لضعفها .

إني أُجِلُّ رأي علامتنا الشيخ حمد الجاسر أعلى منزلة، ولاشك عندي أنه لايتهم الصايغ بالتزوير إلا على بَيِّنَةٍ، ولكن من المؤسف أنه لم يُدَلِّ بها مكتفياً بحكم الشيخ الحنبلي وفيه من التّعسف مافيه .

بقي علينا أن نتكلم عن وصف الدرعية كما جاء في مذكرات الصايغ . فهل أنصف أستاذنا الجاسر هذا الرحالة عندما يقرر أنه وصف عاصمة الوهابيين (وماشاهد فيها بعبارات هي أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة) . مما لاشك فيه أن الصايغ كان يميل إلى المبالغة وكثيراً ما يطلق العنان لمخيلته كما في حديثه عن أثواب الحيات . إلا أنه في كلامه عن الدرعية ونخلها وبساتينها وصناعاتها وعادات أهلها واصطبلات ابن سعود والخيول الأصايل التي فيها، كان مُتَحَفِّظاً جداً يُرَاعِي الأمانة . ولايسعنا إلا أن نأتي بأمثلة لهذا الوصف: (ثم ثاني يوم دُرْنَا بالبلد، وهي بلدة صغيرة بها مياه وافرة داخل البلد، عماراتها من الحجر الأبيض، تحتوي على سبعة آلاف نسمة . . . وأما صنائعهم فحياكة الخام، وشغل المشالغ السود والبيض والدسمانات والزنانير المقلبات بأبيض وأحمر، وهناك أيضاً دكاكين سيوفية (وقد قلجحية) لأجل شغل (التفنك). ودكاكين بياطرة ودكاكين صناع حوائج الجمال ومسرجات الخيل من بُبَاد، لأنهم يصنعون كثيراً من اللُّبَاد في بلدهم . . .

(عندهم بساتين خارج البلد في الوادي، بها أنواع الفواكه مثل الموز والتين والرمان والبلح والليمون والبردقان وقصب المص والبطيخ الأصفر والعجور وجوز الهند، ومأكولهم لحم الجمل، وحليب النوق، ولحم الضأن قليلاً. ويزرعون الحنطة سقياً، وأكثر ما عندهم الذرة البيضاء والصفراء ويستعملونها للخبز والطبخ أيضاً، ويكثر عندهم الدجاج... ولهم مواشي وخيل).

(والشيء الذي ينقصهم مهما كان يجلبه لهم أهالي ينبع بَحراً إلى مكا [مخا]، كرسي اليمن، المحل الذي يخرج منه كميات القهوة... لأن كل نهار أربعاء يوجد سوق بالدرعية للبيع والشراء...).

فليس في هذا الكلام أو غيره ما يدعو إلى الظن أنه من عمل الخيال ولنقرأ ماكتب الصايغ عن النقود في العاصمة الوهابية: (وأما عملة الدرعية فالريال الفرنجي، وذهب مَشْخَص، وذهب مجر، ونصف ريال وربيع ريال وذهب جزرلي صنع مصر قديم، وذهب أبووردة قديم، ومصريات فرط. أما عملة العثماني فلا يتعامل بها قط). ويختتم الصايغ وصفه بهذه الملاحظة الهامة: (ثم عند المساء رجعنا إلى المنزل وقيدت جميع مآريته وسمعتة في اليومية) (المخطوطة ص ١٠٩/٢ إلى ١١٠/٢).

فهذا الوصف الدقيق لا يتأتى إلا لشخص رأى الأشياء بأم عينيه، وسجل بأمانة مآراه. وكيف يأتي الصايغ على ذكر ذهب مَشْخَص<sup>(١٣)</sup> لو لم يره. فهذه القطع الذهبية الكبيرة كانت متداولة في اليمن أيام العصر الرسولي وبعده وغير معروفة في سورية.

وهناك أمثلة عديدة تشهد أن مايقوله الصايغ عن الدرعية ليس وليد الخيال، ويذكرني أحياناً بوصف ابن بشر للعاصمة الوهابية. ولكن هيهات أن يكون الصايغ اطلع على «عنوان المجد». فهل أخذ عن كتاب آخر؟ إننا نستبعد هذا الرأي، إذ ليس بين المؤلفات التي بين أيدينا ما يثبت هذا الظن.

وأخيراً وإزالة للشكوك نعود إلى الكتاب الذي أرسل به عبدالله بن سعود إلى الدرعي بن شعلان يدعو للحضور إلى الدرعية. يرى أستاذنا الجاسر أن

الكتاب حرر (بأسلوب لايشك من قرأه بأنه مختلق) . ولعله على حق ، ولكن علينا أن نذكر أولاً : أن الكتاب موجه إلى شيخ بدوي لا يحسن الكتابة والقراءة ، وأنه من وجوه البيان أن يكتب المرء بأسلوب يكون على مستوى فهم المرسل إليه . وثانياً : أن الكتاب بقي في حوزة الدريعي ، أما الصايغ فإنه سجل في يومياته محتوى هذا الكتاب ثم صاغه من جديد بأسلوب بدوي يوم كتب مذكراته . والذي يهمننا هو المعنى – أي وصول الكتاب والدعوة للحضور إلى الدرعية – وليس المبني . ولكنه يعلمنا في الوقت نفسه أن الكتاب من غير ختم : (هذا من جملة عادات الوهابيين ، أنهم يبقون مكاتبتهم مفتوحة من غير ختم . وكان طول المكتوب نحو شبر ، وعرضه ثلاث أصابع ، وهذا من جملة نظام الوهابي أن يصغر مكاتيبه حتى تكون بصد مكاتيب العثماني وفرماناته الكبار) . وهذه الدقة في وصف الكتاب تزيل الشبهات وتفيد التاريخ .

أجل إن الصايغ كان يجمع به الخيال مما يثير الشكوك ويدعو إلى التحفظ . ولكن من يقرأ مذكراته بإمعان يلاحظ أن الخيال يخون صاحبها عندما يكون عرضة للأخطار . فكم من مرة أشرف على الموت ، كم من مرة نجأ بأعجوبة من مخالب الحُمام . أمّا في وصف مشاهداته فيخلد إلى السكون ، ويؤدي عمله بكل رصانة وأمانة .

إلا أن صاحبنا لم يكن مُنصفاً بحق الوهابية ، إذ كان مُتأثراً بالدعاوة العثمانية التي كانت تنظر إلى الإمام سعود نظرها إلى عدو الدولة والدين ، ولم يحجم الأثرak عن تدمير الدرعية وقطع رأس الإمام عبدالله كما هو معلوم . وهذه الدعاوة حملت الصايغ على الطعن بالوهابية والتنديد بها ، والتكلم عنها بكلام يدل على أنه يجهل تماماً أصول هذه العقيدة وأحكامها . ولكنه أنصف الإمام الوهابي بعد أن زار الدرعية ، وأبدى إعجابه به وبعلمه وفصاحته فوصفه مادحاً وأفاد بذلك القاري والتاريخ : (أمّا بخصوص ابن سعود فهو فصيح جداً متكلم ، ديوان حكي ، وعنده علماء عارفون بأمور ديانتهم ، وربما بلغك أيها القاري أن الوهابي كان أرسل قديماً عالماً مجادلاً للشام ، وغلب علماء الشام جميعهم . وهذا شيء مشهور عند كافة الناس . وحين كان يتكلم معي ويسألني كان عنده بعض العلماء ، فما فتح أحد منهم فَمَهُ ليقول كلمة واحدة . وبما أنه هو الذي كان يتكلم فلم يَجْرُؤُ أحدٌ

من الحاضرين أن يتكلم بشيء مأمّن غير إذنه . فبعد ذلك انفرط الديوان وذهب كل واحد إلى محله) (مخطوطة ١١٢/١).

إن الأمثلة التي قدمناها – وهناك غيرها – تدلُّ بوضوح على أن وصف الدرعية – كما جاء في مذكرات الصايغ – ليس وليدَ الخيال، ونراه يصور بدقة أسواق هذه المدينة، وعملتها وبساتينها وأحوال أهلها . ونحن نُردد ماقلناه سابقاً من أن الصايغ لم يكن حريصاً على الأمانة التاريخية، لأنه أراد باديةً بدءاً أن يكتب قصة رحلة، فَنَمَقَ وزاد، واتخذ أحياناً أسلوباً روائياً . وعلى الرغم من الأخطاء التي وقع فيها فإنَّ في كتابه من الفوائد الجمّة والأوصاف الدقيقة والمعلومات الهامة التاريخية والجغرافية والاجتماعية ما يجعله مرجعاً لكل من يدرس أحوال البادية وقبائلها أو يبيحُ عن الدعوة الوهابية . وإني أميل إلى تصديقه عندما يتحدث عن الدرعية لأن الشكوك التي أثارها هذه الرحلة تَصْمِحُ لمتى عرضناها على مَحَكِّ النقد السليم .

باريس: د. يوسف شلحد

المراجع :

- ١ – حمد الجاسر، نابوليون والدولة السعودية الأولى، العرب س ٢٣، ص ١٤٥ .
- ٢ – حمد الجاسر، العرب، س ٢٣ ص ١٥٠ .
- ٣ – وضع المؤلف الفرنسي في مطلع كل فصل من الكتاب جملة صغيرة مأخوذة من كتاب أو مرجع تاريخي، إلا أن باقي الفصل لعلاقة له بهذا المرجع . وقد يتبادر إلى ذهن القارئ أن قصة لقاء الصايغ بعد عودته من الدرعية بصاحبه لاسكاريس مأخوذة من محفوظات وزارة العلاقات الخارجية، مع أن لا أثر لها في هذه المحفوظات .
- ٤ – العرب، س ١٩، ص ٦٩٧ وما بعدها .
- ٥ – العرب س ١٩ ص ١٥٦ – ملاحظة : سقطت كلمة أبواب في هذا المقال .
- ٦ – (مانجان) تاريخ مصر، ج ٢، ص ١١٨ (بالفرنسية).
- ٧ – عبدالله فيليبي: (تاريخ نجد) ص ١٥٣ و ١٥٩، بيروت، المكتبة الأهلية .
- ٨ – حافظ وهبة: «الجزيرة العربية في القرن العشرين» ص ٢١٦، القاهرة، ١٩٤٦ .
- ٩ – «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب» ص ١٧٦ .
- ١٠ – بوركهارت: «رحلة إلى الجزيرة العربية» ج ٢، ص ٦٢ من الترجمة الفرنسية .
- ١١ – «لمع الشهاب» ص ١٧٨ .
- ١٢ – العرب، س ١٩، ص ٧١٩ وما بعدها .
- ١٣ – علي بن حسن الخزرجي «العقود اللؤلؤية» ج ٢، ص ١٢٤، تحقيق محمد بسيوني عسل، مصر، ١٩١٤ . إسماعيل الأكوخ «المدارس الإسلامية في اليمن» ص ١٩٤، هامش ١، منشورات جامعة صنعاء، ١٤٠٠هـ .

## دُجْنَا والثنية

ذكر بعض مؤرخينا القدامى أن دُجْنَا اسمٌ لعقبة مسلوكة بين مكة المكرمة والطائف، إلا أنهم لم يعينوا موقعها تعييناً بيناً ولم يربطوها بما حولها من الأماكن الشهيرة والأسماء المعروفة ليتمكن الباحث في عصرنا هذا من تحديد موقعها على ضوء ماهو معروف من تلك الأماكن، بل إن بعضهم أبدل الدال بالتاء وأسماها تجْنَا ومن هؤلاء الكتاب جمال الدين العبدري الشيبى إذ ضَمَّنَهَا بيتين من الشعر حيث يقول:

رأى صاحبي أثار وج فقال لي ترى هذه الأثار تسقط أو تُجْنَى  
فقلت له كلها هنيئاً فإنما أطايبها تجنى وتأتيك من تُجْنَا

ولكن أستاذي الكريم الشيخ حمد الجاسر حفظه الله ، أفادني في رسالة خاصة إلى صديقي وأستاذي الشيخ محمد سعيد حسن كمال بأنه اطلع في كتاب - «البحر العميق في العمرة والحج إلى بيت الله العتيق» - وهو من مخطوطات مكتبة الحرم الشريف لمؤلفه ابن الضياء الحنفي ، أن دجْنَا تسمى تجْنَا وأنها بجنب جبل طاد ، وعلى ضوء هذه الرواية اتضح لي الرؤية عن هذه العقبة ومكانها .

فطاد جبل معروف من القديم ، وقد ذكره القطبي في تاريخه «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» - وذلك عند حديثه عن مأثر السيدة زبيدة وعيون مكة المكرمة ، ويحسن هنا أن أورد ما ذكره قال : (وكانت هذه العين - يعني عين حنين - ترد إلى مكة ويتتفع بها الناس ، ومنبع هذه العين من ذيل جبل شامخ يقال له طاد - بالطاد المهملة والألف بعدها دال مهملة - من جبال الثنية ، من طريق الطائف ، وكان يجري الماء إلى أرض يقال لها (حُنَيْن) ليسقى به نخيل ومزارع مملوكة للناس ، وإليها ينتهي جريان هذا الماء ، وكان يسمى حائط حنين ، يعني بساتين حنين ، وهو موضع غزا فيه النبي ﷺ المشركين ، ويقال لتلك الغزوة غزوة حنين ، وخبرها مذكور في كتب سير النبي ﷺ ، فاشترت زبيدة هذا الحائط ، وأبطلت تلك المزارع والنخيل وشقت له القناة) إلى آخر ما ذكر .

فجبل طاد هذا لا يزال معروفاً إلى الآن، ويقع في الشمال الشرقي عن عقبة الثنية، بالغرب منها إلا أن العامة تؤنثه فتسميه (طادة) وعلى ضوء ماتقدم من نصوص ترجح عندي أن عقبة دجنا هي الثنية، لأنها كانت إحدى الطرق الرئيسية بين مكة والطائف إلى عهد قريب.

وأما دَحْنَا التي ظن بعض الباحثين أنها تصحفت عن دجنا فهي موضع آخر يقع في شمالي مزارع (رحاب) وهي بعيدة عن الثنية بعداً كبيراً، ويقع بينهما جبال ووهاد وقرى ومزارع ووديان كثيرة، ولكنني أعتقد أنها يقعان على خط مستقيم من الشرق إلى الغرب دحنا في شرقيه والثنية في غربيه.

طريق الثنية من الطائف: طريق الثنية الذي كان مسلوكاً إلى أمد غير بعيد، كان سالكه بعد خروجه من الطائف يتجه إلى الشمال الغربي حتى يصل مزارع (رحاب) ثم منه ينعطف إلى الغرب فيقطع وادي قرن من ثمة، ويرتقي سراة طويرق من ثقيف، فيمر على ريع يعرف بريع النَّجْد ثم يقطع وادي صَرْ، ويمر على قرية المُبَيَّرِز يجعلها عن يساره، ثم يسلك شعباً هناك يعرف – بالسَّيْعَاء – بالياء المثناة التحتية – ويخرج منه على قرية مملكة – بميمين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة – جاعلاً لها أيضاً عن يساره، ومنها طريق آخر يصعد إلى وادي المحرم، ثم الطائف لمن لم يرد أن يسلك طريق رحاب، وهذه المسميات جميعها في ديار طويرق، وبعد أن يتجاوز سالك هذه الطريق قرية مملكة يمر على مزارع للأشراف ذوي جازان تعرف بالشُّهْرَاء، والمسَلْمَة، وبعد تجاوزها يمرُّ بأسفل وادي الخليصة لطيورق، ومنه يخرج إلى شعب ضَبُّق يعرف بالزقاق، ومنه يصل إلى رأس الثنية وهي تقع في ديرة الأشراف ذوي جازان من آل أبي نُمي الثاني.

ويقع عن شمالي الثنية عقبة تعرف – بِتَنْضَبَة – بتاء مضمومة بعدها نون ساكنة، وضاد معجمة مضمومة وباء مفتوحة وهاء مربوطة – وعن جنوبها عقبة أخرى تعرف باسم – خُرُوب – بخاء معجمة مضمومة بعدها راء مضمومة ثم واو ساكنة فباء موحدة تحتية .

كان يسلك هذه العقاب بعض المخفّين من أهل تلك الناحية، وأمّا المثقلون فليس لهم مناص من سلوك طريق الثنية .

وطرق هذه العقاب جميعها تلتقي بأسفل عقبة الثنية بواد يسمى الأملح كانت به بئر يردّها من يسلك هذه الطرق .

وهذا الوادي غير وادي مُليح الذي مر به الرسول ﷺ في صعوده إلى الطائف بعد غزوة حنين ، فذلك يقع شرقي وادي قرن على طريق نخلة اليمانية وهذا يقع في اصدار جبال الثنية .

وبعد أن يتجاوز الدرب بئر الأملح ينحدر مع وادي جدعان – يدَعان قديماً – حتى يصل إلى مزارع الشرايع ، ومنها تفترق الطرق فمن أراد جعرانة تيامن ، ومن أراد عرفة تياسر ، ومن أراد مكة سلك الطريق العامة المارة بأعلام الحرم ، جاعلاً جبل حراء عن يمينه وبئر غينا عن شماله ، وهو ما يعرف اليوم عند أهل مكة بجبل الرخم .

هذا ما استطعت تدوينه عن الثنية وطريقها من الطائف إلى مكة المكرمة راجياً أن يجد فيه الباحث ما يفيد .

#### الطائف: الشريف محمد بن منصور آل عبد الله

العرب: لقد أوضح الأخ الشريف موقع ثنية تجنا ، وهذا اسم صحيح فصحيح ، ورد في كلام أبي سفيان بن حرب فيما نقله الأزرقى في «أخبار مكة» وورد بنصه [ «العرب» ص ٢٣ ص ٨٠٠ ] ومما تقدم يتضح أن دحنا غير تجنا ، ويبقى التفريق بين دَحْنا – بالحاء المهملة – ودجنا – بالجيم – ومعرفة المراد بكلام الفاكهي ، وأيهما التي مرَّ بها رسول الله ﷺ في ذهابه إلى الجعرانة ماراً بقرن المنازل فنخلة اليمانية – على ما ذكر الواقدي في «المغازي» .

ان دحنا – الواقعة بين رحاب وريحة – هي الواقعة على طريق قرن المنازل بخلاف (تجنا) الثنية – فهي منحرفة جنوباً حيث تنزل على وادي الصُّدر ، ثم على يدعان ( جدعان ) أعلى وادي الشرائع غرب جنوب قرن المنازل ونخلة اليمانية .

## دجنا غير دحنا

[ وكانت مجلة « العرب » قد نشرت س ٨ ص ٨٦٩ تفصيلاً وافياً عن ثنية دجنا (تجنا) وأوردت شواهد من أقوال العلماء وأشارت إلى الاختلاف بين دجنا ودحنا ، إلا أن أحد الأخوان أنكروا وجود دجنا - بالجيم (تجنا) مع النصوص الواردة عنها في أقدم كتابين في تاريخ مكة بين يدي الناس اليوم وهما كتابا الأزرقى والفاكهى . وقد نشر الأخ الشريف محمد بن منصور هذه الكلمة في جريدة « الندوة » بتاريخ ٢ جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ - في الموضوع - . ]

كنت قرأت في بعض المراجع ان - دُجنا - عقبة سالكة بين الطائف ومكة المكرمة وكانت مشهورة إلى القرن العاشر تقريباً ، حتى ان أحد شعراء مكة الشيخ جمال الدين الشيبى ذكرها ضمن بيتين له يتغنى فيها بفواكه الطائف وهي قوله :

رأى صاحبي أثار وج فقال لي  
ترى هذه الأثار تلقط أو تُجنى  
فقلت له كلها هنيئاً فإمّا  
أطايبها تجنى وتأتيك من تجنى

ولكنني قرأت مؤخراً في الجزء الثالث من « معجم معالم الحجاز » ص ٢٠٨ - لأخي وصديقي الأستاذ عاتق بن غيث البلادي ، بعد إيراده للبيتين المذكورين قوله : ( والصواب دحنا بالحاء المهملة ) ثم انه في تعريف دحنا أتى بما ذكره ياقوت في « معجم البلدان » وزاد بقوله : ( وبعد السماع وهذه النصوص القديمة فلا وجه للمقوي بأن اسمها تجنى أو دجنا ) . انتهى .

والحقيقة ان - دحنا - غير دُجنا - فدحنا منطقة واسعة تقع في شمالي مزارع رحاب ، بها آثار سدود وعين وعمارة قديمة ، يحدها من الغرب وادي قرن ومن الشرق مزارع رَيْجَة وحزومها ، ومن الشمال الحجرة المعروفة بحزيم فواز ومن الجنوب رحاب ، وقد قام بها في وقتنا الحاضر مزارع حديثة كثر تعتمد في سقيها على ما حفر بها من آبار ، وقد ذكرها ابن هشام في السيرة على طريق الرسول ﷺ عند رجوعه من حصار الطائف ولا زالت معروفة حتى الآن باسمها هذا .

وأما دُجنا أو تجنى - فهي عقبة مسلوكة بين مكة المكرمة والطائف وهي ما يعرف اليوم باسم الثنية وهي تقع في ديرة الأشرف الجوازين . ←



## فلبى : رحلاته في البلاد العربية

الكاتب الكريم إبراهيم يوسف الشتلة الذي نشرت « المجلة العربية » في عدد ذي القعدة ١٤٠٨هـ / تموز ١٩٨٨م له بحثاً بعنوان ( تاريخ الاكتشافات الأثرية في شبه الجزيرة العربية ) يظهر أنه رأى الموضوع من السعة بمكان بحيث يصعب معه التعمق فيه بحثاً ودراسة للوصول إلى حقائق مجهولة أو معروفة بحاجة إلى إيضاح ، فاكتمى بلمحات موجزة قد لاتشبع نهم القارئ ولا تمد الباحث بما قد يتوق لمعرفة .

→ والدليل على انها عقبة هو ما نقله العجيمي في « اهداء اللطائف » - ص ٥٣ - عن المرجاني عند ذكره لدجنا ( قال المرجاني وهي اسم عقبة دجنا بالجيم ويروى بالمهملة واليوم تعرف بتجنا بالثاء المثناة من فوق والجيم - سلكتها في آخر شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وسبع مئة وتحتها من جهة مكة وادي الطود ، ويقال له وادي الطاد وهو أول بلاد بني ريشة ) فهذا النص أكد انها عقبة تنزل على وادي الطاد - وزيادة لام التعريف هنا أعتقد انه وهم أو سبق قلم لأن الاسم الصحيح هو طاد بدون تعريف - وطاد جبل معروف يقع بقرب عقبة الثنية في الشمال الشرقي عنها ولازال معروفاً حتى الآن . والمرجاني أكد في نصه هذا انه سلكها بنفسه وانها تعرف بتجنى وانها تنزل على بلاد بني ريشة وبنو ريشة من هذيل ، وهم لازالوا في تلك الناحية حتى الآن .

وعلى ضوء هذا النص ظهر ان دجنا أو تجنى - عقبة بين مكة والطائف وأما دحنا فهي مخلاف من مخالف الطائف كما ذكر ياقوت في معجمه ، والمخلاف في عرف الأقدمين لا يطلق إلا على منطقة بها ضياع وقرى وعمارة . فمن هذا اتضح ان الاسمين ليسا محرفين من اسم واحد ولاهما لمسمى واحد . هذا ما أحببت ان أعقب به على ما قرأته في كتاب أخي وصديقي الأستاذ عاتق البلادي قاصداً التصويب والتصحيح خدمة لتاريخنا المجيد أرجو أن لا يضيق صدر أخي به ، وله مني كبير الحب وجزيل التقدير .

الشريف محمد بن منصور

والواقع ان الحديث عن تاريخ الاكتشافات الأثرية في شبه الجزيرة العربية قد أشبع بحثاً ، ومما ألف فيه كتاب « اكتشاف جزيرة العرب » للباحثة الفرنسية جاكلين بيرين الذي عرّبه الأستاذ قدرى قلعجي وكتبت مقدمته قبل عشرين عاماً ، وأعيد طبعه في ( منشورات الفاخرية ) في الرياض منذ عهد قريب فصدر في أكثر من ٤٣٠ صفحة .

إن الذي يقف عنده القارئ من بحث الأستاذ الشتلة ورود عبارات لا تتفق مع ما يتطلع إليه من معنى بالبحث عن حقائق ثابتة عن حياة أولئك الرحالين الذين أثروا هذا الموضوع بما قدموه من دراسات .  
وسأكتفي بإيراد مثال واحد على هذا :

١ - ص ٤٣ - : ( أما جون فليبي فقد حضر إلى الجزيرة العربية عام ١٩٣٧م وقام برحلته الشهيرة التي بدأها من ميناء جدة عبر عسير ونجران حتى الجنوب وشبوة وتريم في ظفار باليمن ) - كذا !! - .

ومعروف أن صلة فليبي بجزيرة العرب لم تبتديّ بعام ١٩٣٧م بل كانت قبل ذلك بفترة طويلة أقام خلالها فيها ، وألف بعض مؤلفاته ومنها كتابه « قلب الجزيرة العربية The heart of Arabia » الذي نشر سنة ١٩٢٣ وكان من مصادر الأستاذ أمين الريحاني في مؤلفه عن « نجد الحديث وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل » الذي ألفه في سنة ١٣٤٥هـ ( ١٩٢٧م ) .

وتاريخ قدوم فليبي إلى بلادنا ليس كما ذكر الكاتب سنة ١٩٣٧م بل كان في اليوم السابع عشر من تشرين الأول سنة ١٩١٥م حيث قدم من البصرة إلى البحرين ، ثم انتقل على ظهر زورق شراعي إلى ميناء العقير ، وسار إلى الاحساء ومنها اتجه إلى الرياض ، حيث اجتمع بالملك عبدالعزيز - رحمه الله - وقد فصل ذلك في كتابه « أيام بلاد العرب Arabian Days » الذي قام بتلخيصه الأستاذ خيرى حماد في كتابه « عبدالله فليبي قطعة من تاريخ العرب الحديث » الذي نشر في بيروت سنة ١٣٨١هـ ( ١٩٦١م ) .

وقد قام فلبني برحلات كثيرة ألف عنها مؤلفات منها « الربع الخالي » الذي صدر سنة ١٩٣٣م و« فتيات سبأ » ١٩٣٩م و« النجود العربية » ١٩٥١م .

أما الرحلة التي وصفها الكاتب بان فلبني بدأها من ميناء جدة عبر عسير ونجران فيظهر أنه يقصد تلك الرحلة التي قام بها في شهر ايار سنة ١٩٣٦م وأصدر عنها كتابيه « فتيات سبأ » ثم « النجود العربية » .

ولكن هذه الرحلة لم يبتدئها من ميناء جدة وإنما من بلدة السُّلَيْل في أسفل وادي الدواسر ، بعد انتهاء رحلته من الربع الخالي التي فصلها في كتابه « الربع الخالي The Empty Quarter » الذي صدر سنة ١٩٣٣م وقيامه بتلك الرحلة كان بتاريخ ١٤/٣/١٩٣١م كما ذكر في الفصل الأول من كتابه « النجود العربية » .

لفلبني رحلات أخرى لعل من أهمها « أرض مدين » الذي عرب خطأ باسم « مدائن صالح أو أرض الأنبياء » مع أنه لا صلة لهذا الكتاب بمدائن صالح .

٢ - ويعود الأستاذ إبراهيم الشتلة فيقول - ص ٤٤ - : ( في عام ١٩٥١م زار جون فلبني الجزيرة العربية مرة ثانية ووصل حتى حضرموت وجمع مايقرب من اثني عشرة الف نص عربي قديم ) . . . الخ . ولم يذكر الكاتب الكريم من اين استقى هذا ، ولم أر في مؤلف خيري حماد عن فلبني مايبوضحه ، ولكنني أراه تكراراً للرحلة الأولى التي أشار إليها الكاتب ، والتي سجل فيها الرحالة مشاهداته في كتابيه الأنفي الذكر ويتضح هذا من استعراض أسماء مؤلفاته :

من مؤلفات فلبني :

- ١ - Arabia of the Wahhabis طبع في لندن سنة ١٩٢٨م ويقع في ٤٢٢ صفحة .
- ٢ - Forty Years in the Wilderness طبع في لندن سنة ١٩٥٧م ويقع في ٢٨٦ من الصفحات .
- ٣ - Saudi Arabia طبع في لندن سنة ١٩٥٥م ويقع في ٣٩٣ صفحة .
- ٤ - Arabian high lands طبع في نيويورك سنة ١٩٧٦م وبلغت صفحاته ٧٧١ .
- ٥ - Arabian Jubilee طبع في لندن سنة ١٩٥٤م في ٢٨٠ صفحة .
- ٦ - The Heart of Arabia طبع في نيويورك سنة ١٩٢٣م ويقع في جزئين
- ٧ - Nijran inscriptions طبع في لندن سنة ١٩٤٤م في ١٢٩ صفحة .

←

## حَجْر: (وادي السائرة): قراه وسكانه

تنحدر فروع وادي حجر من (قرا) بني عبدالله الواقع بامتداد الحرة من الناحية الغربية ، وأشهر تلك الفروع : وادي الصدارة ، ووادي حَم ، ووادي الرِّيان - غير ريان الفُرع - ووادي السَّيف - بفتح السين - ووادي المِلحة . ويتجه الوادي شمالاً ثم ينحرف غرباً حتى يلتقي بوادي مرَّ (وادي رابغ) وبعد الالتقاء يلتقي بوادي نَدَا .

ويقع حوض وادي حجر في أغوار تهامة بين وادي الأكلح وبين وادي قديد ، غرب الطريق الحديث السريع وشرقاً عن مدينة رابغ بحوالي تسعين كيلاً . ووادي حجر من أغنى الأودية في تهامة بالمياه والنخيل والزراعة وفيه أكثر من مئة بئر قديمة وحديثة ، وفيه عشر عيون ، اندثر منها أربع ، ويجري منها ست إلى هذا التاريخ وهذا بيان أسماء تلك العيون :

- ١ - عين الجُوبة .
- ٢ - عين البيار (الآبار) .

- 
- ٨ - Three new inscriptions from Hadhramaut طبع في لندن سنة ١٩٤٥م في ١٣٣ صفحة .
- ٩ - the Recent history of Hijaz طبع في لندن سنة ١٩٢٥م في ١٧ صفحة
- ١٠ - the Empty Quarter طبع في لندن سنة ١٩٣٣م في ٤٣٣ صفحة .
- ١١ - Sheda' s daughters طبع في لندن سنة ١٩٣٩م ويقع في ٤٨٥ صفحة .
- ١٢ - the Queen of Sheba طبع في لندن سنة ١٩٨١م في ١٤١ صفحة .
- ١٣ - A Pilgrim in Arabia طبع في لندن سنة ١٩٤٦م في ١٩٨ صفحة .
- ١٤ - Arabia طبع في لندن سنة ١٩٣٠م ويقع في ١٩٨ صفحة .
- ١٥ - Aradian days طبع في لندن سنة ١٩٤٨م في ٣٣٦ صفحة .
- ١٦ - the land of Midian طبع في واشنطن سنة ١٩٥٥م في ٢٨٦ صفحة .
- ١٧ - Arabian oil Ventures طبع في واشنطن سنة ١٩٦٤م في ١٣٤ صفحة
- ١٨ - the backgrond of Islam طبع في الاسكندرية سنة ١٩٤٧م في ١٥٢ صفحة .

حمد الجاسر

- ٣- عين المازنية .
- ٤- العين الخرماء .
- ٥- عين خيف السوق نسبة إلى سوق قديم كان عليها .
- ٦- عين العمري .
- ٧- عين الزبيري نسبة لصاحبها الزبير بن عزيز بن وائل من بني عزيز .  
والذي يقول فيه القائل :
- تلقى شمس الرحيمي      والزبيري مقدي الأظعان
- ٨- عين يسير .
- ٩- عين راين .
- ١٠- عين السليمية .
- يحتوي وادي حجر اليوم على ( ٣٥ ) قرية وهي :
- ١- الأنبعة .
- ٢- الجوبة .
- ٣- البيار ( الآبار ) وبها عدة مرافق ، وبها مقر رئيس قبيلة زباله بن ذكوان .
- ٤- المازنية وبها بعض المرافق ومقر الحاكم الإداري ومقر رئيس قبيلة بني يزيد  
- من مزينة .
- ٥- جُلَيْلَة .
- ٦- الدَّف .
- ٧- خيف السوق .
- ٨- أبو فُلَيْح .
- ٩- الزُّوراء ( تصغير زوراء ) .
- ١٠- العمري .
- ١١- المَرْخَة .
- ١٢- القُصارية وبها مقر رئيس قبيلة بني يسلم .
- ١٣- الزبيري .
- ١٤- يسير .
- ١٥- رَاين ( بالياء المثناة التحتية بعدها نون ) .
- ١٦- أم العظام .
- ١٧- الحشيفات .

- ١٨ - القُوبِلَات .  
 ١٩ - السُّلَيْمِيَّة .  
 ٢٠ - عِنْبُ .  
 ٢١ - الحَرَّاج .  
 ٢٢ - مُغَيْسِل .  
 ٢٣ - المَجْرَمَة .  
 ٢٤ - أَبُو لَصْفَة ( من اللَّصَف نوع من النبات ينبتُ في أطوار الجبال ) .  
 ٢٥ - عَصَلَة .  
 ٢٦ - الشاروق .  
 ٢٧ - الدَّوَّارَة .  
 ٢٨ - مَدُّسُوس .  
 ٢٩ - العَلْب .  
 ٣٠ - الحَلَقَة ( يَأْسَكَان اللّام ) .  
 ٣١ - الهَدْبَة .  
 ٣٢ - المحطّة .  
 ٣٣ - اللُّصَيْب .  
 ٣٤ - يَنَاعِم .  
 ٣٥ - الملقا ، وهو التقاء وادي مرّ بوادي حجر .

سكان وادي حجر في هذا العهد :

- ١ - قبيلة بني يزيد بن عبد المازني وتتفرع إلى أربعة أفعاذ :  
 (أ) فخذ الشراب ومنهم القشاردة وفيهم الرئاسة لابن حُضَيْض .  
 (ب) المزارقة ودخل فيهم بالحلف المدني من الجلاس من عنزة .  
 (ج) الحستان .  
 (د) المخالدة .  
 وينطوي في مسمى بني يزيد بحكم الجوار والمصاهرة : المراعشة من بني عمر  
 من حرب .. وتتفرع المراعشة إلى ثلاث أسر :  
 (أ) ذوي صمعون .  
 (ب) ذوي إمام .  
 (ج) الجعادين .

٢ - قبيلة بني يسلم من مزينة وهم الآن معدودون من حرب ويتفرعون إلى فرعين :

(أ) المناقيش وفيهم رئاسة أسلم ( لابن طما ) .

(ب) الحوايصة ، ويلحق بهم بعض الشيوخ أهل البرزة .

٣ - قبيلة زُبالة بن ذكوان ، ويرجع نسبهم إلى قبيلة سليم بن منصور وتتفرع قبيلة زُبالة إلى خمسة أفخاذ : وهم من قبيلة حرب :

(أ) النجاجير وفيهم الرئاسة لابن شويش ، وأبناء عمهم ( النجاجير ) في ساية من بني سليم .

(ب) الحَمْدَة .

(ج) الطوارشة .

(د) النَّحْلَان .

(هـ) الكراعنة .

٤ - بعض من بني عبدالله من قبيلة مطير :

(أ) الصَّوَاغَة من القمشان من الشلالحة من بني عبدالله .

(ب) العساسيف من بني عون من بني عبدالله .

(ج) العزَازِيت ( التحوت ) من بني عزيز ، سُمُّوا بذلك لأن منازلهم تحت جبال السراوات بينما قبيلتهم الأم في مرتفعات القَرَا وفي منطقة المهد .

#### الآثار الموجودة في وادي حجر :

١ - حصن المازنية ، وهذا الحصن قصر كان مقاماً على قمة جبل صغير يشرف على عدة قرى ومنازل وتهدمت اطلاله وبقي منه مايدل عليه إلى اليوم .

٢ - قلعة ابن جبرين شيخ بني عون من بني عبدالله من مطير ، التي تقع على مرتفع من الحرة تشرف على منازل بني عبدالله كان ينزلها في فترة صرام النخيل من كل عام .

٣ - قلعة المراعشة المقامة على جبل في موضع يسمى شعب المراعشة ، وهاتان القلعتان قائمتان إلى هذا التاريخ .

هذا بالإضافة إلى أربعة حصون قامت بنائها الدولة التركية في وادي حجر وهي حصن عُفَيْر، وتغير اسمه فيما بعد باسم قلعة مُجَمَّلَة ، والحصن الثاني في قرية البيار . والثالث حصن الزبارة في قرية العمري اجترفه السيل فيما بعد . والرابع حصن أم العظام في قرية أم العظام ، ويعتقد ان بناء هذه الحصون في القرن العاشر الهجري على أثر حروب قامت بين أهل وادي حجر من مزينة وبين بني عزيز بن وائل ومعهم البعض من قبيلة بني عبدالله ، ويقول الشاعر المزيني في تلك الحرب بحضرة قائد الحملة التركية بعد أن مُنُوا بالهزيمة هم ومن معهم من عساكر الترك :

يامصطفى لا واحلالاه يارجالنا      بعد ضللونا في البيوت الضلائل  
جوننا وجيناهام وحدونا على العُضَا      بدهم الفرنج وموشيات الفتائل<sup>(١)</sup>  
لاعادت الجدعا ولاعادوا أهلها      ولعل مايطرى عزيز بن وائل<sup>(٢)</sup>  
فرد عليه شاعر آخر على لسان مصطفى بقوله :

هذى علوم مايصيرن كلهن      وان كان صارت ياعلوم الهوايل  
ثلاث غَزِيَّات انا السلى غذيتهن      لو كان صاير علم جَنِيَّ جقائل<sup>(٣)</sup>

الرياض : ماجد بن طاهر المطيري

[ الحواشي ] :

- (١) العضا : المكان الوعر .
- (٢) الجدعا : ابل العزازيت احتجزها قائد الحملة التركية بعد أن وردت على عين خيف السوق . عزيز بن وائل يقال انه شيخ وفارس بني عزيز في ذلك الوقت .
- (٣) الغَزِيَّات : خيل سباق مخصصة لرد الخبر السريع أثناء سير المعارك . جني : جاءت إلي .



# مِنِ الضَّالِّعِ مِن مَعْجَمِ الشُّعْرَاءِ لِلْمَرْزُبَانِيِّ

وأحسن أستاذنا الجليل الدكتور إبراهيم السامرائي صنعاً بتتبع المظانِّ في المؤلفات لجمع ما فقد من كتاب «معجم الشعراء» للمرزباني حيث عثر على مجموعة من تراجم الشعراء تبلغ ثمانيا وخمسين ومثني ترجمة ، من مصادر سماها ، ثم نشرها في كتاب أحف به الباحثين .

- ١ -

ولقد تمتيت أن أستاذنا أطلع على مخطوطة كتاب «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار» ، في أنساب الصحابة ورواة الآثار» للعالم الأندلسي عبدالله بن علي اللخمي الرشاطي ، المتوفى سنة اثنتي وأربعين وخمس مئة ، ولهذا الكتاب مختصران أحدهما في مكتبة الأزهر لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الإشبيلي ، والثانية في مكتبة عاشر أفندي رئيس الكتاب ، اختصار اسماعيل بن إبراهيم البليسي ، والبليسي هذا جمع بين كتاب «اللباب في الأنساب» لابن الأثير ، وكتاب الرشاطي ، وقد تصفحت كتاب البليسي ، فرأيت الرشاطي ينقل عن «معجم الشعراء» ومن أمثلة ذلك ما ذكره في رسم (الزُهَيْرِي) ونصه : وفي طيء زهير بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء .

قال ابن الكلبي منهم الجرنفش بن عبدة الشاعر .

وقال أبو عبدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني في «معجم الشعراء» له :  
بدل عبدالله سلاما كذا ، ثم قال : الزهيري من طيء ، وأحسب أن اسمه هذا لقب ، وهو القائل :

ومن الجواء درار عينك بدلت  
كانت تنام إلى رجال أصبحوا  
سُهِدَ الهُموم فما تُريد غرارا  
تحت القبور أعفَّة أبرارا  
غَمَزَ الرجالُ حَدِيدَتِي لفراقهم  
فَوُجِدْتُ لاقِصْفًا ولا خَوَّارًا

ذُهِبُوا وَسَرَ حَلَّتْ (؟) الْعَدَاوَةُ بَعْدَهُمْ لَيْتَ الْقُبُورِ تُخْبِرُ الْأَخْبَارَا  
أَبْنِي الْجُرْنَفَشِ إِنْ بَكَرًا أَصْبَحُوا مُتَعَاوِنِينَ عَلَيْكُمْ أَنْصَارَا  
ولا يعدم المتتبع الباحث في هذا الكتاب تراجم أخرى ، فأنا لم أعن بالبحث  
عما فيه من ذكر لكتاب « معجم الشعراء » .

- ٢ -

وعلى ذكر كتاب أستاذنا « من الضائع من معجم الشعراء » لمحت في  
(ص ٩٢) : عبدالله بن سبرة الجُرْشِي - مضبوطاً بالحركات - بضم الجيم  
المعجمة - ومثل هذا ورد في « الإصابة » لابن حَجَرٍ في ترجمته ، نقلاً عن  
الهجري ، وتلك الترجمة في القسم الثالث من حرف العين ، ولكن ابن حَجَرٍ  
ترجمه ترجمة أخرى في القسم الثاني من باب العين في كتاب « الإصابة » نفسه نقلاً  
عن « الأمالي » للقالبي ، وورد الاسم في هذه الترجمة ( الحرشي ) بالحاء المهملة ،  
وكذا وقع في « الأمالي<sup>(١)</sup> » إلا أن محقق الكتاب قال : إنه منسوب إلى موضع في  
اليمن . والواقع أن كلمة الجرشي - بالجيم - خطأ ، وقول محشي « الأمالي » إنه  
منسوب إلى موضع في اليمن خطأ أيضاً ، فالموضع الذي يعنيه هو ( جُرْش )  
بالجيم المضمومة . وأن الصواب ما ذكره ابن قُتَيْبَةَ في كتاب « المعارف<sup>(٢)</sup> » من أنه  
من بني الحُرَيْشِ بن كعب ، وإذْنُ فهو الحُرْشِي - بالحاء المهملة المفتوحة - وقد  
حدث تصحيف هذه النسبة لعبدالله بن سبرة في كثير من المؤلفات المطبوعة .

- ٣ -

ولا يزال التصحيف بِلِيَّةِ الْبَلَايَا في الأسماء العربية ، بل في الكلمات بصفة  
عامة ، ومن ذلك ماورد في كتاب أستاذنا السامرائي في الصفحة الـ ( ٦٤ ) بما  
هذا نصه : ( ٩٥ - رُشِيدُ بن رِيضِ العُدْرِي : ذكره المرزباني وقال : مخضرم  
وهو القائل في مُحْرَزِ بنِ الْمُكْعَبِ الضَّبِّي :  
لَقَدْ زَرَقْتُ عَيْنَاكَ يَا ابْنَ مُكْعَبٍ كَمَا كُلُّ ضَبِّيٍّ مِنَ اللَّؤْمِ أُرْزَقُ  
قال : وله أشعار في يوم الشياطين ، وهو يوم كان لبكر بن وائل على بني تميم ،

في عهد رسول الله ﷺ - « الاصابة » - ٢٢١/٢ - انتهى .

وفي هذه السطور القليلة تصحيف شنيع في ثلاث كلمات غيّرت المعاني :

١ - الكلمة الأولى : ( ربيض ) وصواب هذا الاسم ( رَمِيض ) بالميم بدل الباء ، قال في « القاموس وشرحه » - رسم ( رمض ) - ورشيد بن رميض مصغّرَيْن - : شاعر ، نقله الصاغاني قلت : وهو من بني عَنَزِ بن وائل ، أو من بني عَنَزَةَ . انتهى .

وجملة قلت للشارح مرتضى الزبيدي . وانظر « خزانة الأدب » ج ٧ ص ١٤١ .

٢ - الكلمة الثانية : ( العذري ) صوابه ( العَنَزِي ) بفتح النون منسوباً إلى عَنَزَةَ بن أسد بن ربيعة لا إلى عَنَزِ بن وائل كما ورد في أول كلام صاحب « تاج العروس » ، يدل على هذا اشتراكه في يوم الشَّيْطَانِ ، وهو يوم كان لبكر بن وائل ومعهم عَنَزَةُ ، لا عَنَزِ بن وائل ، فعنزة هي التي انتقلت فروعها مع بني وائل ، ودخلت فيهم كما ذكر ذلك البكري في « معجم ما استعجم » في المقدمة إذ قال : وانتشرت بكر بن وائل وعَنَزَةُ وضبيعة باليامة فيما بينها وبين البحرين إلى أطراف سواد العراق - إلى آخر ما ذكر - .

أما عَنَزِ بن وائل فقد اتجهوا إلى جنوب الجزيرة ، وجاوروا وخالطوا القبائل القحطانية .

٣ - الكلمة الثالثة : ( يوم الشياطين ) الصواب ( يوم الشَّيْطَانِ ) وهما موضعان لايزالان معروفين ، وإحدهما شَيْطٌ ، ويقعان في أسفل الصَّحَّان ، وقد حددتهما في قسم المنطقة الشرقية من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » ، ومن شعر رشيد بن رميض في يوم الشَّيْطَانِ قوله من قصيدة طريفة :

فَمَا كَانَ بَيْنَ الشَّيْطَانِ وَلَعْلَعٍ لِنَسْوَتِنَا إِلَّا مَنَاقِلُ أَرْبَعُ  
فَجِئْنَا بِجَمْعٍ لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ يَكَادُ لَهُ ظَهْرُ الْوَرِيْعَةِ يَضْلَعُ

فأجابه مُحَرَّرُ بنِ المُكْعَبِرِ الضُّبِّيُّ :

فَخَرَّتْ بِيَوْمِ الشَّيْطَانِ وَغَيْرِكُمْ      يَضْرُ بِيَوْمِ الشَّيْطَانِ وَيَنْفَعُ  
وَجِئْتُمْ بِهَا مَذْمُومَةً عَنَزِيَّةً      تَكَادُ مِنَ اللَّؤْمِ الْمُبِينِ تَضْلَعُ

وانظر « النقااض » - ص ١٠٢٠ .

وورد اسم رشيد في « معجم ما استعجم » - : (رويشد) :

والوريدة : أرض واسعة واقعة شرق الشَّيْطَانِ ، لاتزال معروفة .

إن استاذنا الجليل الدكتور السامرائي عول على مطبوعتين من كتاب « الإصابة » احدهما قديمة وهي مطبوعة في مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨ هـ ، والثانية مطبوعة حديثة وهي مطبعة نهضة مصر التي حققها الأستاذ علي محمد البجاوي - رحمه الله - وترجمة رشيد فيها وردت في القسم الثالث - رقمها في الأولى ٢٧٣٩ وفي الثانية ٢٧٤١ - .

وما نقله استاذنا الدكتور السامرائي ، هو نصٌ مافي المطبوعتين سوى كلمة (الشياطين) فقد صححت في المطبوعة الثانية فوردت (الشَّيْطَانِ) .

- ٤ -

ورأيت في إحدى الحواشي<sup>(٣)</sup> مانصه : خازمُ اسمٌ وادٍ . وأنشد المرزُبَانِيُّ  
للرَّقَاصِ الكَلْبِيِّ - واسمه خَيْمَةٌ :

حَمَلَتْ عَلَى الرَّقَاصِ حَمَلًا وَلَمْ يَكُنْ      لِيَحْمِلْهُ مَادَامَ يَذْفَعُ خَازِمُ

انتهى مافي الحاشية . وفي كتاب « نسب معد واليمن الكبير<sup>(٤)</sup> » لابن الكلبي  
في نسب كلب : وَعَدِيُّ بنِ غُطَيْفَ بنِ تُوَيْلِ الشَّاعِرُ ، وابنه جُشْمُ - وهو  
الرَّقَاصُ - وهو الذي يقول لمسعود بن بَحْرِ الرَّهْيَرِيِّ :

حَمَلَتْ عَلَى الرَّقَاصِ ثُقْلًا وَلَمْ يَكُنْ      لِيَحْمِلْهُ مَادَامَ فِي النَّاسِ حَازِمُ

انتهى . وَفَرَقَ بَيْنَ رِوَايَتِي الْبَيْتِ .

وفي كتاب « اقتباس الأنوار » للرشاطي<sup>(٥)</sup> : وحكى أبو عبدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني أن عمرو بن عدي الخصفي ولقبه الكيذبان شاعر جاهلي ، وسمي الكيذبان لأنه لقيه جيش فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا وأصحاب لي خرجنا نريد الغارة ، قالوا : وكم أنتم ؟ قال : إذا كنا ومثلنا ومثل نصفنا كنا كذا وكذا ، فشغلهم بالحساب ، ومرّ على وجهه فاملس منهم فسمي الكيذبان .

وقد أورد استاذنا السامرائي في الكتاب ترجمة جندب بن عمار - ص ٤٢ - نقلاً عن « الإصابة » لابن حجر ، ولكن يلاحظ على هذه الترجمة وكأن ابن حجر نقلها عن الرشاطي :

١- أنه لم يصل نسب جندب إلى قبيلته كما فعل الرشاطي فيما نقله عن المرزباني ، فقد عدّه من بني لأم من طيء ، وأوصل نسبه هناك .

٢- ورد البيت الثالث من أبيات جندب هذا مخالفاً لما أورده أستاذنا ، فقد جاء بهذا النص :

لو يضرب الطنبور تحّت جرائها زَجَلًا أَجَشُّ إِذَا ترنم جُنَّتْ  
وتحية من أعماق القلب لأستاذنا الجليل السامرائي .

حمد الجاسر

[ الحواشي ] :

- (١) ج ١ ص ٤٧ طبعة دار الكتب .
- (٢) ص ٩٠ طبعة دار المعارف بمصر - تحقيق الأستاذ ثروت عكاشة .
- (٣) مخطوطة (مكتبة الأزهر) من كتاب « معجم ما استعجم » رقم (٢٦٢) - ج ٢ ص ٣٠ - .
- (٤) ج ٢ ص ٥٧٥ تحقيق الدكتور ناجي حسن .
- (٥) مخطوطة المكتبة العامة في تونس .

## ما تفرق لفظه وافترق مسماه

### من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

- ٥٦ -

#### ٢٥٤ - باب حُرْفٍ ، وَجُرْفٍ (١)

أَمَّا الْأَوَّلُ : - بَعْدَ الْحَاءِ الْمَضْمُومَةِ رَاءً سَاكِنَةً وَأَخْرَجُهُ فَاءً - : رُسْتَاقُ حُرْفٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْأَنْبَارِ ، يُنسَبُ إِلَيْهَا أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ سَهْلٍ بْنِ كَثِيرِ الْوَشَا الْحُرْفِيُّ ، حَدَّثَ عَنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ عَلِيَّةَ ، وَيَزِيدَ بْنِ هَارُونَ ، وَحَجَّاجِ بْنِ مُحَمَّدٍ . رَوَى عَنْهُ ابْنُ السَّمَّاكِ ، وَأَبُو بَكْرِ الشَّافِعِيُّ .

وَأَبُو سَعِيدِ الْحَسَنِ بْنِ جَعْفَرِ الْحُرْفِيِّ ، حَدَّثَ عَنْ أَبِي شُعَيْبِ الْحَرَّانِيِّ وَغَيْرِهِ (٢) .

وَأَمَّا الثَّانِي : - بِضَمِّ الْجِيمِ وَالرَّاءِ - : مَوْضِعٌ قُرْبَ الْمَدِينَةِ ، جَاءَ ذِكْرُهُ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ (٣) .

(١) عِنْدَ نَصْرِ فِي كِتَابِ الْجِيمِ : (بَابُ الْجَوْفِ ، وَالْحُرْفِ ، وَالْجُرْفِ ، وَالْحُرْفِ) .

(٢) لَمْ يَزِدْ نَصْرٌ عَلَى قَوْلِ : (وَأَمَّا بِضَمِّ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ : رُسْتَاقُ حُرْفٍ بِالْأَنْبَارِ ، وَأَيْضًا : آرَامٌ سُودٌ مُرْتَفَعَاتٌ أَظْهَرَهَا فِي بِلَادِ سُلَيْمِ) .

وَأُورِدَ يَاقُوتٌ فِي «المعجم» - بَعْدَ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ - : وَغَيْرُهُمَا ، رَوَى عَنْهُ ابْنُ السَّمَّاكِ ، وَأَبُو بَكْرِ الشَّافِعِيُّ ، وَمَاتَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ٢٧٨ - ثُمَّ أُورِدَ كَلَامُ نَصْرِ عَنِ الْأَرَامِ بِلَفْظِ : قَالَ نَصْرٌ : أَحْسَبُهَا فِي مَنَازِلِ بَنِي سُلَيْمِ . وَلَمْ يَزِدْ . وَفِي «الأنساب» ١٢٧/٤ - بَعْدَ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ - : رَوَى عَنْهُ أَبُو الْحَسَنِ عَمْرُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَشْثَانِيُّ وَأَبُو عَمْرٍو بْنُ السَّمَّاكِ ، وَأَبُو بَكْرِ الشَّافِعِيُّ ، ثُمَّ ذَكَرَ الْآخِرَ الْمُنْسُوبَ إِلَى حُرْفٍ ، وَأَطَالَ عَنْهُ وَقَالَ : مَاتَ فِي رَجَبِ سَنَةِ ثَمَسٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ . وَالرُّسْتَاقُ : - عَلَى مَا ذَكَرَ يَاقُوتٌ فِي مُقَدِّمَةِ «المعجم» - : كُلُّ مَوْضِعٍ فِيهِ مَزَارِعٌ وَقُرَى ، وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ لِلْمَدُنِ كَالْبَصْرَةِ وَبَغْدَادِ ، فَهِيَ عِنْدَ الْفَرَسِ بِمَنْزِلَةِ السُّوَادِ عِنْدَ أَهْلِ بَغْدَادِ . وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ فَارِسِيَّةٌ .

وَالْأَنْبَارُ هُنَا عَلَى مَا فُهِمَ مِنْ كَلَامِ صَاحِبِ «بُلْدَانِ الْخِلافةِ الشَّرِيعَةِ» - ١٧ - مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ عَلَى الْفُرَاتِ فِي خَطِّ عَرْضِ بَغْدَادِ غَرْبِيَّةٍ ، أَكْبَرُ الْمَدُنِ الْأَهْلِيَّةِ فِي إِقْلِيمِ الْعِرَاقِ فِي أَيَّامِ بَنِي الْعَبَّاسِ .

(٣) عِنْدَ نَصْرِ : - وَأَمَّا بِضَمِّ الْجِيمِ وَالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ - : قَرِيبٌ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَأَيْضًا : بِالْحَيْرَةِ حَيْثُ مَنَازِلُ آلِ النَّذِيرِ ، وَأَيْضًا : قُرْبَ مَكَّةَ ، بِهَا كَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ سُلَيْمِ وَهَذِيلِ . انْتَهَى .

الْجُرْفُ - تُضَمُّ رَاؤُهُ وَتُسَكَّنُ فِي الْأَصْلِ وَصُفِّ لِمَكَانٍ الَّذِي جَرَّقَتْهُ السُّيُولُ أَوْ الرِّيَاحُ مِنْ جَوَابِ الْأُودِيَةِ أَوْ الْجِبَالِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْإِمْكِنَةُ الَّتِي بِهَذِهِ الصِّفَةِ كَثِيرَةٌ ، ثُمَّ أُطْلِقَ الْوَصْفُ عَلَمًا لِمَوَاضِعَ ، ذَكَرَ مِنْهَا يَاقُوتٌ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَقْرُبُ الْمَدِينَةَ قَائِلًا : عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ نَحْوِ الشَّامِ ، كَانَتْ بِهَ أُمُوالٌ =

وأيضاً: مَوْضِعُ قُرْبِ مَكَّةَ كَانَتْ بِهِ وَقَعَةُ بَيْنَ هَذَيْلٍ وَسُلَيْمٍ (٤).

= لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ ، وَفِيهِ بَيْتُ جَسَمٍ ، وَبَيْتُ جَمَلٍ ، قَالُوا : سُمِّيَ الْجُرْفُ لِأَنَّهُ تَبَعًا مَرُّ بِهِ فَقَالَ : هَذَا جُرْفُ الْأَرْضِ ، وَكَانَ يُسَمَّى الْعَرْضُ ، وَفِيهِ قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ :

إِذَا مَا بَطَنَّا الْعَرْضَ قَالَ سَرَاتْنَا : عَلَى مَ إِذَا لَمْ تَمْنَحِ الْعَرْضَ نَزْرَعُ!<sup>١</sup>  
وَذَكَرَ الْجُرْفُ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ ، قَالَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيُّ :

وَلَنَا بَيْتٌ رَوَاءَ جَمَّةٍ مَنْ يَرِدُهَا بِإِنَاءٍ يَنْغَرِفُ  
كُلُّ حَاجَاتِي بِهَا قَضَيْتُهَا غَيْرَ حَاجَاتِي عَلَى بَطْنِ الْجُرْفِ

وَأَطَالَ السُّمَّوْدِيُّ فِي مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِ «وَفَاءِ الْوَفَاءِ» الْحَدِيثَ عَنِ الْجُرْفِ وَمَا قَالَ فِي تَحْدِيدِ الْعَقِيقِ - ١٠٣٩ - : أَنَّ الْجُرْفَ مَا بَيْنَ مَحْجَةِ الشَّامِ إِلَى الْقَصَاصِينَ - أَيِ أَصْحَابِ الْقَصَبَةِ - وَأَنَّ الْعَرْضَةَ مَا بَيْنَ مَحْجَةِ بَيْنَ إِلَى مَحْجَةِ الشَّامِ ، وَأَنَّ الْعَقِيقَ مِنْ مَحْجَةِ بَيْنَ فَازْهَبَ بِهِ صُعُوداً إِلَى الْعَقِيقِ . وَذَكَرَ - ١١٧٥ - أَنَّ الْمَقْدَادَ مَاتَ بِالْجُرْفِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَحُمِلَ عَلَى رِقَابِ الرِّجَالِ حَتَّى دُفِنَ بِالْبَقِيعِ ، وَأَنَّ الْعَرْضَةَ الْكُبْرَى الَّتِي فِيهَا بَيْتُ رُومَةَ تَخْتَلِطُ بِالْجُرْفِ فَتَسْبَعُ . وَنَقَلَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَقْطَعَ الرُّبَيْرَ الْجُرْفِ ، وَأَنَّ عُمَانَ خَلَجَ خَلِيجًا حَتَّى صَبَّهَ فِي بَاطِنِ بَلَدٍ مِنَ الْجُرْفِ ، اسْتَعْمَلَ فِيهِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنْ سَبِيٍّ بَعْضُ الْأَعَاجِمِ . وَجُمِلَ الْقَوْلُ أَنَّ الْجُرْفَ مُتَّسِعٌ مِنَ الْأَرْضِ جَرْفَتَهُ السُّيُولُ الْمُنْحَدِرَةُ مِنَ الْعَقِيقِ وَغَيْرِهِ ، وَقَدْ أُخْبِرَ ذَلِكَ الْمَكَانَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ فَحَفِرَتْ فِيهِ الْأَبَارُ ، وَزُرِعَتْ أَرْضُهُ ، وَكَانَ لِكِبَارِ الصُّحَابَةِ فِيهِ أَمْلَاكٌ ، وَعُرِفَ بِاسْمِ الْعَرْضِ كَمَا اسْتَشْهَدَ يَأْقُوتُ بِشِعْرِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ الصُّحَابِيِّ وَنَصَّهُ - عَلَى مَا فِي «السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ» لِابْنِ هِشَامٍ - ١٣٣/٢ :

وَلَنَا ابْتَنَوْا بِالْعَرْضِ قَالَ سَرَاتْنَا : عَلَامَ إِذَا لَمْ تَمْنَحِ الْعَرْضَ نَزْرَعُ  
وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَمَنْ مَعَهُمْ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ نَزَلُوا اسْفَلَ الْجُرْفِ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي ، وَهُوَ الْعَرْضُ ، وَالْعَرْضُ لُغَةُ الْوَادِي الَّذِي تَنْشُرُ فِيهِ الْقَرَى وَالزُّرُوعَ ، وَخَلَطَ الْبَكْرِيُّ بَيْنَ الْجُرْفِ هَذَا وَبَيْنَ الْجُرْفِ الَّذِي فِي بِلَادِ هَذَيْلٍ ، وَنَقَلَ عَنِ الرُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ أَنَّ الْجُرْفَ عَلَى مِيلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَلَعَلَّ الْمَقْصُودَ هَذَا مَاوَالِي الْمَدِينَةِ مِنْهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَمْتَدَّ عُمَرَانُ الْمَدِينَةَ فِي عَضْرَتِنَا فَيَشْمَلُ جَانِبًا مِنَ الْجُرْفِ وَيَتَجَاوَزُهُ إِلَى صَفَةِ الْوَادِي الْعَرَبِيِّ ، إِذْ أَدْفَى الْجُرْفُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَتْ الْعَرْضَةُ وَهِيَ أَعْلَى الْجُرْفِ ، وَأَسْفَلُهُ مُجْتَمِعُ سَيُولِ أَوْدِيَةِ الْمَدِينَةِ - «مَعْجَمُ مَا اسْتَعْجَمَ» - ١٣٣٣ .

(٤) الْجُرْفُ الَّذِي قُرْبَ مَكَّةَ لَمْ يَزِدْ يَأْقُوتُ فِي تَحْدِيدِهِ عَلَى مَا فِي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ ، وَفِي «مَعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ» : الْجُرْفُ - بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَثَانِيهِ - : مَوْضِعٌ قَدْ حَلَدْتُهُ فِي رَسْمِ الْبَقِيعِ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ وَدَّانٍ ، وَهُوَ مِنْ مَنَازِلِ بَنِي سَهْمٍ مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ هَذَيْلٍ ، وَهُنَاكَ أَوْقَعَ بِهِمْ عَزْرَةَ بِنْتُ عَاصِيَةَ السُّلَيْمِيَّةِ فِي قَوْمِهِ بَنِي سُلَيْمٍ - ثُمَّ أُوْرِدَ مِنْ شِعْرِهِ :

أَلَا أُبَلِّغُ هَذَيْلًا حَيْثُ كَانَتْ مُغْلَقَةً تُخْبِئُ عَنِ الشُّفِينِي  
مُقَامَكُمْ غَدَاةَ الْجُرْفِ لَأَنَّ نَوَاقِفَتِ الْفَوَارِسِ بِالْمُضِيئِي  
وَفِي شِعْرِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجُرْفَ مِنْ دِيَارِ عَيْسٍ ، وَأَحَالَ إِلَى رَسْمِ خَزَوِيٍّ - حَيْثُ أُوْرِدَ =  
لِكَعْبٍ :

٢٥٥ - باب حَرَمٍ ، وَحَرِمٍ ، وَحَرَمٍ ، وَحَرَمٍ ، وَحَرَمٍ (١)  
 أَمَّا الْأَوَّلُ : - يَفْتَحُ الْحَاءُ وَالرَّاءُ : مَكَّةَ حَرَمَ اللهُ تَعَالَى ، وَالْمَدِينَةَ حَرَمَ رَسُولَ  
 اللهُ ﷺ (٢) .

وَأَمَّا الثَّانِي : - بِكَسْرِ الرَّاءِ - : وَاِدٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْيَمَامَةِ فِيهِ نَخْلٌ وَرَزْرَعٌ ، وَقَدْ  
 يُقَالُ يَفْتَحُ الرَّاءِ (٣)

= فَلَوْلَا اِسْنَةُ الْعَسْبِيِّ لَمْ تَلْقُ نَاقَتِي كِلَالًا وَلَمْ تُوضِعْ إِلَى غَيْرِ مُوضِعٍ  
 فَبَلَكَ الَّتِي إِنْ تُمَسَّ بِالْجَرْفِ دَارَهَا وَأَمْسَ بِحَزْبِي تُمَسُّ ذِكْرَتَهَا مَعِي

- وَحَزْبِي مِنْ مَوَاضِعِ الْمَدِينَةِ الْمَشْهُورَةِ - وَقَدْ خَلَطَ الْبَكْرِيُّ فِي رَسْمِ (الْجَرْفِ) بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ الْمَوْضِعِ الَّذِي  
 بِقُرْبِ الْمَدِينَةِ ، وَالْآخَرِ الَّذِي مِنْ مَنَازِلِ هَذَيْلٍ . وَلَمْ أَجِدْ فِي كِتَابِ «شَرْحِ أَسْمَاءِ الْمَدَلِيِّينَ» حَبْرَ وَقَعَةٍ بَنِي  
 سُلَيْمٍ بِهَذَيْلٍ وَالْحَبْرُ مُفْصَلٌ فِي «الْأَغَانِي» ١٠٠/٢ ط : الثَّقَافَةُ - وَلَمْ يَرِدْ فِيهِ ذِكْرُ وَدَّانَ ، وَلَكِنْ ذَكَرَ أَنَّ بَنِي  
 سُلَيْمٍ غَزَوْا بَنِي سَهْمٍ ، وَمَعْرُوفٌ أَنَّ بِلَادَ بَنِي سُلَيْمٍ تَقَعُ وَرَاءَ وَدَّانَ ، وَأَنَّ بِلَادَ هَذَيْلٍ فِيهَا بَيْنَ وَدَّانَ وَبَيْنَ  
 مَكَّةَ ، وَلَهُمْ بِلَادٌ جَنُوبَهَا أَيْضًا وَلَا يُسْتَعْمَدُ أَنَّ تَكُونُ مَنَازِلُ بَنِي سَهْمٍ الْمَدَلِيِّينَ مُوَالِيَةَ لِبِلَادِ بَنِي سُلَيْمٍ بِقُرْبِ  
 وَدَّانَ الْوَادِي الْمَعْرُوفِ الْوَاقِعِ فِي الْمُنْتَصَفِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ .  
 وَمَا ذَكَرَهُ نَصْرٌ فِي هَذَا الْبَابِ :

١ - الْجَوْفُ ، قَالَ : - أَمَا يَفْتَحُ الْجِيمُ - : وَاِدٍ بِالْيَمَنِ ، مِنْ أَرْضِ سَبَلٍ ، وَأَيْضًا مِنْ بِلَادِ بَنِي تَمِيمٍ  
 جَوْفٌ طُوَيْلِعٌ ، وَأَيْضًا : فِي دِيَارِ كَلْبٍ . وَذَرَبُ الْجَوْفِ بِالْبَصْرَةِ . انْتَهَى .  
 الْجَوْفُ : - هُوَ الْمَكَانُ الْمُنْخَفِضُ مِنَ الْأَرْضِ ، فَهُوَ وَصِفٌ لِأَمْكِنَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا الْمَوَاضِعُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا  
 نَصْرٌ ، فَجَوْفُ الْيَمَنِ بِقُرْبِ مَارِبَ فِي شَرْقِيِّ الْيَمَنِ لِأَيِّزَالٍ مَعْرُوفًا ، وَيُدْعَى جَوْفُ مُرَادٍ ، مُضَافًا إِلَى  
 الْقَبِيلَةِ الَّتِي تَسْكُنُهُ ، وَجَوْفُ طُوَيْلِعٍ - وَيُقَالُ : جَوْ طُوَيْلِعٌ فِي أَسْفَلِ الصَّمَّانِ ، وَيُدْعَى الْآنَ الصُّبْحِيَّاتِ -  
 مُنْخَفِضٌ مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَكَامٍ فِيهِ أَبَارٌ قَرِيبَةُ الْقَعْرِ - (انظر قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي  
 للبلاد العربية السعودية» والذي في بلاد كَلْبٍ هُوَ الْجَوْفُ الْإِقْلِيمُ الْمَعْرُوفُ فِي شَمَالِ الْجَزِيرَةِ ، وَكَانَتْ  
 قَاعِدَتُهُ (دَوْمَةُ الْجَنْدِلِ) وَالْآنَ (سُكَاكَةُ) .

أَمَا ذَرَبُ الْجَوْفِ الَّذِي بِالْبَصْرَةِ فَقَدْ ذَكَرَ يَأْقُوتُ بَعْضَ الْمُنْسَوِينِ إِلَيْهِ مِنْ مُتَقَدِّمِي الْمَحْدِثِينَ ، بِمَا يَدُلُّ  
 عَلَى أَنَّهُ مِنْ مَحَلَّاتِ الْبَصْرَةِ الْقَدِيمَةِ ، فَأَحَدُ الْمُنْسَوِينِ إِلَيْهِ يَزُورِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ .  
 ٢ - الْجَوْفُ ، قَالَ نَصْرٌ : - وَأَمَا يَفْتَحُ الْحَاءُ الْمُهْمَلَةُ : - مُوضِعٌ بِمِصْرَ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ لِأَيِّزَالٍ مَعْرُوفًا فِي  
 بَلَدِ الْبِلَادِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمَشَاهِيرِ ، عَرَفَتْ مِنْهُمُ الْأَسْتَاذُ الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ الْخَوْفِيُّ عَضُوَّ تَجْمَعِ اللُّغَةِ  
 الْعَرَبِيَّةِ ، وَتُوفِي مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ - رَحِمَهُ اللهُ -

(١) عِنْدَ نَصْرٍ : (بَابُ الْحَرَمِ ، وَالْحَزْمِ ، وَحَرَمٍ ، وَحَرَمٍ ، وَحَرَمٍ ، وَحَرَمٍ ، وَحَرَمٍ) .  
 (٢) قَالَ نَصْرٌ : أَمَا يَفْتَحُ الْحَاءُ وَالرَّاءُ : - فَمَكَّةَ ، وَأَفِينِيهَا الْأَرْبَعُ الَّتِي وَضِعَتْ بِهَا الْأَنْصَابُ تَحْدِيدًا لَهُ ،  
 وَالْحَرَمَانِ : مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ . انْتَهَى . وَأَطَالَ يَأْقُوتُ الْكَلَامَ عَنِ الْحَرَمِ ، وَفِي كِتَابِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ مِنْ  
 تَفْصِيلِ ذَلِكَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ .

(٣) قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَا يَفْتَحُ الْحَاءُ وَكَسْرُ الرَّاءِ الْمُهْمَلَتَيْنِ : - وَاِدٍ مِنْ أَقْصَى عَارِضِ الْيَمَامَةِ ذُو نَخْلٍ وَرَزْرَعٍ ،  
 وَقَدْ تَفْتَحُ الرَّاءُ . انْتَهَى . وَقَالَ يَأْقُوتُ : حَرَمٌ - بِكَسْرِ الرَّاءِ بِوَزْنِ كَيْدٍ - : وَالْحَرَمُ أَيْضًا : الْحَرَمَانُ ... =



وَأَمَّا الثَّلَاثُ : - بِكَسْرِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ - : أَحَدُ الْحَرَمَيْنِ ، وَهُمَا وَادِيَانِ  
يُنْبَتَانِ السُّدْرَ وَالسَّلْمَ ، يَصُبَّانِ فِي بَطْنِ اللَّيْثِ ، مِنَ الْيَمَنِ (٤).

وَأَمَّا الرَّابِعُ : - بَعْدَ الْحَاءِ الْمَفْتُوحَةِ زَايٍ سَاكِنَةٌ - : فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْهَا حَزْمُ  
الرَّقَاشِيِّ قَالَ : -

الْأَلَيْتِ شِعْرِي هَلْ تَرُودُنَّ نَاقِي بِحَزْمِ الرَّقَاشِ مِنْ مِثَالِي هَوَامِلِ  
وَحَزْمِ الْأَنْعَمِينَ [بِمَكَّةَ] وَحَزْمِ حَدِيدِ [وَحَزْمِ خَزَازِي مَوْضِعُ بِمَكَّةَ أَمَامَ خَطْمِ  
الْحُجُوجِ مَتِياسِرًا عَنِ طَرِيقِ الْعِرَاقِ] (٥).

= وَقَالَ نَصْرٌ: حَرَمٌ - بِكَسْرِ الرَّاءِ - : وَادٍ بِالْيَمَامَةِ فِيهِ نَخْلٌ وَزَرْعٌ ، وَيُقَالُ : يَفْتَحُ الرَّاءُ . وَقَالَ أَبُو زَيْنَادٍ :  
حَرَمٌ فَلَاحٌ مِنَ الْأَفْلَاحِ الْيَمَامَةِ ، وَزَوَاهُ ابْنُ مَعْلٍ الْأَزْدِيُّ حَرَمٌ وَحَرَمٌ - يَفْتَحُ الرَّاءُ وَصَمَّهَا - جَمِيعُ ذَلِكَ فِي  
مَوْضِعٍ بِالْيَمَامَةِ فِي قَوْلِ ابْنِ مِقْبِلٍ :

حَمِي دَارَ الْحَمِيِّ لَا دَارَ بِهَا بِأَثَالِ فَيْسَخَالِ فَحَرَمِ  
حَرَمٌ الَّذِي فِي الْيَمَامَةِ يَطْهَرُ مِنْ كَلَامِ أَبِي زَيْنَادٍ أَنَّهُ فِي مِثْلَةِ الْأَفْلَاحِ ، وَتَلَكُ فِي أَقْصَى عَارِضِ الْيَمَامَةِ مِنَ  
الْجَنُوبِ ، إِلَّا أَنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ وَادٍ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ مَوْضِعٌ آخَرَ ، وَفِي أَقْصَى عَارِضِ الْيَمَامَةِ (جَبَلِ طُوَيْقٍ) مِنَ  
الشَّمَالِ وَادٍ ذَكَرَهُ صَاحِبُ كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» - ٢٦١/٢٥١ - بِاسْمِ الْحَرِيمِ قَائِلًا : ثُمَّ بَطْنُ  
الْحَرِيمِ ، وَهُوَ وَادٍ لِبَلْعَنَبَرٍ بِالْفَقَاءِ . انْتَهَى وَالْفَقَاءُ هُوَ إِقْلِيمٌ سُدِّيٌّ ، وَيَطْهَرُ أَنَّ هَذَا الْوَادِي هُوَ وَادِي  
حَرَمَةَ . عَلَى أَنَّ الْبَكْرِيَّ أَوْرَدَ فِي «مُعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ» : حَرَمٌ - يَفْتَحُ أَوَّلُهُ وَكَسْرَ ثَانِيَتِهِ بَعْدَهُ مِيمٌ - : ثَبِيَّةٌ فِي  
حَيْمٍ ، وَحَيْمٌ جَبَلٌ بِعَمَّالَيْنِ ، قَالَ ابْنُ مِقْبِلٍ :

وَفِي الْحَيْيَالِ وَمَا وَأَفَاكُ مِنْ أُمَمٍ مِنْ أَهْلِ قَرْظٍ فَأَهْلُ الضُّبَيْقِ مِنْ حَرَمِ

وَالضُّبَيْقُ مَوْضِعٌ هُنَاكَ انْتَهَى وَهَذَا يُؤَيِّدُ كَوْنَ حَرَمٍ فِي الْجَانِبِ الْجَنُوبِيِّ مِنَ الْيَمَامَةِ فِي جِهَةِ الْأَفْلَاحِ حَيْثُ  
عَظَّمَهُ الشَّاعِرُ عَلَى قَرْظٍ وَهُوَ هُنَا مِنَ الْأَفْلَاحِ ، فِي الْجَنُوبِ مِنْهَا عَلَى مَا حَدَّثَهُ صَاحِبُ كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ»  
وَعَمَّالَتَانِ جَنُوبَ الْأَفْلَاحِ وَهُمَا جَبَلَا عَمَّالِيَّةٌ وَصَاحَّةٌ ، وَيَعْرِفَانِ الْآنَ بِاسْمِ الْحَصَاتَيْنِ ، وَحَيْمٌ وَادٍ مَعْرُوفٌ  
بَيْنَهُمَا .

(٤) هُوَ نَصْرٌ كَلَامَ نَصْرٍ وَمِثْلُهُ فِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ» بِزِيَادَةَ : (فِي أَوَّلِ أَرْضِ الْيَمَنِ) بَعْدَ اللَّيْثِ . وَاللَّيْثُ بِكَسْرِ  
اللامِ وَإِسْكَانِ الْمَثَانَةِ التَّحْتِيَّةِ : مِنْ أَشْهُرِ الْأَوْدِيَةِ الْوَاقِعَةِ جَنُوبَ مَكَّةَ ، الْمُنْحَدِرَةَ مِنَ السَّرَاةِ مُحْتَرِقَةً يَمَامَةً  
حَتَّى تَصُبَّ فِي الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ عِنْدَ مِينَاءِ اللَّيْثِ ، وَكَلِمَةُ (الْيَمَنِ) يُقْصَدُ بِهَا الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةُ فَهِيَ وَقَعَ جَنُوبَ مَكَّةَ  
يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْيَمَنِ ، وَالشَّامُ مَا وَقَعَ شَمَالَهَا .

(٥) عِنْدَ نَصْرٍ : وَأَمَّا يَفْتَحُ الْحَاءِ وَسُكُونِ الزَّايِ الْمُعْجَمَةِ : مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ أَمَامَ خَطْمِ الْحُجُوجِ مَتِياسِرًا عَنِ  
طَرِيقِ الْعِرَاقِ ، وَحَزْمًا شَعْتَبِ ، وَحَزْمِ خَزَازِي ، وَحَزْمِ جَدِيدِ ، وَحَزْمِ الْأَنْعَمِينَ . انْتَهَى .  
وَمَا يَنْبَغِي الْمُرْتَبِعِينَ [ . . . ] زِيَادَةَ مِنَ الْمَخْطُوطَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ كِتَابِ الْحَازِمِيِّ ، وَلَعَلَّهُ أَتْبَعَهَا أَوَّلًا نَقْلًا عَنْ كِتَابِ  
نَصْرٍ ، ثُمَّ حَذَفَهَا مِنْ أَصْلِ الْمَخْطُوطَةِ الَّتِي هِيَ الْأَصْلُ ، وَيَطْهَرُ أَنَّهُ لَمْ يَجْرَسِ الْعِبَارَةَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِ(حَزْمِ) .  
الْحَزْمُ لَعْنَةٌ وَصِفٌ لِلأَرْضِ الْمُرْتَفِعَةِ الْخَشِينَةِ أَوْ كَمَا نَقَلَ يَأْقُوتُ : الْحَزْمُ مِنَ الأَرْضِ مَا حَزَمَ مِنَ السَّبِيلِ مِنْ =

وَأَمَّا الْخَامِسُ : أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا رَاءٌ سَاكِنَةٌ - : مَوْضِعٌ بِكَاطِمَةَ (٦) .

وَأَمَّا السَّادِسُ : - بَعْدَ الْخَاءِ الْمَضْمُومَةِ رَاءٌ مَفْتُوحَةٌ مُشَدَّدَةٌ - : مِنْ رَسَائِقِ أَرْدَبِيلَ (٧) .

= نَجَوَاتِ الْأَرْضِ وَالظُّهُورِ ، وَالْجَمْعُ الْحَزُومُ ، وَفِي بِلَادِ الْعَرَبِ حَزُومٌ كَثِيرَةٌ ، عَدَّ يَأْقُوتُ بَعْضَهَا ، وَمِنْهَا مَا ذَكَرَ نَصْرٌ وَالْحَازِمِيُّ :

أ - حَزْمُ الرَّقَاشِيِّ ، لَمْ يُجَدِّدْهُ يَأْقُوتُ وَأُورِدَ الْبَيْتَ غَيْرَ مَنْسُوبٍ كَمَا وَرَدَ فِي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ . وَأُورِدَهُ الْبَكْرِيُّ فِي «مُعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ» - رَسَمَ الرَّقَاشِ - قَائِلًا : الرَّقَاشُ بَلَدٌ ، أَنْشَدَ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَرَوْدُنْ نَاقِيً  
هُنَالِكَ لَا أُمَلِي لَهَا الْقَيْدُ بِالضُّحَى  
بِحَزْمِ الرَّقَاشِ فِي مَثَلِ هَوَامِلِ  
وَلَسْتُ إِذَا رَاحَتْ عَلَيَّ بِعَاقِلِ

قَالَ قَاسِمٌ : الرَّقَاشُ بَلَدُهُ الَّذِي فِيهِ أَهْلُهُ . يَقُولُ : لَا أُطِيلُ لَهَا الْقَيْدَ وَلَا أُعْقِلُهَا لِأَنَّهَا تَصِيرُ إِلَى الْأَفْهَامِ مِنَ الْإِبِلِ قَتِيرٌ ، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي شِعْرِ يَزِيدَ بْنِ الطَّرِيفِيِّ مَثْنًى - ثُمَّ أُورِدَ قَوْلُهُ ، وَفِي كِتَابِ بِلَادِ الْعَرَبِ - ١٥١ - وَرَدَ مَثْنًى فِي شِعْرِ نَاهِضِ بْنِ ثُوَمَةَ الْكِلَابِيِّ ، وَنَقَلَ عَنِ الْعَابِرِيِّ أَنَّ الرَّقَاشِيْنَ وَرَاءَ جَبَلِي الضَّمْرَيْنِ فِي قِبْلَتَيْهَا مِنْ وَرَائِهَا عَلَى يَوْمٍ أَوْ أَكْثَرَ . وَالرَّقَاشَانِ لِأَيِّزَالَانَ مَعْرُوفَيْنِ بِاسْمَيْهِمَا ، وَمِمَّا جَبَلَانِ مُتَعَدِّدَا الرَّؤُوسِ ، وَبِقُرْبِهَا حَزُومٌ كَثِيرَةٌ فِي الْجَنُوبِ الْعَرَبِيِّ مِنْ عَالِيَةِ نَجْدٍ ، وَانظُرْ عَنِ تَحْدِيدِهَا قِسْمَ (عَالِيَةِ نَجْدٍ) مِنَ «الْمَعْجَمِ الْجغْرَافِيِّ لِلْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ» رَسَمَ الرَّقَاشِ .

ب - حَزْمُ الْأَنْعَمِينَ [بِمَكَّةَ] : كَلِمَةٌ بِمَكَّةَ لَمْ تَرُدْ فِي الْأَصْلِ ، وَلَكِنْ فِي النُّسخَةِ الثَّانِيَةِ ، وَمَا رَأَاهَا صَحيحةً ، فَالْأَنْعَمَانِ - مَثْنًى أَنْعَمَ - عَلَى مَا ذَكَرَ يَأْقُوتُ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ ، قَالَ : وَأَيُّدَانِ هُمَا الْأَنْعَمُ وَعَاقِلُ أَيٍّ فِي جَنُوبِ الْقَصِيمِ ، وَتِلْكَ الْجَهَةُ بَعِيدَةٌ عَنِ مَكَّةَ ، وَشَاهِدُ حَزْمِ الْأَنْعَمِينَ وَرَدَ فِي شِعْرِ الْمُرَّارِ بْنِ سَعِيدٍ ، وَأُورِدَهُ يَأْقُوتُ .

ج - حَزْمُ حَدِيدٍ ، وَفِي مَخْطُوطَةِ كِتَابِ نَصْرِ : حَزْمُ حَدِيدٍ ، وَفِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ» حَزْمُ حَدِيدًا مَقْصُورٌ فِي شِعْرِ الْمُرَّارِ :

يَقُولُ صِحَابِي إِذْ نَظَرْتُ صَبَابَةَ  
بِحَزْمِ حَدِيدَا مَا بَطَّرَفَكَ تَسْمَحُ  
- كَذَا أُورِدَ الْبَيْتَ وَلَعَلَّ صَوَابُهُ : مَا بَطَّرَفَكَ يَسْفَحُ ؟ وَالْعَرَبِيُّ أَنَّ يَأْقُوتًا لَمْ يُورِدْ (حَدِيدًا) فِي مَوْضِعِهِ مِنَ «الْمَعْجَمِ» فِي حَرْفِ الْحَاءِ وَلَا الْجِيمِ ، بَلْ يَحْمِلُ عَلَى الظَّنِّ بَأَنَّهُ شَاكَ فِي صِحَّةِ الْاسْمِ . وَمَعْرُوفٌ أَنَّ الْمُرَّارَ بْنَ سَعِيدٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَبِلَادَهُمْ فِي شَمَالِ وادي الرُّمَّةِ وَعَلَى شِعَابِهِ ثُمَّ عَلَى طَرِيقِ الْحَجِّ الْعِرَاقِيِّ .

د - حَزْمُ حَزَّازِي : الْقَوْلُ بِأَنَّهُ بِمَكَّةَ مِنْ أَعْيَادِ الْأَقْوَالِ عَنِ الصَّوَابِ ، فَحَزَّازِي - بِالْأَلْفِ الْمَقْصُورَةِ - يَظْهَرُ أَنَّهُ فِي شَمَالِ الْجَزِيرَةِ فِي حُدُودِ الشَّامِ لِوُرُودِهِ فِي شِعْرِ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَاعِ الْعَامِلِيِّ ، وَقَدْ يُقْصَدُ بِهِ حَزَّازُ الْجَبَلِ الْمَشْهُورِ الْمَعْرُوفِ الْآنَ فِي شَمَالِ الْقَصِيمِ ، يُشَاهَدُ مِنْ هِجْرَةِ دُخْنَةٍ هُوَ وَإِمْرَةٌ وَكَبِيرٌ رَأَى الْعَيْنِ .

هـ - أَمَّا الْحَزْمُ الَّذِي ذَكَرَ نَصْرٌ وَالْحَازِمِيُّ بِقُرْبِ مَكَّةَ فَقَدْ أُورِدَ الْأَزْرَقِيُّ فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ» ٢٧٦/٢ - قَوْلَ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدِ الْمَخْزُومِيِّ :

←

## الشيخ عبدالله الخيال وصداقة ستين عاما

كل صداقة تقوم على أساس تبادل شيء من المنافع سرعان ماتزول بزوال تلك المنفعة ، أما ماينبني من الصداقات على الألفة المنبعثة عن تلائم في الصفات ، وتوافق في الطباع ، وتشابه في الأخلاق ، فإنها غالباً ما تستمر وتبقى ، ولهذا كانت صلتني بالشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الخيال - رحمه الله - طيلة مايزيد على ستين عاماً ثابتة لم تتغير ، ولم يشبها شيء من الفتور ، ولعل أبرز سبب لذلك انه - رحمه الله - كان يُنصف من نفسه ، وكان يسير مع اخوانه واصدقائه سيرة انسان مقدر للصداقة ، وعارف بحقوقها ، مع أنه مع كل أحد تغلب عليه

→ اَنْسَوَى مِنْ آلِ فُطَيْمَةَ الْحَزْمِ فَالْعَمِيرَتَانِ فَأَوْحَسَ الْحَطْمُ قَائِلًا : حَطْمُ الْحُجُونِ يُقَالُ لَهُ الْحَطْمُ ، وَالَّذِي أَرَادَ الْحَارِثُ الْحَطْمُ دُونَ سِدْرَةَ آلِ أَسِيدٍ ، وَالْحَزْمُ سِدْرَةُ أَمَامِهِ تَبَيَّسَرَ عَنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ . وَقَالَ - ٢٨٢/٢ - : سِدْرَةُ خَالِدِ هِيَ صَدْرٌ وَإِدِي مَكَّةُ مِنْ بَطْنِ السَّرْرِ ، مِنْهَا يَأْتِي سَبَلُ مَكَّةَ إِذَا عَظُمَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سَبَلُ السُّدْرَةِ إِلَى آخِرِ مَاذَكَرَ مِمَّا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْحَزْمَ بَعِيدٌ عَنْ حَطْمِ الْحُجُونِ ، وَأَنَّهُ يَقَعُ فِي أَعْلَى وَإِدِي مَكَّةَ مِمَّا يَلِي يَمِينِي ، يَسَارَ الْآتِي مِنْ طَرِيقِ الْحَجِّ الْعِرَاقِيِّ الْقَدِيمِ ، وَالَّذِي أَوْفَعَ الْخَلَطُ بَيْنَ الْمُضْمَعِينَ وَرُودُهُمَا فِي شِعْرِ الْحَارِثِ ، فَالْحَزْمُ خَارِجٌ مَكَّةَ وَالْحَطْمُ دَاخِلُهَا . وَكَلَامٌ يَأْقُوتُ فِي تَعْرِيفِ هَذَا الْحَزْمِ مُؤَمَّمٌ أَيْضًا ، وَنَصُّهُ : الْحَزْمُ - مِنْ غَيْرِ إِضَافَةٍ - : وَهُوَ مَوْضِعٌ أَمَامَ حَطْمِ الْحُجُونِ الَّذِي دُونَ سِدْرَةَ آلِ أَسِيدٍ ، يَسَارًا عَلَى طَرِيقِ نَخْلَةَ وَالْحَاجِّ الْعِرَاقِيِّ . انْتَهَى فَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ حَطْمِ الْحُجُونِ .

(٦) حَزْمٌ : قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا بِضَمِّ الْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ : مَوْضِعٌ بِكَاطِمَةَ . انْتَهَى . ذَكَرَ يَأْقُوتُ أَنَّ الْحَزْمَ أَنْفَ الْجَبَلِ وَجَمْعُهُ حَزْمٌ كَسَفَفٍ وَسَقَفٍ ، وَنَقَلَ عَنِ أَبِي مَنْصُورٍ - وَهُوَ الْأَزْهَرِيُّ صَاحِبِ كِتَابِ «تَهْدِيبِ اللَّغَةِ» - : الْحَزْمُ بِكَاطِمَةَ جُبَيْلَاتٌ ، وَأَنْوَفٌ جِبَالٌ . انْتَهَى وَالْأَزْهَرِيُّ مِمَّنْ عَرَفَ بِلُكِ الْبِلَادِ عَنْ مُشَاهَدَةٍ ، وَفِي كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» - ٣٢١ - : ثَبِيَّةُ الْمَجْرِيَّةِ الَّتِي تَهْبِطُ مِنْهَا عَلَى كَاظِمَةَ ، وَهِيَ تُسَمَّى حَزْمًا كَاظِمَةَ . وَكَاطِمَةَ تَقَعُ شَمَالَ مَدِينَةِ الْكُوَيْتِ غَيْرَ بَعِيدَةٍ عَنْهَا - انظُرْ لِتَحْدِيدِ مَوْضِعِهَا قِسْمِ (المنطقة الشرقية) مِنَ «المعجم الجغرافي» .

(٧) حَزْمٌ : قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا بِضَمِّ الْحَاءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِهَا - : مِنْ رَسَائِقِ أَرْدَبِيلَ ، وَأَطْنِ الْحَزْمِيَّةِ الَّذِينَ كَانَ مِنْهُمْ بَابِكُ نَسَبًا إِلَيْهِ ، وَقِيلَ : هُمُ الْحَزْمِيُّونَ فَارِسِيٌّ ، لِأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ وَيَسْتَبِيحُونَهَا . انْتَهَى . وَفِي «معجم البلدان» : حَزْمٌ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَتَشْدِيدِ ثَانِيهِ ، وَتَفْسِيرُهُ بِالْفَارِسِيَّةِ الْمُرُورِ : وَهُوَ رَسَاتِقُ بَارْدَبِيلَ ثُمَّ أُرِدَ بِقَبِيَّةٍ كَلَامٌ نَصْرٌ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ وَلَكِنْ آخِرُهُ : وَقِيلَ : الْحَزْمِيُّونَ فَارِسِيٌّ مَعْنَاهُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ وَيَسْتَبِيحُونَهَا . انْتَهَى وَفِي «تاج العروس» : وَحَزْمَةٌ كَسَكْرَةٌ بِلْدَةِ بَقَارِسَ ، بَلْ نَاجِيَةٌ قُرْبَ اضْطَحَّرَ قَالَهُ نَصْرٌ : مِنْهَا بَابِكُ الْحَزْمِيُّ الطَّاعِيَةُ الَّذِي كَادَ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى الْمَمَالِكِ زَمَنَ الْمُعْتَصِمِ - إِلَى آخِرِ مَاذَكَرَ - وَأَخْبَارُ بَابِكِ مُفْصَلَةٌ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ . وَالرُّسَاتِقُ تَقَدَّمَ إِيضَاحُهُ ، وَأَرْدَبِيلُ كَانَ قَاعِدَةً أَرْدَبِيحَانَ .

المعاملة في كثير من تصرفاته ، بدرجة تلجئه ليتحمل في سبيل ذلك من الأمور ماقل ان يقدر على تحمله غيره ، ثم يقابل كل ذلك بدون امتعاض أو تأثر من أمر ما ، مما يخرج عن طوره المعتاد ، إنه يحاول دائماً ان يعالج الأمور بهدوء وتؤدّة وتروّي ، ولاشك أن هذه الصفات من الأسباب التي مدّت حبال الصداقة بينه وبين كثير من اخوانه .

لقد كان أول ما عرفت الشيخ عبدالله وهو شاب قد تجاوز منتصف العقد الثاني من عمره ببسير وذلك في عام ١٣٤٦هـ حين قدمت مدينة الرياض وهو احد طلبة العلم في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - وكان يسكن في غرفة في هذا المسجد ( بيت الدرجة ) وكان قدم إلى الرياض - على ما قال لي - في شوال ذلك العام من بلدة الدرعية التي كانت أسرته تقيم فيها - جاء بتوجيه من إمام مسجد تلك البلدة محمد بن عبدالعزيز الهلالي حيث توسم فيه من الذكاء مادفعه إلى ترغيبه في الانضمام إلى طلبة العلم والكتابة إلى الشيخ محمد بن إبراهيم بذلك .

ثم يدور الزمان دورته ويتولى الشيخ الخيال عملاً في المكتب الخاص لفيفل - رحمه الله - في مكة ، وكنت في ذلك العهد أحد طلبة المعهد في مكة المكرمة فتزداد الصلة ، وتقوى المعرفة ، ثم يعود إلى الرياض ليتولى عملاً في إدارة المالية فترة من الزمن يلتحق بعدها هو والأستاذ عبدالله الملحق بالبعثات السعودية في مصر سنة ١٣٥٥هـ حيث يكمل دراسته في ( دار العلوم ) في القاهرة ويعود سنة ١٣٥٩هـ ليتولى ( إدارة التعليم ) في الاحساء بعد أن عرضت عليه ( مديرية المعارف ) العمل في تلك الوظيفة أو في التدريس في مدرسة تحضير البعثات كزميله الشيخ إبراهيم السويل ، ولكنني رغبته بالوظيفة الأولى لإداركي ما يتصف به من كفاءة ومقدرة ، فكان أن تولى العمل في المحرم سنة ١٣٦٠هـ فعالج ما اعتراه من ضعف وسوء إدارة بحكمة وإصلاح حتى استقرت أمور التعليم في تلك المنطقة ، ثم خلفه فيها الأستاذ عبدالعزيز المنصور التركي - رحمه الله - .

وحدث أن عُيّن الأستاذ طاهر رضوان المتخرج من ( دار العلوم ) في سنة ١٣٦١هـ في وظيفة من وظائف الشعبة السياسية بواسطة خاله الشيخ يوسف

ياسين فجرى بحثٌ في الديوان الملكي حول من تخرج من الطلاب السعوديين ممن يصلح لِيُرْشَحَ في شيء من وظائف الخارجية ، فكان أن ذُكِرَ اسمُ الأستاذ الخيال والأستاذ السويل بين من ذكرت اسماؤهم ، فتم تعيين الأستاذ الخيال في شهر المحرم سنة ١٣٦٢هـ في وظيفة في المفوضية ( قبل أن تكون سفارة ) في بغداد ، وتدرج في الأعمال حتى صار سفيراً ، ثم نقل سفيراً في واشنطن ، ثم سفيراً في الامارات العربية المتحدة ثم في النمسا حتى سنة ١٤٠٣هـ حيث أحس بأنه في حاجة إلى الراحة بعد أن أمضى في خدمة بلاده أكثر من أربعين عاماً في الشؤون الخارجية ، واكتسب خلالها خبرة قل أن يتاح لغيره اكتسابها .

وقبل تعيينه سفيراً في ( الإمارات ) تولى إدارة ( الأشغال العامة ) في الرياض فلم يرتح لهذا العمل ، فاستقال واستقر في بيروت فترة من الزمن ، قويت صلتى به .

لقد حرص اثناء عمله أن يُنمِّي ما لديه من معرفة ، فكان أن التحق وهو في القاهرة بمدرسة ( برلتس ) لتعليم اللغة الانجليزية ، فأصبح لديه المام بها ، ومازالت معارفه تزداد بكثرة المطالعة حتى قلَّ أن يصدر كتاب بهذه اللغة له صلة ببلادنا دون أن يقتنيه ويطلعه مطالعة استفادة ، بحيث جمع ذخيرة طيبة من المؤلفات التي من هذا القبيل ، يضاف إلى هذا أن دراسته في ( دار العلوم ) مكتبته من التزود بقدر واف من العلوم اللغوية والأدبية ، وحببته إلى مطالعة مؤلفات القدماء واقتنائها .

ولقد فكر في أيامه الأخيرة أن يراجع ما جمعه من وثائق ومعلومات ذات صلة بالأعمال التي تولاها وأن يدون شيئاً مما يراه مفيداً ، وان ينشر منها ما يراه جديراً بالنشر ، فاستأجر مكتباً في احدى البنايات في محلة ( العُلَيَّا ) ونقل إليه بعض ما رغب في مطالعته من مؤلفات أو أوراق ، ولكن الأمر لم يتم له حيث عاجله قضاء الله وقدره .

ولاشك أن لدى ابنه الكريمين فهد وفايز من عمق الإدراك والبر بوالدهما

ما يقوِّي الرجاء من أن يستفاد من تلك المعلومات التي خلفها والدهما بعد اعدادها بالطريقة التي تهيء الاستفادة منها .

لقد انتابته الأمراض واعتورته شتى الآلام فنخر داء السكر جسمه ، وتصلبت بعض شرايين قلبه ، وأصيبت رئته في عهد شبابه بداءٍ سبب استئصال جزء منها ولكن ذلك أحدث له آلاماً في الصدر ظلَّت تنتابه في فترات فتقضُّ راحته وتنغص حياته ، وقد تأثرت معدته بقرحة استؤصلت بطريقة جراحية ، ومع كل ذلك فقد كان يغالب تلك الأمراض ويتحملها بصبر وجلد - فالله يشييه ثواب الصابرين ويجزيه ما وعدهم .

ولقد هياً الله له زوجة صالحة كانت تحنو عليه وترأف به كرافة الأم الرؤوم ، كانت تراعي ما يجب ان يتناوله من غذاء ودواء فتهيئه له وتحول دون ما عداه ، وكانت تلازمه في اسفاره وتتولى جميع شؤونه . أجزل الله لها المثوبة وأعظم أجرها .

ولقد كان نبأ وفاته بالنسبة لي مفاجئاً إذ قرأته في عدد يوم الاثنين من جريدة « الجزيرة » - ع ٥٧٣٠ في ٢٢ شوال ١٤٠٨ / ٦ حزيران ١٩٨٨ م - وانه توفي يوم الأحد ٢١ شوال ١٤٠٨ هـ ولم أكن عالماً بمرضه ، وكنت قد اتصلت به في آخر شهر رمضان فقررنا الاجتماع في إحدى ضواحي النمسا فترة من الصيف - كالعام الماضي - ، وما علمت انه رحمه الله أصيب في شهر شوال بمرض شديد سبب له غيبوبة تامة بحيث لم يشعر بحضور أسرته عنده .

لقد كان ذا عناية بنفسه من حيث التغذية والعلاج ولكن :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمه لا تنفع

اسأل الله سبحانه وتعالى أن يسبغ عليه شأبيب الرحمة والغفران ، وأن يجبر من أصيب بفقدته ويحسن عزاء أسرته ومحبيه ، ويجعلهم من الصابرين ، الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

حمد الجاسر

من رجال العلم والقضاء في القرن الرابع عشر :

## الشيخ عبدالله بن سليمان السيارى

١٣٥٢/١٢٨٠هـ

هو أبو محمد عبدالله بن سليمان بن سليمان بن محمد بن سليمان بن محمد السيارى .

ولد رحمه الله في القويعة قاعدة بلاد العرض في نهاية العقد الثامن من القرن الـ ١٣ ونشأ في كنف والده في أسرة كريمة كانت تحترف الزراعة ، ولما اشتد عوده وأنس من نفسه الرغبة في العلم ، رحل لتلك الغاية إلى الرياض وإلى حوطة بني تميم ، وذلك إبان الاضطراب السياسي الذي حدث بين سعود وعبدالله ابني الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله فتلقى العلم في الحوطة عن الشيخ إبراهيم بن عبدالمملك وكان من أقرانه الشيخ الصرامي وقد أثر عن الشيخ عبدالمملك قوله : ( القراءة للسياري والعلم للصرامي ) لما كان يتمتع به السيارى من حسن الصوت وجودة القراءة ، كما كان الصرامي يتمتع بحسن الخط وجودته .

وفي الرياض أخذ العلم عن الشيخين حمد بن فارس وعبدالله بن عبداللطيف ، الذي رشحه فيما بعد للقضاء في منطقة العرض بكاملها وكان ذلك في عهد الإمام عبدالعزيز عام ١٣٢١هـ بعد أن استتب الأمن واستقام الأمر للإمام ابن سعود في البلاد .

وبقي رحمه الله في هذا المنصب إلى أن وافته المنية في بلدة ضرما عند سيد بني عمه فيها عبدالله بن مهنا السيارى رحمهما الله في ٢٧ شعبان من عام ١٣٥٢هـ بعد أن أمضى ما يقارب اثنين وثلاثين عاماً في عمل القضاء .

وقد رثاه الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد هو والشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل معيوف الباهلي قاضي الوشم حيث ماتا في تلك السنة .

رحمهما الله وأسكنهما واسع جناته .

الرياض : عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله السيارى

## مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

### هذيل : بعض فروعها

قرأت في مجلة « العرب » س ٢٣ ص ١٨٩ مقالاً لأخينا الأستاذ راشد بن حمدان الأحيوي المسعودي عن ( هذيل أصولها ومنازلها القديمة ) وقد شغل حوالي خمس وعشرين صفحة استعرض فيها بطون قبيلة هذيل القديمة وأصولها وقد ناقش كل بطن مناقشة تامة ، ولا أشك ان الأستاذ راشد بذل قصارى جهده حتى أصبح بحثه مرجعاً حافلاً عن تاريخ القبيلة .

قال الأخ الفاضل راشد في الأسطر الأولى من بحثه : وفي هذا البحث ذكرت فروع هذيل القديمة مع إشارة خاطفة إلى من يمثلها من فروع هذيل الحديثة مع التأكيد ان هذا البحث يختص ببطن هذيل القديمة ، إذ تركت الشطر الثاني من هذا البحث الذي يدور حول قبيلة هذيل وفروعها الحديثة لأخينا محمد بن علي بن هلال الحثيرشي . الخ ما ذكر :

ان أخي راشد أحسن الظن بي واولاني ثقة عظيمة فطلب مني الخوض في الخضم وأنا لا أقوى على ركوب اليم ، حيث أسند إلي الشق الثاني من بحثه . مع انه أجاد وأفاد ولم يترك مقالاً لقائل ، و ( لا عطر بعد عروس ) ومع ذلك فأحب ان اشير إلى مانشر لي من محاولة عن نسب قبيلة هذيل في هذه المجلة [س ٢٠ ص ٥٥٥] بمساعدة بعض مشائخ القبيلة وبعض الإخوة العارفين بنسبها ، وذكرت فيه قبائل هذيل الحديثة .

وحتى لا أخيب ظن أخي فسأوضح بعض ما أرى حول الموضوع مؤيداً ومستدركاً على بعض ما نقله عني :

- ١- ذكر أقسام قبيلة هذيل الرئيسة ( أي القديمة ) .
- ٢- بنو سعد بن هذيل .
- ٣- عمير بن هذيل .
- ٤- بنو لحيان بن هذيل .
- ٥- بنو هرمة بن هذيل .



## ٦ - بطون هذلية أخرى .

والذي أرى أن لهذيل بن مدركة ولدين : سعد ولحيان . ومما يؤيد هذا اننا لو فتشنا في كتاب « ديوان الهذليين » لوجدنا أن الشعراء يرجع نسبهم إلى سعد أو إلى لحيان الا ما شذ ، وكانت الكثرة الكاثرة في بني سعد .

ومن جهة الديار نجد ديار قبيلة لحيان تعادل ديار بقية هذيل أو تزيد ، حيث كانت تمتد ديارهم إلى وادي عُران وبلدة رهاط ، وتتوغل في الحرم حتى الحجون على ما سمعت ، والشميسي كان يعد من ديارهم .

وساق الأخ راشد بطون بني سعد بن هذيل وفصلها تفصيلاً وافياً ورد بعض الشبهات حول نسب بعض الفروع مثل بنو مخزوم ولحيان .

ومن ذكر : الطلحيون نقلاً عن الأزرقى .

قلت : هم قبيلة الطلحات من هذيل اليمن .

ثم ذكر بني سعود ونباتة وزليفة وبني كعب وجميعهم معروفون ومشهورون من هذيل الحديثة .

أما ما ذكره في ثنايا بحثه ، مثل آل أبي طرفه الذين كانوا مقيمين في مكة وبني زبيد بن مخزوم وبني شَمَخ بن فار وبني حارث بن مخزوم وبني ملاص بن صاهلة وبني المقعد وبني المعترض وغيرهم . فيظهر أنها كانت أفخاذاً صغيرة ترجع في البطون الكبيرة مثل بني تميم وخناعة وقرد وغيرهم .

وقال عن الصلحان : ينتسبون إلى صخر الغي .

ولا أدري ما وجه الاحتمال وربما يكون صخر الفي - بالفاء - فإن من الصلحان فرعاً يسمى صليم الفي (\*) .

ولكن المتعارف عندهم أنهم ابناء محمد بن شفيح بن صليم بن فليت الهذلي .

ذكر العصمة وقال : ذكرهم الهجري وذكر منهم أبا محمد العصمي من قرد من هذيل .

وأقول : لعلمهم كانوا سكان جبل عصم ، وهو في أسفل وادي رَهْجَان من جهة الغرب ويسكنه الآن دعد من هذيل أو سكان جبل قَرَى عصم ، جنوب الزيمة متصل بجبل الأشعر .

وذكر من بطون لحيان بني عامر بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان .

قلت : يوجد بطن من لحيان النسبة إليه العامري لعلمهم هم .

ثم ذكر دعداً ونقل ما قال الهجري عنهم ..

قلت : ذكرهم الجزيري صاحب كتاب « الدرر الفرائد المنظمة » في أحداث عام ٨٢٨هـ - ٧١٢/١ - حيث قال :

وفي ليلة التاسع من ذي الحجة خرج قطاع الطريق من صاهلة وهذيل ودعد والندويين على الحاج بمضيق منى وأخذوا قاضي مكة بهاء الدين أبا البقا محمد بن أحمد بن الضياء الحنفي العمري وعياله وسلبوهم ، وأخذوا جملهم .. الخ ، قلت : صاهلة ودعد والندويون جميعهم من هذيل كما ذكر في أحداث عام ٩٦٠هـ الكباكية وصاهلة والظهوان ( وهم فرع من السراونة هذيل أهل نعمان ) فقال - ٩٢٣/٢ - : ومن الحوادث في هذه السنة غضب الشريف ابي نُمي على أهل بجيلة فجهز لهم تجريدة حافلة ، من الدروع والبنادق وثلاث عجلات وقيل خمس مدافع لهدم حصونهم ، وأمر عربان تلك الجهة هذيل والكباكية وظهران ( كذا جاءت مصحفة والصواب ظهوان بعد الهاء واو وهم من السراونة من هذيل أهل نعمان ، ويجاورون الكباكية ) وعدوان وصاهلة وبعيد ثقيف .. الخ .

ومما نقله الأستاذ راشد عني : ان المطارفة أبناء مطرف بن عائذة الهذلي .

لقد قرأت في كتاب « نقائض جرير والأخطل » المنسوب لأبي تمام ص ٣٠ طبعة دار الكتب العلمية بيروت : في معنى كلمة ( حره ) : قال وأخبرني جماعة عن عائذة بن مطرف الهذلي عن أبي عبيدة قال : وجد كتاب يقال له المجلة .. الخ ومن هنا قلت ما تقدم عن المطارفة .

هذا ما أردت الإشارة إليه ، مشفوعاً بالتحية الطيبة للأخ راشد بن حمدان الأحيوي المسعودي الهذلي .

مكة المكرمة : محمد بن علي بن هلال الحثيرشي الهذلي

(\*) العرب : لقب صخر النفي - بالغين المعجمة ، لا بالفاء - لُقِّبَ به لغوايته وليس علماً أو لقباً لأحد آباءه .

## الزَيْرَةُ فِي الزَّبِيرِ : من وائل

أنا أحد متابعي القراءة في كتب أنساب القبائل والعشائر ، ومن محبي هذا النوع من الثقافة . وهذا مادعاني لكتابة نبذة مختصرة عن نسب أسرتنا وعن الأسر التي تناسبنا معهم (بالمصاهرة) كي يتضح لك بعض الغموض .

إن أسرة الزَّيْرِيّ في حريملاء ثم في الزبير من بني وائل من عنزة من بشر من الحسنة من آل (أبورباع) وهم من ذرية علي بن سليمان آل حمد من أهل حريملاء .

وكانت لهم الرياسة في بلدة حريملاء ، ومنهم إبراهيم بن ناصر الزبير رئيس آل حمد أهل بلد حريملاء قتل سنة ١٢٣٤هـ قتل آل راشد أهل حريملاء ، والذي قتله ناصر بن محمد بن ناصر آل راشد ، ونُهبت جميع بيوت آل حمد ، وأجلوا من البلد - على ما ذكر ابن بشر في «عنوان المجد» في حوادث السنة المذكورة .

وأسرتنا الآن معروفة في بلد الزبير من حيث النسب والأصل والمكانة المرموقة ، حيث أن آل إبراهيم آل راشد أهل حريملاء الذين في الزبير في ذلك الوقت أبناء عمومتنا أصلاً ونسباً ، وهم الذين حكموا بلد الزبير أزماناً متفاوتة ، ولنا معهم مصاهرة ، ومع كبار أسر نجد الموجودين في الزبير .

وجدِّي الشيخ ناصر بن إبراهيم الزَّيْرِيّ شيخ علم ودين ، معروف بأخلاقه الحميدة . وكما قال عنه مؤلف كتاب «إمارة الزبير بين هجرتين» ج ١ ص ٢٥٢ هو من خيار الرجال . ولكن لم يذكر نسبه من أسرتنا ، إذ خصص الكلام عن الأنساب في الجزء الثاني من الكتاب .

وقد أفادني مؤلف كتاب «الزبير» قبل خمسين عاماً الأخ يوسف بن حمد البسام

أن لديه كتاباً قديماً ورد فيه ذكر أسرة الزبير أهل حريملا أصلهم ونسبهم والأخ يوسف يسكن مدينة الدمام . وقد وعدني بأن يبعث لي صورة مما يتعلق بنسب الأسرة .

أما الأسر التي صاهرناها من أهل الزبير فمنها :

١ - العلي : معروفون في الزبير ( بالليفة ) هم من قبيلة سُبَيْع من أهل العودة في سدير ناسبهم أبوجدي وعمي .

٢ - اليحيا : من شمر من عبدة من أهل الغاط في سدير ناسبهم جدي .

٣ - العنقري : من بني تميم من أهل أثيشة في الوشم ، ناسبهم عمي .

٤ - الحُمَاد : من الدواسر من الوداعين ، من أهل العودة في سدير ناسبهم

عمي .

٥ - العوَاد : من بني تميم من جنوية سدير ، ناسبهم عمي وأخي وابن

عمي .

٦ - الدُّبَّاس : من الدواسر من الوداعين ، أهل العودة في سدير . ناسبهم

والذي فهم أخوالي .

٧ - العودة : من عنزة من المدلج من بني وائل من أهل حرمة في سدير ،

ناسبهم ابن عمي .

٨ - العنزِي : من عنزة من الرولة ، ناسبهم ابن عمي .

٩ - العمران : من قبيلة بني تميم ، ناسبهم ابن عمي .

١٠ - آل فيحان : من بني حسين من أهل الأراطوية ، ناسبهم ابن عمي .

ومن الأسر المعروفة انسابها ممن صاهرونا فتزوجوا منا : آل عمران من البدارين

من الدواسر وآل راشد من آل حمد من وائل من حريملاء ، والعناقير من تميم ، وآل

دِبَّاس من الوداعين الدواسر ، من أهل عودة سدير ، وآل أبا بَطِين من عائذ من

قحطان من روضة سدير ، وآل مُهَيْدَب من تميم من جلال ، وآل بشر من أهل

شقراء ، وغيرهم من الأسر التي لا نطيل بذكرها .

الرياض : عبدالرزاق بن عبدالله بن ناصر الزبير

## الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود

[ انظر « العرب » ، ص ٢٣ ص ٤٣١ ]

... من رسالة إلى مجلة « العرب » من الأستاذ الدكتور عبدالمنعم الجميعي :  
وبعد : فإن الزخم الثقافي ، والحضور الفكري والتميز العلمي ، الذي تتمتع به  
مجلتكم هو الذي دفعني للكتابة إليكم .

لقد أدهشني تعليق مجلتكم الغراء في عددها المؤرخ ( ذوا القعدة والحجة  
١٤٠٨هـ ) حول كتاب « الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل  
سعود » الذي حققه الدكتور عبدالله أبو داهش ، وترجع دهشتي من هذا التعليق  
إلى مايلي :

١ - من يقرأ الكتاب قراءةً متأنيةً يجد به العديد من الأخطاء التي تزيد عن  
المئة ، ومنها أخطاء صارخة ، مثل أن المحقق في ص ٧٨ من الكتاب يوضح أن  
بشر إدام هو بشر إرم ، مع أن بشر إدام هو من أودية مكة المكرمة ، وعلى بعد ٥٧  
كيلاً من جنوبها ، في حين أن بشر إرم كما ذكرها الهمداني توجد في منطقة جسمى  
في ديار جدام وبالقرب من ديار ثمود .

٢ - ان المحقق قام بتغيير اسم مؤلف المخطوط ، وصوره في الكتاب المطبوع  
على أنه الاسم المكتوب في المخطوط ، فرفع اسم ( آل الحفظي ) وكتبه  
( العجيلي ) والحقيقة وكما تعلمون أن ذلك لا يتفق مع الأمانة العلمية من ناحية  
المحافظة على الأصل المكتوب والتعليق في الهامش إذا كان هناك تعليق .

٣ - أدهشني أن مجلتكم الغراء نعتت المحقق - في العدد المذكور - بأنه :  
( مَعْنِيٌّ حَقًّا بتاريخ هذه المنطقة ) أي منطقة عسير ، في حين أنه في الحقيقة  
أديب ، أي متخصص في الأدب ، وليس في التاريخ ، وأن للتاريخ رجالاته الذين  
يستطيعون الكتابة فيه ، ويؤكد قولي أن المحقق لم يقوم بتحليل الأحداث التاريخية  
الواردة في المخطوط كما يجب ، كما أنه لم يتعرض لوصف حال العصر الذي كتبت  
فيه المخطوطة ، مما أخرج لنا تحقيقاً يشوبه (؟) الكثير من الموضوعية وعدم توخي  
الدقة ، وإلى جانب ذلك فإن المحرر بمجلتكم الغراء لقب المحقق بأنه استاذ  
دكتور في حين أنه دكتور فقط .

أكون شاكرًا لو نشرتم تعليقي هذا في مجلتكم الغراء ، وجزاكم الله خير  
الجزاء .

أبها : د. عبدالمنعم إبراهيم الجميعي

أستاذ التاريخ الحديث المعاصر - كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية

## أسر قبيلة سبيع في الحريق ونعام وحوطة والحلوة

نشر أحمد آل سليمان في « العرب » س ٢٢ ص ٦٨٩ مقالاً بعنوان « أنساب أسر بلدتي الحريق ونعام ) ، وقد وقع في مقاله ملاحظات بخصوص الأسر السبيعية التي ذكرها مما حدى بي أن أكتب مقالاً في « العرب » س ٢٣ ص ٤١٠ بعنوان « الأسر المتحضرة من سبيع في الحريق ونعام ) .

ثم ظهرت لي ملاحظات هامة على مقالي ، فأعدت صياغته وتوسعت فيه ليشمل الأسر السبيعية في الحريق ونعام وحوطة بني تميم أيضاً على هذا النحو :

١ - آل خثلان : قدموا من الرحبة ، ويسكنون الحريق منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري . وفروع آل خثلان هي :

- ( أ ) آل زيد . ( د ) آل رشيد . ( ز ) آل فرحان .
- ( ب ) آل سلمان . ( هـ ) آل عزام . ( ح ) آل حمادي .
- ( جـ ) آل حمد . ( و ) آل حنتوش . ( ط ) آل ريش بالأحساء .

وآل خثلان هم بنو راشد بن رشيد بن عبدالله ، من الجبور من الحضران من بني عمر من سبيع من عامر بن صعصعة من هوازن من قيس عيلان من عدنان .

٢ - آل هويدي : قدموا من الرحبة ويسكنون الحريق ، وقد انتقل معظمهم من الحريق إلى المزاحمية .

وهم بنو هويدي بن شويشان من الجبور من الحضران من بني عمر من سبيع .

٣ - آل الطلاسي : قدم الطلاسي من الرحبة وسكن الحريق ورزق بعثمان وعلي وهم بنو الطلاس بن ناصر بن دخيل بن وهيطان من الجبور من الحضران من بني عمر من قبيلة سبيع ، ويسكنون الحريق والرياض وهم غير آل ابن طلاس .

٤ - آل مسعد : قدموا من رماح ويسكنون الحريق ، وهم بنو مسعد الصيفي من النبطة من الحضران من بني عمر من سبيع .

- ٥- آل وطيان : قدم جدهم من رماح ، ويسكنون الحريق وهم من النبطة من الخضران من بني عمر من سبيع .
- ٦- آل دُغيم : قدموا من رنية ، ويسكنون الحريق ، وهم من المفالحة من آل عمير من سبيع .
- ٧- آل قوزاني : يسكنون الحريق ، من القبابنة من الشميسات من الزكور من قبيلة سبيع .
- ٨- آل فارس : قدموا من العطار ، ويسكنون نعام وهم من آل اسماعيل بن رميح من العرينات من الخضران من بني عمر من قبيلة سبيع .
- ٩- آل حركان : قدموا من رماح ، ويسكنون نعام وهم من المدارية من الصعبة من بني عمر من سبيع .
- ١٠- الروافع : يسكنون نعام وهم من آل محميد من المشاعة من آل عمير من سبيع .
- ١١- آل إدريس : يسكنون نعام وقال د. محمد الدبل أنهم من آل رميان من سبيع وأن الحقييل ذكرهم من عائذ ، ولكن الصحيح ما ذكرنا . هذا قول الدبل . « منطقة الحريق تاريخها وحاضرها » ص ٧٥ ، ط ١ . ولكن علي الصرامي ذكرهم من عائذ في كتابه « حوطة بني تميم ، جغرافيتها وتاريخها » ص ٦٠ ، ط ١ .
- ١٢- آل دخنان : قدموا من رنية ويسكنون حوطة بني تميم وهم من الوردان من الزكور من سبيع .
- ١٣- آل مسرع : قدم جدهم من رنية ويسكنون الحلوة ، وهم بنو محمد بن زيد بن حمد بن عيسى بن حمد من الشميسات من الزكور من سبيع .
- ١٤- آل ابن علي : قدم جدهم من رنية ويسكنون الحلوة وهم بنو علي بن حمد بن عيسى بن حمد من الشميسات من الزكور من سبيع .
- ١٥- آل عامر : قدم جدهم من رماح ، ويسكنون الحلوة وهم من آل بليدان

من الجمالين من الصعبة من بني عمر من سبيع .

١٦ - آل خطيب : قدموا من رماح ويسكنون أسفل الباطن بالحوطة وهم من آل علي من الصعبة من بني عمر من سبيع .

١٧ - آل بعيجان : قدموا من رماح ، ويسكنون أسفل الباطن بالحوطة وهم من آل علي من الصعبة من بني عمر من سبيع .

١٨ - آل ذُوَاد : بالحريق ونعام وهم من القواودة من بني عامر من قبيلة سبيع ، وكانوا أمراء الحريق ونعام سابقاً .

وفي أسفل الباطن بالحوطة أُسر سَهْلِيَّة من القباينة من الشميسات من الزكور من سبيع . ومنهم :

١٩ - آل جليميد . ٢١ - آل مساعد . ٢٣ - آل عوضة .

٢٠ - آل دابان . ٢٢ - آل فراج . ٢٤ - آل عمر .

ويلاحظ أن معظم قبيلة السُّهول من سُبَيْع مثل الظهران والمحلف والقباينة وآل منجل وآل محميد وآل مرصوع والزقاعين وغيرهم . . مما لا يتسع المجال لذكره .

الرياض : عبدالله بن سعود بن حمد آل خثلان

### الشثور في بلد الأفلاج

كتب إلى صاحب « العرب » الأخ الكريم الأستاذ محمد بن ناصر الشثري كتاباً حول نسب أسرته ( آل الشثري ) وأرفق هذا الكتاب بوثيقة بخط الشيخ صالح ابن محمد الشثري المتوفى سنة ١٣٠٩ ، يجدها القاريُّ مصورة مع هذا ، ومما جاء في كتاب الأخ : إن الشثور المنسوبين إلى زياد - المذكور في تلك الوثيقة - موجودون في بلاد بني جَعْدَةَ منذُ عُرِف تاريخهم ، وهم الذين عَمَرُوا مدينة لَيْلَا في حدود سنة ثمان مئة ، وقد بنوها على أنقاض الهيصمية ببلدة بني كعب بن ربيعة ، وكان للشثور الإمرَّة على معظم الأفلاج إلى حدود القرن الحادي عشر الهجري . انتهى وحبذا لو أن الكاتب الكريم زاد إيضاحاً في هذه المعلومات المتعلقة بتجديد



عمران مدينة ليلا على أنقاض الهيصمية ، وعن عهد الشثور في هذه البلاد وماذا يعرف من تاريخهم .

وثمة جابر بن واصل بن زبير و  
 قيس بن يمين بن عبد بن عمرو بن  
 ذر بن حارث بن شيبان بن مالك بن عدي بن شيبان بن  
 نوح بن زيد بن عاتق بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن  
 قيس بن عيلان واسم قيس الياس بن مظفر بن كنانة بن معاوية بن عدنان وقيس بن عيلان قبا  
 كثيرة فزهر فزارع وعظمان ومن عطفان ذبيان المنسوب اليهم الثمانية الذيباني ومنهم  
 بن صعصعة بن قيس بن عيلان وياهم اخو عدوان بن صعصعة ومنهم سليمان بن منصور بن اخوه  
 ومن ذر بن سليم بن زهير بن زهير بن علي بن زهير بن عبال بن ابي اذنه بن عمرو بن  
 زياد بن عامر بن ذر بن سليم بن زهير بن منصور بن سليم وهو جد المنتقى الال شيبان  
 من بني العباس ومن ذر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن شيبان بن مالك بن عدي بن شيبان  
 بن نوح بن زيد بن عاتق بن صعصعة بن معاوية بن عدنان وقيس بن عيلان وياهم اخو عدوان  
 بن صعصعة بن قيس بن عيلان وياهم اخو عدوان بن صعصعة ومنهم سليمان بن منصور بن اخوه  
 بن صعصعة بن قيس بن عيلان وياهم اخو عدوان بن صعصعة ومنهم سليمان بن منصور بن اخوه  
 بن صعصعة بن قيس بن عيلان وياهم اخو عدوان بن صعصعة ومنهم سليمان بن منصور بن اخوه  
 بن صعصعة بن قيس بن عيلان وياهم اخو عدوان بن صعصعة ومنهم سليمان بن منصور بن اخوه


 الشثوري وانه اسم  
 كبره جنم

ما الفقير العلامة الذي في هذا الكتاب المذكور في سنة ١٣٢١ هـ في شهر ربيع الثاني من سنة  
 الفدوية في طهران من قبل علماء الاحياء والكاتب عمير وغيره وكل من كان في الاسلام ممن بنى عليه الواجبات واوكاده في  
 الكتاب واوصيت ان نقل نسبه من شجرة انساب قبائل بني شيبان التي وضعها الفقير العالم الفاضل  
 مفتي ديارفنج اليامده كاضر غنام الشثوري فقال ومن قبائل بني شيبان اسهل بن عمرو بن حارث  
 بن قيس بن هلال بن جرهد بن يمين بن حارث بن فراس بن حمل بن سفيان بن قوس بن حارث  
 بن شيبان بن عمرو بن زيد بن عاتق بن صعصعة بن معاوية بن عدنان بن شيبان بن مالك  
 بن منصور بن عكرمة بن قيس بن عيلان بن منصور بن عكرمة بن شيبان بن مالك بن عدي بن شيبان بن  
 في قيس بن عيلان فالحكم فيهم من اهل بن عطفان وديان المنسوب اليهم الثمانية  
 الذيباني ومنهم اخوه عدوان بن صعصعة بن قيس بن عيلان وياهم اخو عدوان بن صعصعة

[ صورة الوثيقة ]

وقد سبق لصاحب هذه المجلة أن نشر في كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضره في نجد » - في الكلام على نسب الشثور - مضمون هذه الوثيقة نقلاً عن ورقة بخط الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود قاضي قطر .

وبعد ذلك اطلعت على نسب هذه الأسرة الكريمة ( آل الشثري ) في كتاب مؤلف حديث هذا مُلخصه :

إبراهيم بن حمد الشثري ( ١١٨٠ - ١٢٦٣ ) وُلد في الأفلاج ويعود جده الأعلى شتر بن محمد بن مزحل بن زيد بن علي بن عليش بن عادي بن جمعان ابن هادي بن مسعود بن مبارك بن فالح ، ويلتقي مع بني لحيان بن سفير بن عازب في ( فالح ) ، وفالح فرع من آل سرب بن سالم بن راجح ( السربة ) ، وسرب يجمع آل شتر وآل سهل بن ناجح بن محمد ، والسربة بطن من بني جحيش بن زيد أحد بطون آل سليمان بن زيدان<sup>(١)</sup> أحد عشائر حرق بن زارب ( الحرقان ) ، وحرق بن زارب بن أثير بن طلق من بطون بني قيس بن دعاس بن عاصم بن ربيع من بني مرمض من زبيد من بني الحارث بن كعب المدحجي ، وتحالف بنو حرق وبنو زهير مع طلق وأصبحوا في عدادهم ، وطلق من ولد الحارث بن كعب .

وتحولت قبيلة آل سرب ( السربة ) إلى نجد مع آل ضيغم بن شهوان بن منصور بن ضيغم بن منيف الجنبي مع قبائل قحطان ، واستقر معظمها في الأفلاج وحوطة بني تميم إثر حروب جرت بينهم وبين بني عقيل وحلفائهم من عدوان ، وزعب ، وخالد ، ولام ، أيام الأمير عبدالرحمن بن عبدالوهاب بن غانم بن صقر اليزيدي عام ٧٦١ عندما دخلت قواته الوادي ، والأفلاج ، وحجر اليمامة ، وانتهت بانتصار آل سرب وأحلافهم من سبيع بقيادة بدر بن معن المعني الزعبي في موقعة ( شتر ) و( شيتر ) وهما جبلان يقعان جنوب ( سقمان ) بمرحلة ، وتصاهر الشثور مع بني زعب فيما بعد . وغدت إمارة الأفلاج والوادي لبدر بن معن الزعبي من قبل الأمير عبدالرحمن بن عبدالوهاب إلى أن انتزعها منه شريف مكة حسن بن أبي نمي ، وأمر عليها الشريف حامد بن ياسين القاسم في مطلع القرن التاسع .

وبرز من الشثور علماء أفاضل ، وشعراء نبلاء ، وقد بسط والدي شأنهم وذكر تراجمهم وتراجم أعيان الأفلاج والوادي ، وحوطة بني تميم من ( مضبطة ) دفعها

الشيخ إبراهيم بن حمد بن محمد المشار إليه إلى جدي وبسطها والدي في كتابه «متعة الناظر ومسرح الخاطر» المقتضبة منها هذه السطور .

وعندما قام الإمام فيصل بن تركي حاول ضم وادي الدواسر ومناطق جنوبي نجد بالقوة ، وأرسل حملة بإمرة حمد بن محمد بن عبدالله بن عياف بن مقرن فلم تظفر بشيء ، ثم تم الصلح بين الطرفين في السنة التي تلت حيث أوفد فيصل وفداً برئاسة الأمير سعود بن إبراهيم بن عبدالله بن فرحان<sup>(٢)</sup> ، وعبدالله بن إبراهيم بن عبدالله بن فرحان ، والأمير مشاري بن عبدالله بن محمد بن عياف<sup>(٣)</sup> إلى عائض بن مرعي للتفاهم ، وتمّ الاتفاق على أن يبقى الوادي لعسير كحدٍ ، وعندما رأى عائض بن مرعي إمام عسير أن فيصل بن تركي يقاوم الترك ، ويحتاج إلى دعم وإمداد بالرجال ، وجد من الأفضل أن يلتحق الوادي بالإمام فيصل ليستعين بأهله ، وبمن يحتاج إليهم من الرجال ، وقد تم ذلك وانتقل ابن ضبعان إلى بيشة ، ولما هُزم فيصل بن تركي ، وأخذ أسيراً إلى مصر عام ١٢٥٢ عاد الأفلاج والحوطة ، والوادي وما جاوره من البلدان إلى تبعيتها الأولى تحت نظر الإمام عائض بن مرعي أمير عسير فعين عليه الأمير أحمد بن ضبعان لحماية تلك المناطق من الترك .

ولما فرَّ الإمام فيصل بن تركي<sup>(٤)</sup> من مصر ورجع إلى نجد يقاوم الأتراك ومن والاهم فبدأ الأتراك أيضاً بمضايقته فطلب من الإمام عائض بن مرعي مساعدته بقوة ، فأمر الإمام عائض عامله ابن ضبعان الارتحال عما تحت يده والعودة ثانية إلى بيشة وذلك عام ١٢٦٠ ، وفي هذه الأثناء أرسل الشيخ إبراهيم بن حمد الشتري إلى الإمام عائض هذه القصيدة ، وحملها إليه وفد من أهل المنطقة منهم : الشيخ راشد بن رشود بن سعيد آل مهيض ، والشيخ الشريف إبراهيم بن محمود ابن منصور آل حامد ، والشيخ حمد بن علي بن عتيق ، وعبدالله بن عجلان ، ومبارك الصخيري ، ومحمد بن ناصر الكبرى ، وكان قد سبقهم وفد من حوطة بني تميم بإمرة الشيخ تركي بن عبدالله بن تركي الهزاني وغيره من أعيان المنطقة ، ووجهاء الشترية ، وآل فوزان ، وآل خريف ، وآل حسين ، إذ أن معظم بلدان نجد قد اعتادوا ارتياد المنطقة لما بينهم من ارتباط ، ولوقعها التجاري ، وقد

استضاف الشيخ سحمان بن مصلح والدي هذا الوفد بإذن من الإمام عائض ،  
وبقوا في مدينة أبها حوالي ثلاثة أشهر ، فوفد عليهم طلاب العلم ينهلون من  
معارفهم ، وكان لهم حلقات في مسجد مناظر ، ورحبة شدا .

وكان الشيخ إبراهيم - رحمه الله - أبيض ، طويلاً ، نحيل الجسم ، دائم  
الابتسامة ، جهوري الصوت ، ذا شعر جيد ، وفيه جزالة وقوة ، ومعانٍ رفيعة ،  
سلسل العبارة . وذكر والدي في ( متعته ) عدة قصائد له في ترجمته مع بعض أفراد  
عائلته .

وتوفي الشيخ إبراهيم عن ستة أولاد هم : عيسى ، وسليمان ، وعلي ،  
وعبدالعزیز ، وعبدالله ، ومحمد . . . وهم من العلماء الأفاضل الذين ترجم لهم  
والدي . وكان الوادي ومنطقة جنوبي نجد قد انضمت إلى عسير أيام الأمير سعيد  
ابن مسلط وبقيت تتبعها أيام الأمير علي بن مجثل ، والأمير عائض بن مرعي ،  
وذلك عندما استولى الأتراك على نجد ، ولم يبق في جزيرة العرب من يقاومهم  
ويناهضهم سوى عسير التي يحمل قادتها دعوة التوحيد والتجديد حتى أطلق  
الأتراك عليهم ( شيوخ الوهابية ) في عسير . انتهى .

[ الحواشي ] :

(١) ينقسم آل حرق إلى عدة فروع منها : آل سليمان ، وآل سلمان ، وآل الغمر ، ويتفرع من آل سليمان  
خسة بطون وهي : آل كناد ، آل قنفذ ، آل سلطان ، آل أبو جمعة ، آل جحيش ، ويتفرع آل جحيش  
إلى خمسة أفخاذ وهي : آل سرب ( السربة ) ، وآل حسن بن زايد ، وآل عجيبة ، وآل الظميران ، وآل  
الورك ، وكانت مساكن آل السربة مع قومهم بوادي العرين بـ ( طريب ) في تثلث ، ولهم قرى :  
العلوب ، وقيان ، والعرق ، والمضيق وغيرها ، هذا عدا الفرع من الحرقان الموجود في اليمن في ( براد )  
وقد دخل في آل متيف من الضياغم من ولد روح ، ودخل قسم من آل جحيش مع قسم من آل معمر  
وآل سلطان مع بني زبيد العراق .

(٢) ومن أحفاد سعود تركي وناصر وبها انحصرت ذرية آل فرحان . أما أخوه عبدالله فلم ينبج ، وكان قد  
سجن مع فيصل بن تركي ، وسار معه إلى الرياض عام ١٢٥٩ تحت حراسة عدة أشخاص من قبيلة روق  
ابن جحدر بن عبدالله بن سنحان ، وهم الذين اختارهم والي مصر للحفاظ على فيصل لاستغلال ثوراته  
في نجد لبقائه والياً على مصر لأن أحداث نجد مرتبطة به .

(٣) ومن أحفاد مشاري : حسن بن عبدالعزيز بن مشاري ، والعالم الورع الأصولي اللغوي الشيخ محمد بن  
عبدالعزیز بن مشاري ويعد عالم آل مقرن في هذا العصر ، ومن أبرز علماء نجد ، وفيها انحصرت ذرية  
آل عياف .

(٤) انحصرت ذرية تركي في أولاده : فيصل ، وجلوي ، وعبدالله ، وانحصرت ذرية فيصل في ولديه سعود  
وعبدالرحمن ، وفي ذرية عبدالعزيز بن عبدالرحمن انحصر ملك آل سعود .

## ■ نسب معد واليمن الكبير:

سبقت الإشارة إلى مسارعة محققين جليلين لنشر هذا الكتاب هما الدكتور ناجي حسن من بغداد ، والأستاذ محمود فردوس العظم من دمشق ، فيما نشر في مجلة العرب س ٢٣ ص ٨٤٨ عند الحديث عن صدور هذا الكتاب بتحقيق الدكتور ناجي .

وهاهو الجزء الأول من تحقيق الأستاذ محمود فردوس العظم يصدر في مجلد كبير الحجم ، بلغت صفحاته ٤٢٤ ، وانتهى عند انتهاء نسب خثعم ، وقد سار الأستاذ محمود في تحقيق هذا الكتاب على الطريقة التي سار عليها في تحقيق كتاب « جهرة النسب » لابن الكلبي بغزارة الحواشي ، أما الأصل فقد نسخه بخط يده

## النعته الأكمل

جاء في مجلة « العرب » س ٥ ص ٨٨٥ مانصه : ( ولابن حميد مؤلف آخر هو « النعته الأكمل ، في تراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل » ) . انتهى . وهذا خطأ ، فكتاب « النعته الأكمل في تراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل » ألفه أولاً كمال الدين محمد بن محمد الغزوي .

ثم ألف الشيخ عبدالله بن علي بن محمد بن حميد المتوفى سنة ١٣٤٦ كتاباً بهذا الاسم ، جعله ذيلاً على كتاب « السحب الوابلة » الذي ألفه جدُّه الشيخ محمد ابن عبدالله بن حميد ( ١٢٣٦/١٢٩٥هـ ) ، ولهذا الحفيد منسك هو « تحفة الناسك لأداء المناسك » مطبوع بمطبعة الترقى الماجدية العثمانية بمكة لصاحبها محمد ماجد الكردي مع مجموع رسائل لبعض علماء مكة .

وقد جرى التنبيه على هذا الخطأ في الكلام على ترجمة صاحب « السحب الوابلة » - [ العرب : ١٢ / ٦٤١ ] .

ثم صُوِّرَ ، ولهذا فقد سلم من التطبيع ( الأخطاء المطبعية ) وإن لم يسلم من الهفوات اليسيرة المتعلقة بضبط الأسماء ، ومهما يكن الأمر فجهودُ المحقق جدير بأن يُذكَرَ فَيُشَكَرَ .

والنسخة التي أعتمدها المحققان أصلاً لها وحيدةٌ وهي مخطوطة مكتبة ( دير الاسكوريال ) وهي كثيرة الأخطاء ، وحذا لو رجعاً إلى مخطوط « مختصر الجمهرة » نسخة مكتبة راغب باشا فهي مثال في الدقة والصحة ، ولعل مما يَسُرُّ المعنيين بالمؤلفات عن الأنساب العربية القديمة قيام الأستاذ محمود فردوس العظم بنشر هذا الكتاب ، عن تلك النسخة ، أعني « مختصر جمهرة النسب » التي تمنيت أن تنشر مُصورة بدون زيادة ولا نقصان ، فهي من الصحة على درجة لا تحتاج معها إلى أيِّ عمل سوى وضع فهرس في آخرها كما كان يفعل بعض المستشرقين في بلاد الروس ، عند نشر شيء من المؤلفات القديمة ، ولا أزال أتمنى ذلك بعد اطلاعي على مسودة كتبها الأستاذ العظم بخط يده الجزء الأول من الكتاب .

### ■ النكت في تفسير كتاب سيبويه :

وقام ( معهد المخطوطات العربية ) في الكويت بنشر كتاب « النكت في تفسير كتاب سيبويه » لأبي الحجاج يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم الشُّتَمِرِي الأندلسي - المتوفى سنة ٤٧٦هـ - بتحقيق الأستاذ زهير عبدالمحسن سلطان ، ويُعدُّ هذا الكتاب من المصادر الأصيلّة لتفسير الكتاب الذي هو أشمل كتاب وأوفاه في علم النحو ، وللأعلم الشُّتَمِرِي يدٌ طُوّلت في الاطلاع على مصادر الأدب العربي القديم ، وله اهتمام وعناية خاصة بكتاب « الحماسة » لأبي تمام .

وقد صدر هذا الكتاب في مجلدين ، بلغت صفحاتها ( ١٤٧٨ ) تقع الفهارس المفصلة ابتداء من صفحة ( ١٢٧٩ ) والتحقيق يُنمُّ عن جُهدٍ ، والطباعة حسنة ، ومايبدله ( معهد المخطوطات العربية ) في سبيل إحياء التراث من الجهود البارز أثرها ، العامّ نفعها ، وقد طبع في الكويت - وصدر سنة ١٤٠٧هـ ( ١٩٨٧م ) .

## ■ فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن :

وقام (المجمع العلمي العراقي) في بغداد بنشر كتاب « فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن » لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي البغدادي ( ٥١١ - ٥٩٧هـ ) بتحقيق الأستاذ الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي - الأستاذ في كلية التربية في جامعة بغداد ، والكتاب كما يدل عليه عنوانه - يتعلق بعلوم القرآن ، التي تزخر المكتبة العربية بالمؤلفات فيه من مخطوط ومطبوع ، وابن الجوزي - رحمه الله - من العلماء الكثيرين من التأليف في كل فن ، بحيث بلغت مؤلفاته من الكثرة بدرجة لا يصدقها العقل ، وقد ذكر ابن خلكان في ترجمته أن مؤلفاته لو قسمت على أيام حياته لخرج لكل يوم عدد من الكراريس ، ويظهر أنه كان يستعين بتلاميذه بالتأليف في موضوعات يختارها ، ويكتفي بعد ذلك بإلقاء نظرة على ذلك ، ثم ينسب الكتاب إليه .

ولقد صدر هذا الكتاب في ( ٣٦٤ ) صفحة بمقدمة ضافية وفهارس مفصلة ، وتحقيق حسن ، وطباعة لا بأس بها - بمطبعة المجمع العلمي العراقي - وصدر عام ١٤٠٨هـ ( ١٩٨٨م ) .

## ■ رحلة أوليفيه إلى العراق :

أوليفيه ( OLIVIER ) رحالة فرنسي تجول في عدد من أقاليم الدولة العثمانية فيما بين سنتي ١٢٠٨ ، ١٢١٢ ، أي من سنة ١٧٩٣ حتى سنة ١٧٩٧ ، وزار العراق مرتين خلال سنتي ١٧٩٤ ، ١٧٩٦ ، فمر بالموصل وإربل وكركوك ، وبغداد والحلة والبصرة ، كما مر ببعقوبة والمقدادية ، وقد نشرت رحلته باللغة الفرنسية ، وتعتبر مرجعاً لتاريخ العراق في تلك الفترة .

وقد قام الأستاذ الدكتور يوسف حبي بت ترجمتها إلى اللغة العربية ، لأكل الرحلة ولكنه اختار فصولاً منها تتعلق بالعراق ، بمقدمة عن وصف الرحلة وترجمة الرحالة ، وذكر محتويات الرحلة ، وفيما عربه الدكتور يوسف حبي إمتاع وطرافة ، واستهواء للقارئ الذي لا يُسئمُ ذهنه بالكد والتعب بالاستغراق في

التفكير ، وقد ألحق العرب بالرحلة بعض الرسوم المصورة ، ومخططاً جغرافياً (خريطة) كان أحسن صنفاً لو رسمها باللغة العربية ، ثم فهارس للاعلام والأماكن والنبات والحيوان ، بعدها فهرس الكتاب بإيضاح موضوعاته كاملة . وجاء ذلك كله في ( ٢٧٨ ) صفحة مطبوعاً بمطبعة ( المجمع العلمي العراقي ) في بغداد ، وصدر عام ١٤٠٨ هـ ( ١٩٨٨ م ) .

**تاريخ التراث العربي :** [ انظر «العرب» ص ٢٣ ص ٥٤٢/٧١٩ ]

وصدر المجلد الثامن من كتاب « تاريخ التراث العربي » تأليف الأستاذ فؤاد سزكين وهذا المجلد يتضمن المؤلفات في علم اللغة منذ بدء التدوين إلى حوالي سنة ٤٣٠ ، وقد نقله إلى اللغة العربية الدكتور عرفة مصطفى وراجع الأستاذ مازن عماوي ، وقامت بنشره جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وطبع في مطبعتها عام ١٤٠٨ هـ ( ١٩٨٨ م ) ويقع هذا المجلد في جزئين صفحاتها ٧٢٨ وقد ألحق بالجزء الأخير مستدركاً على المجلد السادس عن مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم ، ويحوي تقارير وفهارس في هذا الموضوع من ص ٥٣٠ إلى ٥٥٧ ثم فهارس هذا المجلد تتضمن أسماء المؤلفين الذين ورد ذكر شيء من مؤلفاتهم ، ثم فهرس الكتب فأسماء المؤلفين والمحققين والدارسين من المحدثين ، وقعت الفهارس من ص ٥٥٨ إلى آخر المجلد .

ومن راجع هذا المجلد كما يتضح من الصفحة الأخيرة منه الدكتور بدوي طبانة .

ولقد كان من المستحسن أن يطبع كل قسم من هذا الكتاب متسلسل الصفحات كما حدث في هذا المجلد ، لا أن يوزع أجزاء صغيرة لكل جزء صفحات محدودة مرقمة ، كما حدث في المجلدين الأول والثاني بأجزائهما ، لأن هذا مما يربك القارئ ، وفي الوقت نفسه يوقع الحيرة في البحث عن المترجمين في ذلك القسم من الكتاب ؛ هذا إذا لم يتيسر ترقيم جميع صفحات أقسام الكتاب كل قسم بأرقام متسلسلة .